٤٨

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

١٦ شاقل

العدد ثامن والاربعون
نيسان - ١٩٨٤

5 MAY 1984

- رفضنا لمشاريع الاستسلام يجب ان ينسحب على ملحقاتهـا
- نصرة الحركة الوطنيـــة اللبنانية وسوريا احد معايير الالتزام بمنهج الكفاح الوطنـي
- الازمة الاقتصادية في اسرائيل
- النضـال ضد الجوع فـي البلدان الناميـة
- كلمة وفاء للشاعر معين بسيسو
- المسالة النسوية - طموحات وابعـاد
- في ذكرى تأبين غسان حرب
- كيف يعامل النظام الاردني حركتنا النقابيـة
- حركات اصلاح ام موجات تغريـب
- "يازور" استمرارية وحضـور
- البكائيات في الادب الشعبي

المهمة الملحة في اجتماعات عدن

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
اسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor – Ase'd Al-asa'd
Jerussalem

P. O. Box 995
Ramallah

رئيس التحرير :
أسعد الأسعد

مدير التحرير :
بسام الصالحي

هيئة التحرير
محمد البطراوي جميل السلحوت
محمود الشيخ
صالح زقوت عمر حمّش

المسؤول الإداري : يحيى مشقير

صف ومونتاج
عبير أبو غوش

الاشتراكات :

بالدولار أو ما يعادله
عن سنة واحدة

محليا ١٥ دولار
أوروبا ٢٠ دولار
بلدان أخرى ٥٠ دولار

المؤسسات
محليا ٥٠ دولار
في الخارج ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد لمرسليها إذا لم تنشر.

المراسلات :
الكاتب - ص ب ٩٩٥ رام الله

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

المهمة الملحة في اجتماعات عدن ٢

سياسة

- أسعد الاسعد
- رفضنا لمشاريع الاستسلام يجب ان يتسحب على ملحقاتهـــا ٤
- ابو وديـــدة
- نصرة الحركة الوطنية اللبنانية وسوريا احد معايير الالتزام بمنهج الكفاح الوطنـــي ٧

معالجـــات

- تيسير العاروري
- في ذكرى تابين غسان حرب ٢٤
- محمود محمد صالحـــة
- كلمة وفاء للشاعر معين بسيسو ٢٩

اقتصاد

- غسان الخطيب
- الازمة الاقتصادية في اسرائيل ملامحها وانعكاساتهـــا ١٤
- د. سمير حزبون
- النضال ضد الجوع في البلدان النامية ٤٧

ندوة

- حول مجموعة صبحي شحرورة القصصية "المعطف القديم" ٧٤

دراسات وابحاث

- عادل يحيى
- حركات اصلاح ام موجات تغريب ٣٧
- سمير حليلـــة
- "بازور" استمرارية وحضور تاريخي ٥٢
- خولـة سالـم
- المسالة النسوية ـ طموحات وابعاد ٦٠

مع الكتب

- سليمان سلمان
- نار البراءة ـ صك ادانة بالدم والنار ٩٦

تـــراث

- جميل الملحوت
- البكائيات في ادبنا الشعبي ٨٩
- عبد العزيز اعرار
- صورة من صور الاشتراكية في الذاكرة الشعبيـــة ٩٣

مقابلات

- عمر حمش
- لقاء مع الفنان التائي ابراهيم العزيـــز ١٠٤

قصـــة

- عمر حمش
- الشيخ محمود يشيد تمثالا ١٠٧
- خالد الاشهب
- اعذريني يا جميلة . ١١٠

شعـــر

- معين بسيسو
- خيمتنا الاخيرة بيروت ١١٢
- راجح الملفيتي
- في وداع غسان ١١٤
- عبد الناصر صالح
- البديـــل ١١٦

شهريـات

- رسائل وردود ١١٩
- اصداء ثقافية ١٢١

متفرقـــات

- جميل الملحوت ١١٨
- محمود الشيخ
- كيف يعامل النظام الاردني حركتنا النقابيـــة ٨٥
- يحيى شفير
- موجة السرقات لون جديد من الارهـــاب ٩٤

Digitized by Birzeit University Library

المهمة الملحة لاجتماعات عدن

من الواضح ان تجاوز المصاعب الراهنة امام منظمة التحرير الفلسطينية، والذى سيكون محور مداولة واجتماعات الفصائل الفلسطينية خلال الاسابيع القادمة ينطلق من اسس سياسية وتنظيمية محددة، وبتوقف على مدى اعتماد هذه الاسس بصورة فعّالة الشيء الكثير .

ان جوهر الاساس السياسي قائم في قرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، حيث كانت هذه القرارات تعبيرا عن القاسم المشترك لبرامج وطروحات الفصائل الفلسطينية المختلفة، املتها الرغبة الجامحة في الحفاظ على الوحدة الوطنية وصيانة م.ت.ف ـ المهمة التي ما زالت قائمـــة .

وكذلك لان تطورات الاحداث في المنطقة اثبتت صواب هذه القرارات والمستندة الى طاقات الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، والى التحالف الاستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي وقوى الثورة العالمية . اى الى نفس المقومات التي اختبرتها الساحة اللبنانية واثمرت نتائج مباشرة ضد الامبريالية واسرائيل .

ولا يخدم توحيد العمل المشترك اقحام عناصر سياسية جديدة على برنامج الدورة السادسة عشرة كاقرار البيان الفلسطيني ـ الاردني المشترك

Digitized by Birzeit University Library

تجاوز المصاعب الراهنة في منظمة التحرير الفلسطينية

واعطاء الشرعية للعلاقة مع النظام المصرى ،ليس فقط لان دورة المجلس بحثت مضمون هذه العلاقات واتخذت القرارات الملائمة بشأنها ،وانما كذلك لان من غير الواقعي التعامي عن ان الخلاف حول هذه القضايا كان سببا من الاسباب المباشرة في الحالة الراهنة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، كما انها تمت رغما عن مواقف غالبية الفصائل الفلسطينية.

وأما الجوهر التنظيمي فيستند الى ضرورة تفعيل الهيئات القيادية لمنظمة التحرير ،واعتماد توازن القوى الحقيقي ..النوعي ،على الساحة الفلسطينية عند اتخاذ القرارات الاساسية،ونبذ الهيمنة والفردية، مقابل تطبيق جماعية القيادة بشكل حقيقي وتنشيط الصلة النضالية بالجماهير الفلسطينية،كذلك في تقديم الحل المناسب من قضية "المعارضة" بما يلائم حقيقة انای تجاوز فعلي للمصاعب الراهنة في م.ت.ف لا يمكن له ان يهرب من هذه القضية المطروحة،ويمكن ان تلعب دورا بهذا الخصوص الفصائل الفلسطينية التي لم تكن طرفا في الصراع الدامي بين شقي الخلاف في فتح .

ان على نتائج الاجتماعات بين الفصائل الفلسطينية يتوقف الكثير، بما في ذلك مستقبل منظمة التحرير الفلسطينية نفسها .

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

رفضنا ... لمشاريع الاستسلام ... يجب أن ينسحب على ملحقاتها

أسعد الأسعد

الصحافة الغربية والعربية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالدوائر الامبريالية ، لا تزال تتحدث عن الضجة التي افتعلتها صحيفتا نيويورك تايمز ، الهيرالد تريبيون ، والتي تتحدث عن اتصالات سرية جرت بين منظمة التحرير الفلسطينية والادارة الاميركية ، كادت ان تسفر عن اعتراف متزامن على حد قول الصحف المذكورة ، ثم تمضي الصحيفتان في روا يتهما بالقول ، ان هذه الاتصالات استمرت الى ما قبل الغزو الاسرائيلي للبنان ، حيث اوعز الجنرال هيغ وزير خارجية الولايات المتحدة السابق لاسرائيل بغزو لبنان ، فوضع حدا لهذه الاتصالات ... كذا ، الى هنا وتنتهي رواية الصحيفتين ، ويبدو ان الحوار مع الادارة الاميركية ، أصبح عند بعض القيادات الفلسطينية والعربية هدفا نضاليا بحد ذاته ، او ربما اكثر من ذلك ، الى درجة أن البعض ينزلق وراء هذا الوهم ، وكأن استراتيجية النضال الفلسطيني وانتصار القضية الفلسطينية يتوقف على اعتراف البيت الابيض بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فترى البعض يطلق الاشاعات والاكاذيب الى حد يصل بصاحبها الى تصديقها ، فيركض وراءها ويطوّرها ، ويبني عليها ، محاولا ايهام غيره بأن شيئا من ذلك قد بات وشيكا ، فيبدأ بالتكيف والتأقلم ليصبح مقبولا لدى الادارة الاميركية ، ومع تقديرنا للايجابية التي يحملها مثل هذا الاعتراف لو حصل ، الا اننا على يقين من ان ذلك لن يحصل الا بالنضال المثابر والصلب حتى تجد الادارة الاميركية نفسها امام خيار وحيد لا بديل له وهو الاعتراف بمنظمة التحرير وبحقوق الشعب العربي الفلسطيني وعلى رأسها حقه في دولة مستقلة على ترابه الوطني ، وحتى يتحقق ذلك يجب أن ننظر الى الامور بمنظار العارف بحقيقة الادارة الاميركية وموقفها من قضيتنا ، ومن مجمل قضايا التحرر في عالمنا ، ولعل الدرس الذي قدمته القوى الوطنية اللبنانية بكافة فصائلها ، متحالفة مع سوريا ومع كافة القوى الوطنية والتقدمية في المنطقة

Digitized by Birzeit University Library

خير دليل على ان عدم الرضوخ لابتزاز الامبريالية وأعوانها ، ومن ثم مقاومتها والتصدى لها ،من الممكن ان يعطي ثمرة ،بل وثمرة طيبة ،الى حد الحاق الهزيمة بالقوات الامريكية واجبارها على الفرار ،الامر الذى ترتب عليه افشال السياسة الامريكية ،ووضع حد للتدهور باتجاه فرض الحلول الامريكية على لبنان ،بل واجبار رجل البيت الابيض وادارته على اعادة تقييم سياسته الشرق اوسطية محاولا اعادة توزيع الادوار على وكلائه في المنطقة .

من جهة اخرى ،فان الرجعية العربية ،لا تزال تصر على جر مزيد من الواهمين الى جانب اوهامها الراكضة والزاحفة على اربع ،وراء البيت الابيض ،مدافعة عن السياسة الامريكية محاولة تجميل وجهها القبيح المعادى للشعب الفلسطيني وقضيته ولمنظمة التحرير ولكل شعوب العالم ،فقد نفهم ان تغرق الرجعية العربية في مستنقعها ،اما ان تغرق معها الاخرين فهذا ما لا يقبله احد ،خاصة اذا كان هذا الغرق عن وعي وفهم وادراك ،فالقيادة الفلسطينية تعى جيدا ان الولايات المتحدة وادارتها ،من الد اعداء منظمة التحرير ،وليست في موقف يدفعها الى تقديم تنازلات لصالح حركة التحرر الفلسطينية ، ،طالما حافظت هذه الحركة على المضامين الوطنية والثورية ،ففي تصريح لمجلة الدستور اللندنية حول الضجة آنفة الذكر ،قال صلاح خلف ابو اياد ، "أنا شخصيا لا علم لي بهذه الاتصالات ،ورغم انني اطلعت فيما بعد على بعض الاتصالات التي قام بها المدعو "فروز" وهو شخص يهودى يحمل الجنسية الامريكية ،واعتقد بأن الاتصالات لم تكن على المستوى المطلوب ،وكان الهدف الامريكي منها ،اغراق المنظمة في مشاريع وهمية ،كما صرح "فروز" نفسه ،بعد ان وقع غزو لبنان ،فقد قال "فروز" كنت اتصل بالسيد عرفات من احل ان احرفه عن خط موسكو ، ثم يستطرد السيد صلاح خلف " اما بالنسبة لامكانية فتح باب الحوار مع الولايات المتحدة ضمن سياستها الحالية ،فأنا اعتقد ان لا فائدة من ذلك ،فالولايات المتحدة ،حصرت نفسها في مشروع ريغان كأساس وكحد أعلى للعلاقة مع المنظمة ،ومع الشعب الفلسطيني ،من هنا لو دققنا وفحصنا مشروع ريغان ، لوجدناه الحكم الذاتي الذى نصت عليه اتفاقيات كامب ديفيد ، أو الحكم الادارى الذى رفضه شعبنا ورفضته المنظمة ،وقرارات المجلس الوطني ،لذلك ،ان هذا الباب لا يمكن ان يفتح لنا شيئا جديدا" .. الى هنا والحديث لصلاح خلف ،اذن فالقيادة الفلسطينية تعرف جيدا ان الاتصالات وهمية والحوار حوار طرشان ولا طائل من ورائه على ارضية المواقف المتناقضة ،والموقف العدائي من قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعه ،هذا من جهة ،ومن جهة اخرى ،فان النتيجة التي خرج اليها السيد صلاح خلف وهو واحد من اهم قيادات منظمة التحرير عموما ،ومنظمة فتح خصوصا ،تشير بوضوح الى عدم جدوى الحوار مع غياب قاعدة مشتركة ،أو حتى الحد الادنى من مقومات اى حوار ،أو حتى مجرد خيوط مهما كانت واهية تشجع على امكانية التفاهم والحوار ،ولعل من حقنا على ضوء ما تقدم ان نتساءل ، أليست هذه الخيارات نفسها ـ كامب ديفيد ومشروع ريغان والحكم

Digitized by Birzeit University Library

الذاتي ـ هي نفسها وعلى أساسها تم اللقاء بين عرفات ومبارك ؟! ، أوليست هذه المشاريع نفسها هي الارضية المشتركة التي قام عليها الحوار الاردني الفلسطيني الاخير ، وربما اقل من ذلك بكثير؟! اذن .. لماذا الانجراف نحو انظمة كامب ديفيد ، والحكم الذاتي ، ومشروع ريغان ، والذهاب الى حد تبرير ذلك ؟!

حين ندرك عظم المسؤولية التي يجب ان يتحملها الجميع في هذه المرحلة ، ندرك ايضا ، ان المسؤولية يجب ان تدفع الى وقف التدهور والانتحار ، وبيع دماء عشرات الالاف بلا ثمن ، وتقديم الحق الفلسطيني هدية للرجعية العربية وأنظمة العمالة والتذيل. والمسؤولية كما نفهمها بمحتواها الوطني المرتبط مباشرة مع حقوقنا غير القابلة للتفاوض او الانتقاص منها ، لذلك فان ادانة نهج التذيل للرجعية العربية ، يعتبر جزءا هاما من نضالنا الوطني في هذه المرحلة بالذات ، واذا كان البعض يعتبر ان احياء اللجنة المشتركة هو المكسب الاهم في هذه المرحلة ، فنحن نفهم ذلك حيث كنا لا نزال نشم رائحته من عرائض التهنئة والتأييد التي تزامنت مع بدء مباحثات الملك حسين والسيد عرفات ، وقد رأينا كيف بدأ التخطيط لمشاريع وهمية جديدة ، استعدادا لابتلاع المزيد من اموال "الصمود" والتصدي من خلالها لكل القوى الرافضة لنهج الاستسلام ، وكيف توالت وفود الحجيج الى عمان ، وهي تمنّي نفسها بالخير والبركات .

من هنا فان الرجعية العربية تعيد ترتيب اوضاعها بما يتلاءم والمرحلة المقبلة ، وعليه فقد بات واضحا ان على القوى الوطنية والتقدمية اعادة تقييم اوضاعها وعلاقاتها فيما بينها ، بحيث تخرج الى صيغة تحالف وطني قادر على الوقوف في وجه معسكر الرجعية واليمين العربي ، واحباط كافة مشاريع الاستسلام التي تستهدف وجود ومستقبل ليس فقط الشعب الفلسطيني ، بل والشعوب العربية التي ابتليت بهذه الانظمة ، من هنا فان الاصرار والثبات على الموقف المبدئي الرافض لنهج التخاذل ، يشكل حجر الزاوية ، والخطوة الاولى على طريق اسقاطـــه .

Digitized by Birzeit University Library

نصرة الحركة الوطنية اللبنانية وسوريا أحد معايير الالتزام بمنهج الكفاح الوطني

بقلم - أبو وديدة

كان اللبنانيون ،فيما مضى ،يعرفون عند اخوتهم العرب ،بشعب الطرب والكيف .وكان منبع هذا الوصف يرجع لشدة شغف اللبنانيين بالفن والغناء ،ولعمق عشقهم للجمال ولتفضيلهم نعومة الحياة وليونتها ،ولتعلقهم بالسلام بما يوفره من طمأنينة العيش وهنائه. هكذا كان اسم جبل لبنان مرادفا لصوت الناى ولايقاع الدبكة الشعبية قرب النبع الصافي بخرير مياهه العذب الرقراقة.

وفي السنوات الثماني الاخيرة انتزع شعب لبنان لقبا اخر نقيضا للاول .صار يعرف بشعب البطولة والتضحيات لكثرة ما قدم من التضحيات الجسام ولكثرة ما ضرب رجاله امثلة من صنوف البسالة والاقدام . لكن رغم مغريات اللقب الثاني ظل اللقب الاول هو المحبب والاقرب الى النفس .

هذه المقدمة الرومانسية ضرورية منوجهة نظرى لاخذها بالحساب عند معالجة موضوعنا واذا تجاوزناها ،يمكن القول بثقة ان التضحيات الجسام والبطولة الخارقة التي قدمها ابناء الشعب اللبناني ،وفجرتها حكمة قيادته الوطنية ،بما اثمرت من نجاحات متتالية ،اضافت لتراث النضال الوطني ،اضافة هامة وهي تشكل زاوية الانحسار لازمة حركة التحرر العربية ، وبداية الانعطاف العظيم لمسيرتها في كفاحها الشاق والطويل والمضي ضد الاعداء المتربصين بأوطانها وبآمال وتطلعات شعوبها في حياة حرة كريمة .بداية النهوض من العثرات التي لازمت مسيرة العقد الاخيرالتي حاولت الرجعية وادواتها تصويرها بأنها السمة الرئيسية ، بأنها القدر الذى لا فكاك منـه .

ولقد كان الاحتكام الى المقاييس الكلاسيكية في حساب موازين القوى للاطراف المتصارعة على ارض لبنان ،يقود حتما الى استنتاج وحيد ،اى القبول بنصائح انظمة الرجعية العربية والقائلة بقبول اتفاقية الاذعان والخضوع الكامل لمشيئة اعداء لبنان الداخليين

Digitized by Birzeit University Library

والخارجيين . فحسب تلك المقاييس كان الخلل كبيرا لصالح اعداء لبنان حتى لصالح جيش لبنان الفئوى وحده . ولقد تجاهل المحتكمون لهذا المقياس عن عمد حكمة تجربة الحركة الوطنية اللبنانية المتمثلة باجبار الجيش الاسرائيلي وهو يلعق جراحه على الخروج من الجبل والشوف واقاليم الشحار والخروب وبيروت الغربية . هنا ايضا كان الخلل كبيرا جدا لصالح الجيش الاسرائيلي . وقدم هذا التجاهل خدمة لا تثمن للحركة الوطنية اللبنانية اذ ان اعداء لبنان لم يتوقفوا لامعان الفكر في دروس الجبل والشوف ولدراسة العوامل والاسباب التي قادت لانتزاع قوى وطنية صغيرة ، ولاول مرة ارضا احتلها الجيش الاسرائيلي بقوة السلاح .

وعلى اى حال فان عظمة انجازات الحركة الوطنية اللبنانية ونجاحاتها ، ما تحقق منها وما ينتظر التحقيق ،تتجلى اكثر ما تتجلى ، في انها قدمت مساهمة كبيرة وملموسة على طريق حسم النقاش الدائر على ارض الوطن العربي ،منذ سنوات طويلة ،بين منهجين لعلاج القضايا القومية ،واهمها استعادة الارض العربية المسلوبة ، منهج تبنته وما زالت تتبناه الرجعية العربية ويقوم على الارتماء تحت اقدام القوة واستدرار عطف الامبريالية الامريكية في الضغط على اسرائيل من ذلك الموقع . منهج يقوم على تقديم المزيد من التنازلات والتسهيلات العسكرية وغير العسكرية وتقديم الارض والثروات نهبا لصقور الامبريالية ،بدعوى بعث الامل في امكان تحريك عطف المسؤولين الامريكيين للقيام بالضغط على اسرائيل . اما المنهج الثاني فهو المنهج الكفاحي منهج الصمود والتصدى لقوة العدو الفاشية ولسائر مخططاته التآمرية واحباطها ودحرها وهو المنهج الذى تتبناه فصائل حركة التحرر الوطني العربية وتحتل سوريا الان فيه موقع الصدارة .

لقد كان للمنهج الثاني الذى تطبقه الحركة الوطنية اللبنانية وحلفاؤها ،الفضل في تعديل ميزان القوى واحراز الانتصارات على قوى مسلحة حتى الاسنان ومدربة احسن تدريب . كان له فضل احراز النجاحات المتمثلة في تحطيم والجيش الفئوى وتشتيته ،وهو اداة السلطة اللبنانية ،الرئيسية في فرض مشروع ريغان على لبنان ،جيش وضعت امريكا فيه جهودا كبيرة واستثمرت فيه افضل خبراتها وشاركها في ذلك اسرائيل وبلدان رجعية عربية ،كنس العصابات الفاشية الكتائبية من بيروت الغربية والضاحية الجنوبية واقاليم الخروب والشحار وغيرها حيث كانت قد تركزت هناك بحماية الحراب الاسرائيلية . ولعل النجاح الاكبر كان هروب قوات المارينز للتدخل السريع الامريكية ، التي تواجدت في بيروت باسم قوات حفظ السلام ضمن القوة المتعددة الجنسيات، يجللها الخزى والعار والحاق الشلل باليد العملاقة للاسطول السادس الامريكي المرابط قبالا الشواطئ اللبنانية ،واعجازه عن فعل اى شيء لحرف مجرى الصراع لصالح نظام الجميل .ان بضع طلقات جوبة وطلقات مدافع نيو جيرسي العملاقة لم تستطع اخفاء حقيقة العجز الامريكي على جسم الصراع لصالح المطامع الامريكية . ومن الممكن تصور القادة الامريكيين من خلال عين الخيال نيران غيظ يحاولون كظمه وهم يقفون موقف العاجز امام بيروت . وليس فشل التهديدات الاسرائيلية وغارات سلاحها الجوى عن

Digitized by Birzeit University Library

احداث اثر في الصراع لصالح الكتائب ،وثني عزيمة اللبنانيين الوطنية عن اسقاط اتفاقية الاذعان باقل اهمية من النجاحات الاخـــرى .

وقادت نجاحات الحركة الوطنية اللبنانية في الميدان العسكرى ،المصحوبة بالكثير من الدم الغالي والتضحيات الجسام والدمار الهائل ،الى انتصارات سياسية عظيمة الاثر على كل مجريات الصراع ،ليس في لبنان وحده وانما في سائر انحاء الوطن العربي وخارجه ايضا . فلقد وجدت الرئاسة اللبنانية نفسها مجبرة على العودة لخيار عروبة لبنان وعدم الاخذ بنصائح الزملاء من حكام الرجعية العربية او الالتفات لتحذيراتها من مغبة الغاء الاتفاق . هكذا تمت زيارة دمشق ثم بداية الخطوات على طريق رفض خضوع لبنان للهيمنة الامريكية الاسرائيلية وتحويله رأس حسر ضد سوريا وحركة التحرر الوطني العربية .وكان الجسم في هذا باعلان الغاء اتفاقية الاذعان . وليكتشف عجز اسرائيل ومعها امريكا بقوة الاسطول السادس عن العودة لاحتلال المناطق التي اضطرت للانسحاب منها وابتلاع تهديداتها بهذا الصدد .

وحاول اصحاب منهج الارتماء تحت اقدام القوة ،واستدرار عطف الامبريالية الامريكية بلعق نعالها في هذا المكان ،حرف الصراع وكسب الجولة لصالحهم . لقد رددوا ،وعادوا بعد الغاء الاتفاقية يرددون ،ان اتفاقية الاذعان تشكل السبيل الوحيد لانهاء احتلال الجنوب اللبناني .وبلغت بهم الوقاحة حتى بعد دروس الجبل والشوف ..الخ ،أن تحدوا سوريا والحركة الوطنية بتقديم البديل .ورددوا اكثر من اسرائيل تهديداتها باعادة احتلال ما سبق وانسحبت منه وهي تلعق جراحها . وشكلت تلك الاقوال كالعادة محاولة جديدة لاستلطاح المواطن العربي وتعميته عن الجدل الصاخب الدائر في اسرائيل حول ضرورات الانسحاب من خط جديد وحتى من كل لبنان تفاديا للخسائر البشرية والمادية الباهظة .

لكن سقوط اتفاقية الاذعان حمل معه سقوطا للتهديدات الاسرائيلية والامريكية وسقوطا لمحاولات الرجعية العربية المشار اليها والحاق ضرر لا يمكن التكهن بنتائجه بمنهجهم . وأظهر حزن الرجعية العربية واساها على سقوط الهيبة الامريكية ومصداقيتها في نصرة اتباعها اذا ما تعرضوا للخطر . وعبروا عن هذا الحزن بالندب على ضياع المصداقية الامريكية وضياع قدرتها على لعب دور الحكم النزيه في الصراع العربي الاسرائيلي بعد اكتشافهم لانحيازهـــا الكامل لاسرائيل ،والذى كان قائما طوال ٣٦ سنة .هذا الاكتشاف الذى جاء في الساعات الاخيرة فقط .لكن الحزن لم يمنعهم من الاعلان عن استمرار الارتباط بامريكا والاعتماد عليها وبمعنى ادق استمرار اعتماد نهج الارتماء تحت اقدام القوة .

ما يمكن ابرازه هو ان سقوط اتفاقية الاذعان منح شعبنا فرصة عظيمة .فلقد ردع حكام الرجعية العربية عن المضي قدما في مفاوضات استسلام على حساب القضية الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

وان كان ذلك الى حين . واوقفت تحرشات الانظمة العربية المكشوفة بسوريا وما تعنيه من خلق المتاعب وبعثرة الجهد السوري عملا بتوجيهات الرئيس ريغان اثناء زيارة الملك حسين والرئيس مبارك الى واشنطن مؤخرا .

وخلق سقوط اتفاقية الاذعان ونجاحات الحركة الوطنية اللبنانية التي سبقته مقدمات هامة لتصاعد لهيب المقاومة تحت اقدام المحتلين في الجنوب . هكذا تضخمت ورطة اسرائيل هناك وصاحبت حالة التضخم والمرض في الاقتصاد وتصاعد حملات الهجوم على نتائج ما يسمى بحملة سلام الجليل اى العدوان على لبنان . وازداد تعقد مشكلة الوجود الاسرائيلي في الجنوب مع فقدان اسرائيل الامل في خلق بديل محلي ، على طراز ميليشيات سعد حداد ، تؤمن اهداف حملة سلامة الجليل . وهكذا تتزايد يوما اثر آخر فرص اجبار اسرائيل على الانسحاب من الجنوب اللبناني دون تحقيق اى من اهدافها ، وحتى تتجنب المزيد من اهدار دم ابنائها بدون طائل . وينظر المراقبون الى تهديداتها بالبقاء في الجنوب الى اجل غير مسمى كنوع من محاولات حفظ ماء الوجه ليس الا .

من جديد يقدم المثل المشار اليه دليلا حيا آخر على حيوية المنهج الكفاحي وفعاليته في وجه منهج الارتماء تحت اقدام القوة . وهو ما يؤرق حكام اليمين العربي خوفا من استيعاب شعوبه له . مرة اخرى يسقط التحدى الذى رفعه اصحاب منهج الارتماء في وجه اصحاب المنهج الكفاحي . وعلى العكس يرتفع قفاز التحدى هذه المرة في وجه حكام اليمين الذين لم يسفر منهجهم عن اى نجاح في اخراج اسرائيل ولو من جزء ضئيل كطابا مثلا احتلته بالقوة .

ولما كان يتوجب علينا عدم الانجرار وراء الاوهام والتصورات الخاطئة ، فمن غير الجائز ان اصحاب المنهج الخاسر قد يقبلون التسليم بالنتائج . انهم سيستمرون في التفتيش عما يلحق الاضرار او الشكوك بجدوى المنهج الكفاحي وفعاليته . هكذا تصور اقطاب اليمين العربي انهم وجدوا ضالتهم في النتائج التي توصل اليها مؤتمر لوزان للحوار الوطني اللبناني ، واذا كانت لهجة اعلامهم تعكس امانيهم بفشله اثناء انعقاده ، فانها انتقلت لتعكس لهجة التشفي على ما ظنته فشلا بالفعل .

والتجربة التاريخيةتشير الى ان المؤتمرات التي تضم اطرافا متصارعة انما هي في الحقيقة ميدان صراع آخر تنعكس فيه موازين القوى على الارض . وما دام الحسم لم يتحقق على الارض فان الوصول الى صيغة تسوية وسط هي ما يمكن ان يحققه المؤتمر . هكذا لم يكن وصول مؤتمر لوزان الى كل النتائج الحاسمة الموجودة امرا خارجا عن المألوف . رغم ان الامال كانت تصبو وتتجه الى عدم اراقة مزيد من الدم . اضافة الى علم الجميع بتعقد المشكلة اللبنانية وتراكم الصعوبات الهائلة في طريق حلها . وعلى اساس ذلك فان ما تحقق كان انجازا كبيرا بالفعل . لقد هز مسلمات ثابتة راسخة منذ عصر الاستعمار الفرنسي وما قبله ، مسلمات من الرسوخ بحيث لم تستطع الحرب الاهلية عام ٥٨ رغم كل الدماء والدمار هزها . وعلى العكس اصبح مسلمابه القناعة بان نظام توزيع السلطات الدستورية والتنفيذية والوظائف العليا والجيش وغيره من المؤسسات على اساس

Digitized by Birzeit University Library

طائفي لم يعد مقبولا ولم يعد صالحا للحفاظ على وحدة لبنان. وتوفرت القناعة بضرورة الغاء الطائفية وعلمنة الدولة. لكن لم يتحقق كل ذلك بدون مقاومة من الاطراف ذات المصلحة في بقاء الوضع على ما هو عليه. ومن المحتم الوصول الى النتائج المرجوة ما دامت الحركة الوطنية تتمسك بقوة بمنهج الكفاح الوطني سبيلا وحيدا للحفاظ على وحدة لبنان وعروبته واسترداد ارضه واستقلاله.

فمن هذا الحد لا بد ان القارئ يغدو غير قادر على الاستمرار في كبح التساؤل عن ماهية المنهج الكفاحي ومكوناته وعلاقاتها المتبادلة. وذلك على الرغم من كثرة ترداد الاشارة الى المثال اللبناني الوطني والقائه الضوء الشديد على الكثير من جوانب مكونات هذا المنهج واصالته. ان نجاحات الحركة الوطنية اللبنانية قد جعلت اكثر من اى وقت مضى شروحات المناضلين التقدميين العرب عن ماهية ومكونات هذا المنهج ، اقرب الى الفهم. صار واضحا اكثر معنى الحديث عن الاهمية الفائقة لتعرية مخططات الاعداء وفضح مؤامراتهم والرفض الحازم والقاطع لها والانتقال من التصدى لها الى الهجوم عليها واحباطها ودحرها. ظهرت القيمة الفعلية للمطالب القائلة بعدم الوثوق بما يقطعه العدو من وعود او ما يقدمه من تعهدات ، ضرورة عدم الركض وراء سراب الاوهام التي يبثها العدو والامال التي لا اصل لها التي تخلقها الوعود والتعهدات ..الخ ضرورة نبذ اساليب الفهلوة والمساومة غير المبدئية.

ان واحدة من افضل ما قدمته الحركة الوطنية اللبنانية اثبات صحة ودقة وفعالية المطالب القائلة بالاعتماد على اوسع الجماهير الشعبية والاهمية القصوى لوضوح اهداف النضال المطروحة امامها. والصدق والاخلاص في التعامل معها، في اطلاعها على الحقيقة وعدم خداعها وحشو دماغها بالامال والاحلام الزائفة ، وتعريفها بالصعوبات التي عليها ان تجتازها والتضحيات التي عليها ان تقدمها مختارة ، تعريفها الدقيق باساليب العدو في الخداع والتضليل وكشف خططه وتبيان الطريق الصائب لمواجهته . تعريفها بصدق وامانة على صديقها وحدود امكاناته في الدعم والمدى الذى يمكن الذهاب اليه في الاعتماد على هذا الصديق وكيفية الاستفادة الناجعة من الدعم ، وتعليمها الاخلاص لهذا الصديق وقطع دابر التفكير بالغدر به. ضرب المثل لهذه الجماهير بمواقف القيادة الحازمة والثابتة في رفض مناورات العدو ومواجهته وتعبئة الجماهير بالامل وبحتمية احراز النصر. كل ذلك ضرورى وهام لاجل تعبئة هذه الجماهير ووضعها في ساحة النضال والاستفادة القصوى من طاقاتها الكامنة واطلاق مبادرتها ان ذلك يفجر ابداعات الجماهير وبسالتها ويكشف عن الوان من الشجاعة والبطولة لا يمكن لمقاييس حساب التوازن الكلاسيكية كشفها وادراجها في الحساب.

والمنهج الكفاحي اضافة لذلك يعني ضرورة العمل بكل الطاقة من اجل توحيد جهد وطاقة الجماهير وتعميم مبادرتها الخلاقة، من اجل ان يجد كل قادر على العطاء مكانا له. ان ذلك يتوفر من خلال اقامة الجبهة الوطنية العريضة على اساس برنامج الحد الادنى المشترك. ان هذا البرنامج في لبنان بسيط، وكان كذلك في لبنان لكن دوره

Digitized by Birzeit University Library

الموحد للطاقات يفجر امكانات هائلة.

والجبهة الوطنية في القطرالواحد هي الحلقة الصغرى في جبهة وطنية اوسع ، تضم في مثال سائر فصائل حركة التحرر الوطني العربية والانظمة التقدمية المعادية وغير الموالية للامبريالية واطماعها. فالاعتمادعلى الذات ، كما يروج له اقطاب اليمين ، يهدف الى وضع الجبهة الوطنية في القطر عزلاء في مواجهة جبهة واسعة منطقية وعالمية كما هو حال الكنائب مع اسرائيل وامريكا والرجعية العربية وبلدان اوروبا الغربية.

لقد اجتهدت جبهة الاعداء ، وفي مقدمتها ، اصحاب منهج الارتماء تحت اقدام القوة ، من حكام اليمين العربي، في عزل الحركة الوطنية اللبنانية عن سوريا وعن المقاومة الفلسطينية . وبين سير الاحداث ان دافعها لم يكن الحرقة على استقلال لبنان ووحدته ، والوقوف في وجه المطامع الاقليمية السورية في لبنان كما زعمت ، ولا الوفاء لاستقلالية القرار الفلسطيني ، وانما كان بهدف حصولها على فرصة الانفرادبالحركة الوطنية اللبنانية لتدميرها في وقت قصير والانتقال لتطبيق مشروع ريغان على لبنان كمقدمة لتطبيقه في سائر بلدان المشرق العربي وعلى القضية الفلسطينية على وجه الخصوص.

لم يعد الامر الان يحتاج للبرهنة على اهمية التحالف مع سوريا ، اذ كان من المتعذر على الحركة الوطنية اللبنانية مواصلة معركتها بدون الركون الى حائط الحماية السورية وبدون الاعتماد على امداداتها وتأييدها المعنوى والمادى والسياسي...الخ . ويمكن تحميل الحركة الوطنية اللبنانية الباسلة اكثر مما تقدر على حملهاذاعزونالقوتها وحدها ردع اسرائيل عن تنفيذ تهديداتها.

وكانت الرجعية العربيةقد بنت خطتهاعلى التشكيك ليسفقطفي النوايا السورية تجاه لبنان وما اسمته الاطماع السورية الاقليمية في القطر الشقيق،بل وجود ما اسمته بموءامرة سورية امريكية تستهدف تصفية حركة المقاومة الفلسطينية واللبنانية وبتقديم رأسها للادارة الامريكية تحقق لنفسها مكانا متقدما مضمونا في المخطط الامريكي.ومع ان هذه الاقوال جاءت من انظمة عميلة للامريكان الا انها وجدت للاسف من يصغي لها خصوصا بينالفلسطينيين وساعد على ذلك عدم الوضوح الذى كان يكتنف المواقف السياسية السورية،من خلال الاحتماعات بالمبعوثين الامريكيين.وقاد ذلك الى ان تضع قوى فلسطينية نفسها في مواجهة مع سوريا وقريبا من مواقع الرجعية العربية،وحتى في موقع التشكك من جدوى نضال الحركه الوطنية اللبنانية والتقاعس عن اعلان التأييد لها والانتصار لها احيانا. وازاء هذا الوضع على جماهير الارض المحتلة التي اخذت تنظر بعين الشك والريبة لكل ما يصدر من سوريا. من سوريا .

وهكذاليسان التجربة اللبنانية بددت مزاعم الرجعية العربية فقط ولكنهااثبتت بالبرهان القاطع كم هي ذهبية القاعدة القائلة بضرورة وضوح المواقف من كل من العدو ومن الصديق. وهكذا حين اتصف الموقف السورى بالحزم والوضوح ضد المخططات الامريكية .

Digitized by Birzeit University Library

وأظهرت سوريا المزيد من العزم على مواجهة التهديدات الاسرائيلية الامريكية مهما غلا الثمن تبددت الشكوك في الموقف السوري وسقطت المراهنات على منهج اليمين العربي المعتمد على تقديم التنازلات تلو التنازلات لامريكا ،وتتزايد المطالبة لقوى حركة المقاومة بالبحث عن سبل اعادة لحم الصف والوقوف معا في خندق واحد مع سوريا والحركة الوطنية اللبنانية كسبيل مضمون وحيد لاستعادة الحق الفلسطيني .

وكما كان صحيحا عدم تحميل الحركة الوطنية اللبنانية وحدها مسؤولية ردع القوة الاسرائيلية وافشال تهديداتها بالعودة لاحتلال لبنان ،ينطبق نفس الحال على الحركة الوطنية اللبنانية وسوريا في اصابة العملاق الامريكي الرابض امام السواحل اللبنانية بالشلل والعجز المشين ولا يتصورن احد ان الاسطول الامريكي جاء للاستمتاع بشمس بيروت ولاجراء بعض التمارين الرياضية على مرأى متفرجين لبنانيين .

ومنهج الكفاح الوطني يأخذ بأشد الانتباه والاهتمام مسألة الركون الى حليف عالمي جبار يستطيع تقييد حركة العملاق الامريكي . وهذا الحليف الجبار يوفره فقط الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية. وعلى الذين يصدقون مزاعم الرجعية العربية القائلة بالحرص على عدم ادخال المنطقة في دائرة الاستقطاب الدولي ،أن يتصوروا بعين خيالهم ما كان يمكن ان يفعله الاسطول السادس بجبل لبنان لو لم يأخذ الجالسون في البيت الابيض حساب رد الفعل السوفييتي . انهم يقرون بهذه الحقيقة .

ولذلك يكون لزاما على المرء ان يفكر بالدوافع الامريكية ودوافع الاتباع لبذل كل هذه الجهود الكبيرة وحبك الدسائس الكثيرة للمس بالصداقة العربية السوفيتية ،وبمعاني عدم الاخلاص او عدم الصدق والاستعداد للتفريط بهذه الصداقة او المس بها . ان هذه الجهود تهدف ببساطة الى وضع تلك الدول عزلاء حتى يسهل اقتناصها وامثلة مصر والسودان والصومال حية لا تحتاج الى اعادة البرهنـــة .

ما يمكن استخلاصه في النهاية ان منهج الكفاح الوطني اثبت انه السبيل الوحيد لاستعادة الحق ،أثبت حيويته وصلاحية واثبت ان احد معايير الالتزام به هو العودة الى نهج الصمود والمواجهة الى جانب سوريا وحركة المقاومة الفلسطينية ،أحد المعايير هو تقديم كل الدعم والمناصرة للجبهة الوطنية اللبنانية الباسلة . ويا شعب لبنان احببناك شعبا للطرب والكيف وتعمق حبنا لك حين انتزعت لقب شعب البطولة والتضحيات .

Digitized by Birzeit University Library

الأزمة الاقتصادية في اسرائيل ملامحها .. وانعكاساتها

بقلم : غسان الخطيب ـ جامعة بير زيت

مقدمة

اثارت الازمة الحادة التي اجتاحت كافة جوانب الحياة الاقتصادية في اسرائيل اهتماما غير عادى وذلك بسبب حدتها غير العادية وانعكاساتها على مستوى الحياة الاجتماعية في اسرائيل وكذلك بسبب ارتباطها بعوامل سياسية تتعلق بالمهمة الرئيسية لاسرائيل في المنطقة وهي حماية المصالح الامبريالية.هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فقد اثارت هذه الازمة كذلك موجة قلق عارمة لدى سكان المناطق المحتلة وذلك بسبب انعكاساتها الخطيرة عليهم . وفي هذه الدراسة ، سوف احاول ان اتعرض بالتحليل لارتباط هذه الازمة بأزمة الرأسمال العالمي وكذلك بخصوصيات الازمة في اسرائيل وانعكاساتها المدمرة على سكان المناطق المحتلة وذلك بعد ان اعرض باختصار المفهوم النظرى لمرض التضخم المالي في الاقتصاد الرأسمالـــي .

المفهوم النظرى لازمة التضخم المالـي :

تعتبر "البضاعة" وحدة البناء الاساسية في الاقتصاد الرأسمالي وتعرف على انها "شيء يلبي حاجة انسانية ويمكن مبادلتها ولها قيمة استعمالية وقيمة تبادلية " اما القيمة التبادلية فهي شكل تجسد القيمة في البضاعة والقيمة يحددها مقدار العمل المجرد، الضرورى اجتماعيا لانتاجها ،اما العمل الملموس فهو الجهد المباشر لانتاج البضاعة مثل عمل النجار في انتاج طاولة،اما العمل المجرد فهو مجموع المجهودات الاجتماعية المتراكمة

Digitized by Birzeit University Library

والتي تهيء الامكانية لانتاج هذه البضاعة ، فانتاج الطاولة من قبل النجار يتطلب تعلم النجار للمهنة وتضيم اكل له وانتاج ادوات حديدية يستخدمها في عمله المباشر وغيرها من الاعمال التي تعتمد على جهد متراكم لزمن طويل ولمجهودات متكاملة من المجتمع بشكل عام .واما العمل المجرد فهو خالق القيمة التبادلية او القيمة بشكل عام ،

اما العمل الملموس فهو خالق القيمة الاستعمالية .قلنا ان القيمة التبادلية هي شكل تجسد القيمة وقد تطور التبادل (المعبر عن القيمة) عبر اشكال مختلفة من التبادل البسيط الى وجود معادل عام حتى وصلت الى الشكل النقدي الذي بدأ بالمعادن النفيسة وفيما بعد اصبح الذهب هو الانعكاس النقدي للقيمة الذي أخذ يعبر عن نفسه لتسهيل التبادل بالاوراق النقدية . وبالتالي فان مجموع النقود في السوق يجب ان تمثل قيمة مجموع البضائع ،ولكن قانون العرض والطلب خلق هناك امكانية لاحتمالات العلاقة التالية بين السعر والقيمة : فاذا تساوى العرض مع الطلب تساوى السعر مع القيمة ،واذا زاد الطلب عن العرض كان السعر اعلى من القيمة ،واذا قل الطلب عن العرض كان السعر اقل من القيمة ،هذا على المدى القريب اما على المدى البعيد فعلى الاقل نظريا فان مجموع الاسعار يجب ان تساوى مع مجموع قيم البضائع .وبالتالي فان كمية النقود المطروحة للتداول في السوق يجب ان تساوى مع قيمة البضائع في نفس السوق وليس بشكل عشوائي وهذه المعادلة هي التي تحدد كيف تتلائم كمية النقود مع مجموع قيم البضائع على اساس علمية .

$$\text{كمية النقود في السوق} = \frac{(\text{مجموع اسعار البضائع المباعة} - \text{مجموع اسعار البضائع المباعة بالدين}) + (\text{كمية الديون المستحقة} - \text{كميات البضائع بالتقاص})}{\text{الدورة النقدية (سرعة تداول النقود)}}$$

فاذا تساوى شقا المعادلة فمن المفروض ان يستقر الاقتصاد ويتوازن ولكن يحدث احيانا ان يزيد مقدار الشق الاول من المعادلة اى كمية النقود عن الشق الثاني وهنا منبع ازمة التضخم فكيف يتم ذلك ولماذا ؟

ان القاعدة لفهم الاجابة على هذا التساؤل تكمن في طبيعة النظام الرأسمالي القائم على مبدأ تحقيق الربح الاقصى للرأسمالي،هذا المبدأ الذي يؤدي مع الزمن الى تكديس الاموال في ايدي القلة المالكة لوسائل الانتاج،ويحرم الاكثرية الساحقة من هذه الثروات مما يؤدي الى انخفاض القوة الشرائية لدى هذه الاكثرية فيقل الطلب على البضاعة في السوق، مما يؤدي الى كسادها الامر الذي يؤدي الى حاله من الركود الاقتصادي تدفع الرأسماليين الى تقليل الانتاج مما يحد من مقدار الدخل القومي للبلد وتبدأ الازمة . وليست هذه هي النتيجة الوحيدة لطبيعة النظام الرأسمالي الميال للربح الاقصى فله طبيعة اخرى هي العدوان بدافع نهب ثروات الشعوب الاخرى لمضاعفة الربح وكذلك شن الحروب بين الدول الرأسمالية في سباق التنافس على تقاسم الثروات والاسواق ، وهذه السياسات العدوانية وهذه الحروب تشكل عبئا على الدخل القومي الحقيقي الامر الذي يفاقم الازمة ويعمقها .

Digitized by Birzeit University Library

فاذا اضفنا للعاملين سالفي الذكر عامل جديد واكثر حسما وهو انفصال العالم الاشتراكي عن السوق الرأسمالي وكذلك اتجاه العديد من الدول المتحررة وجهه معادية للامبريالية تنفصل هي الاخرى بدورها عن النظام الرأسمالي، نستطيع تفسير المأزق الذى وصل اليه النظام الرأسمالي حيث ان الكساد وضيق السوق وتضاؤل امكانيات النهب والمصروفات الباهظة للحروب الاستعمارية هذه العوامل مجتمعة ادت الى انخفاض معدل الدخل القومي ونقص في مدخولات الدول الرأسمالية اعاقها عن الايفاء بمصروفاتها مما دفع بهذه الدول لمعالجة هذا القصور عن طريق طبع اوراق نقدية اضافية بكميات اكثر مما تحتمله المعادلة السالفة الذكر اى اكثر مما يحتمله الاقتصاد لتلك الدول ، بمعنى اخر تصبح كمية النقود المتداولة أكثر من مجموع قيم البضائع الحقيقية فتصبح هذه النقود غير معبرة عن القيم الحقيقية لهذه البضائع وبالتالي فان زيادةالنقود تقلل من قيمتها الشرائية ويصبح هناك طلب شكلي على البضائع اذ يصبح لدى الجمهور كمية كبيرة من النقود لكنه لا يستطيع ان يشترى بها فعلا فينعمق الكساد ويتكرر طبع النقود الزائدة للمعالجة وهكذا يدور الاقتصاد في حلقة التضخم المالي المفرغة "فالتضخم في مثل هذه الاحوال لا يستعصي على الفهم: كميات كبيرة من النقود تطارد كميات ضئيلة من السلع "٠(١)

ومن اجل معالجة هذه الازمات التضخمية ظهرت العديد من النظريات ابرزها المعالجة عن طريق السياسات المالية للبنوك المركزية حيث ترفع الفوائد على القروض المهيئة للاستثمار مما يؤدى الى التقليل من سحب هذه القروض فتقل السيولة الاستثمارية بهدف التخفيف من حدة التضخم والسياسة الاخرى التي اعتمدت بشكل رئيسي بهذا الصدد هي البطالة فمن خلال خلق جيش من العاطلين عن العمل تتحقق نتيجتين الاولى : يفقد العمال امكانيات المناورة لرفع الاجور بسبب جيش الاحتياطي من العاطلين عن العمل مما يقلل الاجور وبالتالي يخفف السيولة بهدف امتصاص الفائض، والثاني : هو ان وجود عاطلين عن العمل يقلل من مجمل دفع الاجور مما يعزز الهدف السابق بهدف تخفيف حدة التضخم المالي ،لكن هذه السياسة (سياسة البطالة) سلاح ذو حدين ،فهو من ناحية يقلل من السيولة النقدية فيحد من التضخم ،ولكنه في الوقت ذاته يقلل القوة الشرائية فيخفض من معدل النمو الاقتصادى مما يؤدى الى ظاهرة الكساد فالركود فالازمة من جديد وبالتالي تعود وتيرة التضخم الى التنامي مجددا ،مما اوقع الاقتصاد الرأسمالي في المراوحة بين امران احلاهما مر: البطالة او التضخم ،الى ان جاء المنظر الاقتصادى الرأسمالي "كينز" الذى حاول حل هذه المعضلة بالروح التالية . " لا تحاربوا العمال بقسوة حول الزيادات في الاجور وفوق كل شئ لا تحاولوا انهاك العمال عبر زيادة البطالة . عليكم فقط ان تعطوا العمال ما هو كاف من الاجور النقدية لكي يكونوا سعداء في هذه المرحلة ،ثم ... وفي غفلة من العمال ،سارعوا الى زيادة الاسعار بشكل يعوض زيادة الاجور (بتعابير ماركسية : اجعلو زيادة الاسعار تحل مكان الجيش الصناعي الاحتياطي)"(٢) ولكن ما هي نتيجة هذه السياسة ؟ الواقع ان النتيجة كانت ما نراه اليوم من التعايش القاتل ما بين البطالة والتضخم .

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا ومنذ اواخر الستينات وعبر السبعينات من القرن الحالي شهدالاقتصاد الرأسمالي ازدياد مضطرد في معدل البطالة وفي نسبة التضخم المالي وانخفاض موازي في النمو الاقتصادي ،وفي رأيي ان الاستثناء الذى ظهر في اواخر العام الماضي ومطلع هذا العام والذى تمثل فى انخفاض وتائر التردي الاقتصادى في الولايات المتحدة هو ظاهرة شكلية ومؤقتة وذلك لانه راجع للاسباب التالية :

أولا : سياسة تسعير سباق التسلح وخلق بؤر توتر في مناطق مختلفة من العالم في محاولة لعسكرة الاقتصاد الامريكي بهدف تنشيط هذا الفرع من الاقتصاد بغية تقليل البطالة من خلال زيادةالعمالة في هذا الفرع الامر الذى يؤدى الى تنشيط الطلب في السوق وبالتالي الحد من الكساد والركود .

ثانيا : سياسة اجتذاب المدخرات من اوروبا الى امريكا بوسائل عديدة منهاتنشيط الدور البوليسي للولايات المتحدة في العالم وظهورها بمظهر الحامي للمصالح الرأسمالية في العالـــم .

ثالثا . زيادة اعتماد الدولار كاحتياطي نقدى للعالم الرأسمالي حيث تعجز اى عملية اوروبية عن اداء هذا الدور .

رابعا افتراب موعد الانتخابات الامريكية التي تعكس تصارع بين الاحتكارات الرأسمالية الكبرى مما يعكس نفسه في تنشيط فروعهذه الاحتكارات بهدف تحقيق مصالح انتخابية لمرشحيهـــا .

خصوصية الازمة في اسرائيل :

ينسحب ما ذكرناه انفا حول ازمة الرأسمال العالمي على اسرائيل ذلك انها دولة رأسمالية من حيث نظامها الاقتصادى ،كما ان هناك تداخل بارز جدا بين اقتصادها والاقتصاد الرأسمالي من حيث التبادل التجارى ومن حيث الاستثمارات الاجنبية وغيرها من العوامل ، الا ان هناك ثمة خصوصيات ينفرد بها الوضع الاقتصادى الاسرائيلي تجعل الازمة فيها أكثر حدة بما لا يقاس بمثيلاتها من الدول الرأسمالية ،فاذا كانت الانفاقات الحربية للدول الرأسمالية تساهم في خلق التضخم المالي كما رأينا ،فان دور الشرطي الحامي للمصالح الامبريالية في المنطقة والسياسة العدوانيةالهادفةالى قمع اى تنامي فيحركة التحرر العربية بهدف التقدم الاجتماعي وباتجاه الانفصال عن العالم الرأسمالي ،تضاعف من اثر هذه السياسة العدوانية على المصروفات الاسرائيلية غير المنتجة مما يضاعف منمعدلات التضخم لدرجة انها وصلت الى اعلى نسبة تضخم في العالم على الاطلاق .ففي حين كانت النفقات العامة للحكومة الاسرائيلية (وغالبيتها الساحقة في مجال التسليح طبعا) عام ١٩٧٧ لا تتجاوز ٥ مليار دولار نجد انها في عام ١٩٨٣ قفزت لتصل الى ٨٨ مليار وبالتالي فان الزيادة في الدخل القومي هي زيادة وهمية ورقمية ،الامر الذى ادى الى ارتفاع هائل في الاسعار ،وكذلكالى طبع كميات هائلة من الاوراق النقدية الاسرائيلية حيث يتراوح ما تطبعه

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل سنويا من الاوراق النقدية ما بين اثنين الى ثلاثة مليارات شاقل . وليس هذا وحسب فالتضخم في اسرائيل من نوعية غاية في التعقيد اذ انه له طبيعة مزدوجة فهو من ناحية تضخم مقرون بزيادة الطلب Demand Pull Inflation :وهذا معناه ان الانفاق الحكومي النابع من طبع اوراق نقدية بدون تغطية يخلق طلب وهمي يؤدي الى رفع الاسعار مما يزيد التضخم . ومن ناحية اخرى فهو تضخم مقرون بزيادة التكاليف Cost Push Inflation ومعناه ان ممارسات الهستدروت الاحتجاجية تؤدي الى زيادة في الاجور (زيادة رقمية وهمية) مما يزيد تكاليف الانتاج فيقل الانتاج وبالتالي ينخفض العرض فيرتفع بالنتيجة السعر مما يغري المنتجين باعادة تنشيط الانتاج فيزداد الطلب على الايدي العاملة فينخفض جيش العاطلين عن العمل وتزداد قوة العمال ومطالبهم وهكذا تعود التكاليف للارتفاع ..الخ. واما السمة الثالثة للتضخم فهي مزيج من النوعين السابقين وتسمى Stag Flation وهذا ما تشاهده اليوم في اسرائيل من اقتران التضخم بالركود حيث ترتفع نسب التضخم من ناحية ويزداد عدد المشاريع المنهارة والشركات المفلسة وبالتالي ترتفع نسبة البطالة .

وعلى كل حال ،فلو وقفت المسألة في اسرائيل عند هذا الحد لكانت الازمة الاقتصادية في اسرائيل عادية يمكن العمل على تخفيفها بوسائل العلاج التقليدية للتضخم .ولكن تشابك القضايا السياسية مع القضايا الاقتصادية اعطى الازمة في اسرائيل بعدا غير عادي، فاسرائيل لا تستطيع معالجة التضخم من خلال البطالة لان ذلك يتعارض مع ظروفها السياسية ،ذلك انها تعتمد في كيانها على محاولة استقطاب المهاجرين الجدد، ومن ابسط وسائل الجذب توفير فرص العمل لهم ،ثم ان وجود حزب العمل في المعارضة السياسية للحكومة وفي قيادة الهستدروت يعيق امكانية تخفيض الاجور او خلق البطالة مما يضطر الحكومة لرفع الاسعار بنسبة تقارب الى حد ما نسبة التضخم المالي مما يجهض اية محاولة تقليدية للعلاج .الامر الذي دعى وزير الاقتصاد الاسرائيلي اريدور الى محاولة انتهاج سياسة راديكالية للخروج من الازمة اعتمدت الاسس التالية :

اولا . تخفيض قيمة الاسهم بنسبة ٢٣ ٪ .

ثانيا تقليص الدعم لبعض المنتوجات الاساسية

ثالثا : رفع ضريبة السفر الى ما يقارب مائة دولار للفرد .

رابعا رفع نسبة الضريبة التصاعدية الى ٧٠ ٪ .

خامسا تخفيض نفقات الحكومة بحوالي مليار دولار .

كانت هذه الخطوط العريضة لسياسة الخروج من الازمة لكن نتيجتها الوحيدة الواضحة كانت خروج اريدور من الوزارة لانه من خلال مقترحاته السالفة الذكر وضع النظام المالي الاسرائيلي على حافة الانهيار الكلي اذ ان الجمهور فقد الثقة بالسياسة المالية للحكومة واقبل على بيع الاسهم والاتجاه الحاد لشراء الدولار للمحافظة على المدخرات، الامر الذي خلق عرض هائل للاسهم في السوق المالي مما قلل قيمتها فتضاعفت الكارثة بالنسبة لحاملي الاسهم الامر الذي دعى الحكومة لاغلاق السوق المالي لعدة ايام .(٣) .

Digitized by Birzeit University Library

5 MAY

ولو اردنا تلخيص خصوصيات الازمة الاقتصادية في اسرائيل بناءا على ما تقدم فاننا نقول ان خصوصية هذه الازمة الاقتصادية نابعة من كونها ليست اقتصادية في الواقع ذلك ان الازمة لا تنبع من اعتبارات اقتصادية فحسب بل من عوامل سياسية وايديولوجية (فالسياسة العدوانية التوسعية) لاسرائيل تدفعها الى انفاق ٤ – ٥ مليون دولار على الاستيطان في الضفة والقطاع وكذلك الى انفاق مليون دولار يوميا على وجودها العسكري في لبنان (٤) وهذه السياسة هي المسؤولة عن وصول نسبة التضخم (بناء على احصائيات مكتب الاحصاء الحكومي) لعام ١٩٨٣ الى سبة ١٩٠٧ر٧ ٪ ووصول نسبة غلاء المعيشة الى ١١٦ر٦ ٪ لنفس العام وكذلك بلغ عدد العاطلين عن العمل لمدة ستة ايام على الاقل في شهر كانون ثاني ١٩٨٤ الى حوالي ١٣٤٣٣ عامل، مقابل ١٠٧٠ عامل في شهر كانون اول من السنة الماضية (٥)، وعلى من لا زال لديه شك في علاقة هذه النتائج الاقتصادية بالمقدمات السياسية ان يتأمل فقط المقارنة التالية : تصرف اسرائيل على ميزانية الدفاع ٢٤٪ من دخلها القومي الاجمالي السنوي، بينما يصرف الاتحاد السوفياتي في نفس المجال فقط ٧٪ من دخله القومي الاجمالي السنوي.

وقد توصل الى هذا الاستنتاج حول علاقة الازمة بارتفاع المصروفات الحكومية غير المنتجة فريق الاساتذة الاسرائيليين، فقد جاء في بيان وقع عليه ٢٥ بروفيسورًا اسرائيليًا ما يلي : " وكلنا قناعة ان تخفيضا كبيرا في مصاريف الحكومة هو بمثابة مفترق طرق، وهو شرط لازم لانقاذ الاقتصاد ولهذا نتوجه للحكومة ان تتبنى دون تأخير سياسة تقليص المصروفات وان انتهاج اي سياسة اخرى سيكون معلما موكدا لكارثة اقتصادية "(٦) هذا هو رأي رجال الاقتصاد، ولكن الحلول الاقتصادية لا تجدي لسببين اولهما ان اسباب المرض ليست اقتصادية حتى تكون معالجته اقتصادية، وثانيهما ان اي علاج اقتصادي يمر عبر تخفيض نفقات الحكومة العسكرية وهذا ما يتعارض جذريا مع المهمات الموكولة لاسرائيل في المنطقـــــة

ولهذا فلم تعر القيادة السياسية في اسرائيل اي اهتمام لهذه النتائج الاقتصادية بل سارع اسحق شامير بعد فشل خطة اريدور الاقتصادية لاستخدام العامل السياسي للخروج من الازمة حين سافر للولايات المتحدة على اثر الازمة الاخيرة مطالبا اياها برفع اجور دور الحراسة الذي تقوم به اسرائيل تجاه المصالح الامبريالية كوسيلة وحيدة لتجنب انهيار اقتصادي تنهار معه كل مراهنات امريكا في المنطقة وطبعا فان الولايات المتحدة لا تستطيع الاخلال بالتزاماتها تجاه اسرائيل لان الاخيرة لا تقدم خدمات سياسية وعسكرية فحسب وخدمات انتخابية تحتاجها الادارة الامريكية في هذا الوقت بالـــذات .

تأثيرات الازمة الاقتصادية في اسرائيل على اقتصاد المناطق المحتلة :

لقد عملت سلطات الاحتلال منذ البداية على ازالة اي نوع من الحدود الاقتصادية بين اسرائيل وبين المناطق المحتلة لدرجة اضحت معها الضفة الغربية وقطاع غزة اكبر مستورد من

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل في العالم بعد الولايات المتحدة ،ومن ناحية اخرى فان ٨٠ الى ٨٥ الف عامل من هذه المناطق يعملون في اسرائيل . اضافة لذلك فان السكان في المناطق المحتلة يتعاملون بالشاقل ويخضعون لنظام ضرائب اسرائيلي ولاسعار واحده وبالتالي فان كل امراض الاقتصاد الاسرائيلي مستشرية في المناطق المحتلة بحكم العدوى النابعة بالضرورة من خضوع اقتصاد الضفة للاقتصاد الاسرائيلي . وليس هذا فحسب ، بل ان الاحتلال عمد الى سياسة اقتصادية في المناطق المحتلة هدفت الى جعلها مصدر قوى عاملة لاسرائيل وكذلك سوق لتصريف بضائعها اضافة لجعلها مركزا تصنيعيا مكملا لبعض الصناعات الاسرائيلية الخفيفة . ان ترتيب مساهمة القطاعات المختلفة في دخل الضفة هي كالتالي : الزراعة والغابات والثروة السمكية ،ثم الصناعات ،فالبناء فالخدمات واخيرا المواصلات والتجارة ،ففي حين شكلت الصناعة ٧٪ فقط من الدخل القومي عام ١٩٦٥ نراها تنخفض الى ٦٪ عام ١٩٧٥ ، وانخفضت الى ٤ر٤ ٪ عام ١٩٧٩ (٧) . هذا بالذات على مستوى الضفة وهذا يعكس سياسة اسرائيلية هادفة ليس فقط الى عدم تشجيع التصنيع في الضفة بل الى عرقلته من خلال المنافسة غير المتكافئة والدعم الحكومي للمشاريع الصناعية الاسرائيلية وكذلك القوانين التي تمنع تجار وصناعيي الضفة من الاستيراد الا عبر مستورد اسرائيلي وما الى ذلك من قوانين جائرة .

وقد شهدت الطبقة العاملة في الضفة ايضا تغيرات في اماكن العمل تدعم في محصلتها الاستنتاج السابق كما سنرى :

ففي حين عمل في الضفة عام ١٩٧٠ ٩ر٨٧٪ من عمالها ،وعمل منهم في اسرائيل نسبة ١ر١٢ ٪

بينما عمل في الضفة عام ١٩٧٥ ٦ر٦٧ ٪ من عمالها ، وعمل منهم في اسرائيل نسبة ٤ر٣٢ ٪

وكذلك فقد عمل في الضفة عام ١٩٧٩ ٦٥ ٪ من عمالها ، وعمل منهم في اسرائيل نسبة ٣٥ ٪ .

أي ان ثلث الطاقات العمالية من ابناء الضفة اصبحت تعمل في اسرائيل (٨) .

اما على صعيد الاستثمارات فتؤكد الدراسة الميدانية التي اجراها الدكتور بكر ابو كشك ان ٨٠٪ من الوحدات الصناعية في الضفة والقطاع لم يزد حجم الاستثمار فيها عن ٩ الاف دينار وان ٨٪ فقط زادت عن خمسين الف دينار اردني .

وعلى مستوى التجارة الخارجية فقد ربطت السلطات تجارة الضفة والقطاع بالتجارة الاسرئيلية واضحت صلة الضفة مع العالم تجاريا من خلال الوسطاء التجاريين الاسرائيليين وبخضوع تام للقوانين الاسرائيلية وهكذا ارغم اهالي الضفة والقطاع على التبادل مع اسرائيل بشكل رئيسي وحين يكون التبادل التجاري بين طرفين فالاقوى يفرض شروطه طبعا .

Digitized by Birzeit University Library

لقد ارتفع استيراد المناطق المحتلة من المنتوجات الاسرائيلية الى نسبة ٨١٪ عام ١٩٧٠ بينما وصلت عام ١٩٧٩ الى نسبة ٨٨٪ في حين انخفض الاستيراد من الاردن الى نسبة ١٪. وتفرض اسرائيل سياستها هذه من خلال : اولا : انعدام نظام مصرفي عربي. ، ثانيا : دفع جمارك عالية من جانب المستورد العربي عبر الوسط الاسرائيلي ، ثالثا : المنافسة غير المتكافئة في اسواق الضفة بين المنتج العربي والاسرائيلي ، رابعا : عدم وجود سلطة تخطيط اقتصادي . خامسا : عدم وجود اى نظام اقراض صناعـــي او زراعـــي ، سادسا : خضوع نظام دعم الصمود لاعتبارات شراء الذمم السياسية مما يجرده من اى منافع اقتصاديـــة .

لذلك فنحن نرى ان المصانع العربية تعمل بأقل من طاقتها الانتاجية ، ان ٢٠٪ من مصانع القطاع تعمل باقل من ٥٠٪ من طاقتها الانتاجية و ٥٪ فقط يزيد عملها عن ٩٠٪ من طاقتها الانتاجية ، وفي الضفة فان ٧٠٪ من المصانع تعمل باقل من ٥٠٪ من طاقتها الانتاجية و ١٤٪ من مصانع الضفة تعمل بحوالي ٩٠٪ من طاقتها الانتاجية (٩) .

وغني عن القول ان سياسة الاستيطان ومصادرة الاراضي الزراعية واحتكار الابار الارتوازية من جانب المستوطنين كذلك منافسة المنتوجات الزراعية الاسرائيلية المتطورة وعراقيل التصدير من الجانبين الاسرائيلي والاردني ساهمت في تردي الاوضاع الزراعية لدرجة اشرف معها عدد من المزارعين على الافلاس وكان هذا احد الاسباب التي دفعت ما يقارب ٨٠٠ الف مواطن لترك المناطق المحتلة والهجرة خلال فترة ما بين سنة ١٩٦٧ الى سنة ١٩٨١ فقد تم مصادرة ٣٥٦٨٠ دونم اقيمت بها ١٠١ مستوطنة سكنها ١٥٥٠٠ اسرائيلي منهم حوالي ١٠ الاف في الضفة (١٠) .

هذه بعض اثار السياسة الاقتصادية المدمرة التي انتهجتها الحكومة تجاه المناطق المحتلة على مدى سنوات الاحتلال الطويلة ، ولكن الامر لم يقتصر على ذلك . اذ ان تفاقم الازمة الاقتصادية مع نهاية العام المنصرم وضع على اقتصاد سكان المناطق المحتلة اعباءً مضاعفة واصبحت حياتهم معها جحيما لا يحتمل الا بفعل روح الصمود والتمسك بالارض التي يتحلى بها سكان هذه المناطق وتركزت هذه الاعباء بشكل خاص على كاهل الطبقة العاملة ، فقد افادت مصادر الهستدروت مؤخرا ، ان اجور العمال العرب من سكان المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل تقل بنسبة ٤٠٪ عن اجور العمال الاسرائيليين : " وكذلك فان العمال العرب الذين يتوجهون الى مكاتب التشغيل يلاحظون اشتراط موظفي هذه المكاتب على اصحاب العمل الاسرائيليين تشغيل العمال اليهود اولا ويمكن تشغيل العمال العرب فقط في حالة عدم توفر عمال يهود عاطلين عن العمل في المنطقة " (١١) وعلى ضوء الارقام السابقة حول نسبة البطالة في اسرائيل يمكننا ان نستنتج مدى البطالة المتفشية في صفوف الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة هؤلاء العمال المحرومين من اطار نقابي معترف به من جانب اصحاب العمل الاسرائيليين ، وهذه البطالة تؤدي الى اضرار جانبية بالغة في اقتصاد الضفة والقطاع ذلك

Digitized by Birzeit University Library

ان تفشي البطالة يقلل من القوة الشرائية في الاسواق المحلية مما يخلق الكساد في تصريف البضائع المنتجة محليا ويفاقم ازمة المصانع والمزارع العربية في المناطق المحتلة الامر الذي يدفع اصحابها الى تسريح عدد من العمال مما يعود فيفاقم ازمة البطالة فيها .

ولو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر قطاع اخر من قطاعات العاملين في المناطق المحتلة هو قطاع المعلمين الذين يبلغ عددهم في الضفة الغربية ٧٢٠٠ معلما ومعلمة لرأينا ان معدل راواتبهم بلغ في نهاية شباط ١٩٨٤ حوالي ٣٦٠٠٠ شاقل وهذا المعدل يقل ٢٠٪ عن القيمة الشرائية الفعلية للرواتب التي كانوا يتقاضونها في بداية عام ١٩٨٣ ، مع العلم ان رواتب المعلمين في اسرائيل وصلت الى معدل ٦٠٠٠٠ شاقل في نفس الشهر (١٢) . وهذه النسب تنسحب ايضا على رواتب باقي موظفي الحكومة تقريبا .

الخاتمـــة :

في رأيي ان كل ما تقدم من معلومات وتحليلات وارقام لا تؤدي مدلولاتها العلمية الصحيحة اذا لم تقرأ قراءة سياسية فالساحة الفلسطينية في الخارج والداخل وكذلك الساحة الاردنية وبعض التحركات الدولية تشهد دفعا حادا باتجاه الخيار الاردني ولا خلاف على ان الهدف الرئيسي للاحتلال من وراء هذه السياسة هو الدفع باتجاه تفريغ الضفة والقطاع من السكان العرب تمهيدا لضمها انسجاما مع السياسة التوسعية الاسرائيلية . ولكن من الاهداف الجانبية والهامة لهذه السياسة محاولة استثمار هذا الواقع الصعب الذي يعيشه سكان المناطق المحتلة من قبل التيار الاردني الذي يستخلص من هذه الازمة استحالة التعايش معها ويبني على ذلك دعوته الى ضرورة الخلاص عبر الطريق الوحيد المتاح وهو الارتباط بالاردن ، والذي يؤكد ذلك هو ان سياسة الدعم الاردنية تخضع لهذا المعيار ايضا ، فهي تحرم المتضررين الحقيقيين من فرص العون وتساهم في تنمية الشرائح الاجتماعية ذات التوجه السياسي الاردني وكأن هناك تكامل مدروس بين التضيق الاسرائيلي وبين محاولة استثماره من قبل التيار الاردني . خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار انخفاض الثقة في البديل المطروح من قبل المنظمة بسبب واقعها الحالي المتمثل في انقسامها وفي عدم تصديها للنهج الاردني بشكـل واضـــح .

قائمـة المراجع والدوريات :

١) موريس ، هاكوب : ازمة الرأسمالية العالمية الراهنة ، بيروت ، ص ٤٢
٢) المصدر السابق ص ٤٦

Digitized by Birzeit University Library

٣) بعض الارقام الواردة في هذه الفقرة مستقاة من محاضرة للدكتور بكر ابو كشك في جامعة بيرزيت .

٤) صحيفة القدس ـ القدس : ٧ / ٣/ ١٩٨٤

٥) صحيفة الاتحاد ـ حيفا ١٩٨٤/٢/١٦

٦) صحيفة الاتحاد ـ حيفا : ١٩٨٤/١/١٠

٧) ابو كشك ،بكر: الصناعة العربية في الاراضي المحتلة ،مؤتمر التنمية من اجل الصمود القدس ص ٩

٨) المصدر السابق ، ص ١١

٩) المصدر السابق ، ص ٢٥

١٠) الملتقى الفكرى العربى : الواقع الزراعي في المناطق المحتلة وضرورات التنمية من القدس، ص ٧

١١) الطليعة ـ القدس : ١٩٨٤/٣/١٥

١٢) انظر البيان الصادر عن اللجنة العامة لمعلمي مدارس الحكومة في الضفة الغربية بتاريخ ١٩٨٤/٣/١٢

Digitized by Birzeit University Library

في ذكرى تأبين غسان حرب

بقلم : تيسير العاروري - جامعة بير زيت

ان سيرة غسان حرب وان كانت قليلة بعدد سنواتها ،لكنها كثيفة وغنية بما اكتسبه بفضل التصاقه الشديد بقضية شعبه ،ومشاركته النشطة في التجارب الثورية ،وتمثل دروسها .

فقد بدأ نشاطه الثورى منذ كان شابا يافعا لم يتجاوز الثالثة عشر ربيعا ،وكان انذاك طالبا في مدرسة الفرندز في رام الله .بدأ حياته النضالية هاتفا "نريد الخبز ،نريد السلم نريد العودة للاوطان" ،ومات بعد اكثر من ثلاثين عاما وهو لا زال مخلصا ومناضلامن اجل القضايا الثلاث التي كرسها ذلك الشعار العظيم .القضية الطبقية ، والقضية الامية ،والقضية الوطنية .هذه القضايا التي ادرك ترابطها وعلاقتها العميقة المتبادلة ، ايما ادراك .

لقد اطّلب عود غسان الغض مبكرا من خلال ما خاضه ، بتفان وجرأة ، من معارك نضالية في الصفوف الاولى لجماهير شعبه المنتفضة ضد تزييف ارادتها فيما عرف بهبة تشرين الاول عام ١٩٥٤م ،وفي الاضراب الشامل الذى استقبل به "جلال بايار" رسول حلف بغداد ،رئيس الجمهورية التركية آنذاك ،عند زيارته للاردن ،ومن ثم في الانتفاضة الجماهيرية الرائعة والجبارة في كانون الاول عام ١٩٥٥ التي افشلت مؤامرة ضم الاردن الى حلف بغداد ، واسقطت وزارة الحلف ،وزارة هزاع المجالي ،وصدت الهجمة الامبريالية الرجعية ،وقادت الى "اقامة نوع من التحالف بين القوى الوطنية في اطار لجان التوجيه الوطني" . ثم فيما بعد تحقيق شعار هام من شعارات الحركة الوطنية ،وهو تعريب الجيش وطرد جلوب والضباط

Digitized by Birzeit University Library

البريطانيين الاخرين ،والغاء المعاهدة الاردنية ـ البريطانية في الرابع عشر من آذار سنة ١٩٥٦ . الى ان تكللت هذه النجاحات باقامة حكومة النابلسي الوطنية التي جاءت الى سدة الحكم اثر الانتخابات البرلمانية في خريف عام ١٩٥٦ .

ولكن "ديمقراطية" النظام الاردني لم تتسع حتى لحكومة برجوازية وطنية ،لم تقم باية اجراءات اواصلاحات جذرية ،فسارع بالتآمر عليها بالاستناد الى الدوائر الامبريالية ،وبشكل خاص الامريكية ،وكان الانقلاب الرجعي ،سيء الصيت ،الذى قاده الملك حسين في نيسان عام ١٩٥٧ ضد حكومته .وكان من نتيجته الاطاحة بتلك الحكومة واعلان الاحكام العرفية والقيام بحملة اعتقالات واسعة جـــــدا .

وكان من بين المعتقلين غسان ،ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره بعـد . لقد قضى غسان فترة ثماني سنوات في السجون الاردنية ،كمعتقل اداري ،دون محاكمة ،وذلك بموجب قوانين الطوارئ لعام ١٩٤٥ ،اى عهد الانتداب البريطاني .وقد شاءت الظروف ان يعتقل غسان للمرة الثانية بعد ١٧ عاما بالتمام والكمال ،اى في نيسان عام ١٩٧٤ ،ولكن في هذه المرة على ايدى سلطات الاحتلال الصهيونية ،حيث قضى ثلاث سنوات ،بدون محاكمة ايضا ، حيث اكتشف غسان ،كما اكتشف رفاقه ممن مروا بكلتا التجربتين ،ان للانتداب وقوانين طوارئه القراقوشية ،وريثين شرعيين ،وليس وريثا واحدا ،النظام الملكي الرجعي الاردني ، والنظام الصهيوني العنصري الاسرائيلي ،وان كان يحلو لاصدقاء هذا النظام الاخير عبر البحر والمحيط ان يلبسوه قناع تمويه كرنفالي باسم "واحة الديمقراطية في الشرق الاوسط" .

ان فترة السجن بالنسبة لغسان ،كانت كما هي بالنسبة لكل المناضلين الثوريين ،وبشكل خاص في معتقل صحراوى ذى ظروف مناخية ومعاشية غاية في القساوة ،بالاضافة الى العزلة السحيقة عن العالم الخارجي ،ليس فقط محكا لصلابتهم الثورية ،وصبرهم وقدرة احتمالهم ، ولصقل شخصيتهم وصفاتهم ،بل واهم من ذلك ،مدرسة حقيقية .وهكذا كان الجفر بالنسبة لغسان حيث درس مئات الكتب ،وتعلم الفرنسية وعمق معرفته بالانجليزية ودرس الماركسية وتعمق بواسطتها في فهم مجتمعه وفي توفير الشروط اللازمة لتغييره ثوريا للافضل والارقى والانبل" .

وفي سجن الجفر بالذات ،اكتسب غسان كنيته "ابا الفجر" حيث اطلق عليه رفاقه هذا الاسم ،ونادوه به تحببا .كيف لا وقد كان من اصغر المعتقلين سنا .

في صيف عام ١٩٦٦ سافر ابو الفجر الى موسكو حيث التحق بكلية الطب في جامعة الصداقة ـ المسماة باسم المناضل باتريس لومومبا .ولكنه سرعان ما ادرك بان الطب ليس هو الافضل للتعبير عن ذاته وعن طموحاته وتعميق اهتماماته وتفعيلها ،فانتقل الى كلية الاقتصاد حيث حصل على شهادة الماجستير في حقل التخطيط الاقتصادى سنة ١٩٧٢ .

لقد كان ابو الفجر طيلة ايام دراسته في موسكو ،نموذجا حيا لتلك الصفات التي تحدث عنها في مقالته تحت عنوان "فؤاد نصار في المنفى" ، التي كتبها في الذكرى السنوية

Digitized by Birzeit University Library

الاولى لوفاة المناضل الكبير والقائد الشيوعي البارز فؤاد نصار ،وكرس جزءا هاما منها لوصايا فؤاد نصار للطلبة الدارسين في الخارج .

فكان ابو الفجر،يقدر تماما اهمية الدور الذى يمكن ان يلعبه الجامعيون لدى تخرجهم وعودتهم الى الوطن .ولذا فقد ادرك مهمة الطلبة الرئيسية في بلاد الغربة ، وهي الحصول على افضل واكبر قدر من الثروة العلمية ،وامتلاك ناصية التطورات العلمية والتكنولوجية التي تجرى في تلك البلدان المتطورة .وكان يدرك ،وكثيرا ما يكرر على مسامع زملائه الطلبة كلمات فؤاد نصار بان شعبهم والحركة الوطنية "ينظران اليهم بعين الامل والرجاء" .وفي الوقت نفسه كان ابو الفجر يدرك بعمق وينبه الى ضرورة تحلي الطلبة الخريجين بروح وسمات الثوريين . وكان يعي مدى الاحترام والنفوذ الذى يتمتع به الخريجون الجامعيون لدى الاوساط الشعبية في الدول المتخلفة ،وكيف ان الجماهير في هذه الدول تنظر الى الاطباء والمهندسين وحملة الشهادات العالية،نظرة تقدير.ولذلك فقد كان يحذر من ضرر تعالي هؤلاء المثقفين على الناس البسطاء قائلا : لقد اوفدكم شعبكم من اجل تحصيل العلم لتعودوا وتقوموا بدوركم في خدمته .وانه لمن المشين ان تخيبوا امل هذا الشعب .ان عليكم ان تكونوا متواضعين ،مضحين ،وان تضعوا نصب اعينكم هدفا اسمى ،هو المساهمة في معارك الشعب من اجل انعتاقه الوطني والاجتماعـــي .

وكان ايضا يحذر من خطورة وضع المثقفين لمصلحتهم المادية الشخصية في المقام الاول ،وتهافتهم على جمع الاموال وتكديسها ،ضاربين عرض الحائط بكل القيم الانسانية. كان ينظر نظرة احتقار الى امثال هؤلاء ويحذر الطلبة من مغبة السير على مثل هذا الطريق بعد انهائهم دراساتهم الجامعيـــة .

لقد بقي ابو الفجر مخلصا لوصايا فؤاد نصار،وبقي متمسكا بكل القيم الانسانية والاخلاقية التي آمن بها وتجرعها . ومن عرف غسان عن قرب ،لمس مدى عمق ايمانه وحساسيته تجاه ما كان يسميه "النقاء الثورى" أو "الطهارة الثورية" . وان من كان يسمعه يتحدث عن ذلك ،يشعر بان غسان يتحدث عن شيء مقدس بالنسبة اليه .

ان انتاج ابي الفجر الفكرى ،ينم عن مدى التصاقه بقضايا وطنه وشعبه .فبعد "رحلة" السجن الثانية ،وبعد ظهور صحيفة الطليعة المقدسية الاسبوعية ،وكان يعمل مدرسا للاقتصاد في جامعة بيرزيت اصبح يحرر صفحتها الاقتصادية . ومن خلالها تصدى لمعالجة عشرات القضايا الهامة المرتبطة بكفاح شعبه وقضيته الوطنية والقومية . كقضايا هجرة اليد العاملة، وهجرة رؤوس الاموال ،والدفاع عن الارض وفضح القوانين التي تستهدف تسهيل مصادرة الاراضي او تسربها الى ايادٍ صهيونية ،كقرار الغاء وكالات املاك المغتربين وغيره ،والدفاع عن الفلاحين والمزارعين والاهتمام بقضاياهم اليومية الاقتصادية ،قضايا التسويق ،والانتاج والاسعار وغيرها .وكذلك معالجاته المتعددة لمشكلة الاسكان في المناطق المحتلة ،وقضايا

Digitized by Birzeit University Library

التنمية، ووضع الطبقة العاملة والنقابات العمالية. بالاضافة الى كتاباته حول العلاقات الاقتصادية الدولية ودور الاحتكارات والشركات متعددة الجنسية، واقتصاديات العالم الثالث.

كما شن ابو الفجر هجوما عنيفا ومتواصلا على سياسة الانفتاح الاقتصادي الساداتية في مصر منذ بداية تطبيقها، وبين بأنها كسياسة اقتصادية "معادية للمصالح الاقتصادية والقومية المصرية" بشكل عام "و" لمصالح العمال والفلاحين وشرائح كثيرة من البرجوازية الوطنية" المصرية بشكل خاص. وبين بانها "تحمل داخلها بذور فنائها"، وتنبأ بان مصيرها ومصير القائمين عليها سيؤولان الى الزوال طال الزمن ام قصر "*.

ولعل من ابرز واهم معالجاته الاقتصادية من على صفحته الاقتصادية في الطليعة، هو تصديه للحجج والمغالطات الاقتصادية التي كان يسوقها البعض ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة، في الضفة والقطاع. وبالارتباط بهذه القضية فضح الدور الاردني، في التآمر على حق الشعب الفلسطيني في الاستقلال الوطني وتقرير المصير، بما في ذلك حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلـــــة.

ان من يجيد قراءة الاقتصاد، يجيد قراءة التاريخ. وهذا ما فعله غسان منذ خمس سنوات، عندما كتب في صفحته الاقتصادية بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٧٨ تحت عنوان. "الدعم المالي الاردني للضفة، هل هو مساعدة ام لغرض في نفس يعقوب ؟!" كتب قائلا:

"ليس سرا ان الضفة الغربية بحاجة ماسة الى كميات كبيرة من الاموال الضرورية لاقامة مختلف المشاريع الانفاقية وغير الاقتصادية. فاقامة مثل هذه المشاريع سيساعد على توفير فرص العمل لاعداد كبيرة من المواطنين ويساهم بالتالي في الحد من الهجرة المتزايدة التي تشهدها المناطق المحتلة، كما انه سيساعد على اقامة نوع من الاعتماد الاقتصادي على الـــذات.

ولكن المطلوب فعلا هو المساعدات والقروض التي تساهم حقا في تقليص اعتماد اقتصاد الضفة الغربية لا على الاقتصاد الاسرائيلي وحده، وانما ايضا على اقتصاديات الدول الاخرى، بما في ذلك، بل وعلى رأس ذلك ـ الاقتصاد الاردني.

قد يقول بعض "العقلاء" (كذا) ان المهم هو توفير الاموال بغض النظر عن مصدرها فالامور تقيم بنتائجها وليس بمصادر تمويلها.

حقا ان الامور تقيم بنتائجها. ولنر ما ستكون عليه آثار هذا "الدعم" الاردني بالنسبة لمستقبل بلادنـــا.

معروف ان حكام الاردن، لم يتخلوا عمليا، عن مطامعهم في اعادة الحاق الضفة الغربية بمملكتهم سواء عن طريق مملكة متحدة او اتحاد فيدرالي او اي شكل آخر يمكن ان يكون ممكن التحقيق حيث تعود الضفة الى حظيرة الاردن، وبحيث يحرم الشعب الفلسطيني من حقه المشروع في اقامة دولته المستقلة.

ورغم ان الاموال (والكلام لا يزال لابي فجر) التي يقدمها الاردن الى الضفة الغربية

* الطليعة العدد ٦٠٦ نيسان ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

تأتي من مساعدات الدول العربية التي قررتها مؤتمرات القمة العربية المختلة بهدف مساعدة مواطني المناطق المحتلة، ورغم ان الهدف الرئيسي لهذه المساعدات كان يجب ان يتجه الى تعزيز صمود المواطنين الفعلي، فان حكام الاردن يعملون على استغلال هذه الاموال العربية المصدر، لتنفيذ مآربهم السياسية في الضفة الغربية، وهم يستغلون لذلك الحاجة المادية الماسة لمواطنيتـــا .

واذ لم يعد باستطاعة حكام الاردن تنفيذ مخططاتهم السياسية في الضفة بالاساليب العادية المعروفة، وذلك لبعد المواطنين - نتيجة الاحتلال - عن متناول مخابراتهم وزبانيتهم ووسائلهم القمعية الاخرى، فانهم يلجأون الى تقديم الطعم المادي من اجل كسب اوسع فئات ممكنة من المواطنين الى جانبهم بحيث يشعرون ان الارتباط السياسي بالاردن سيجلب لهم الفوائد الاقتصادية .

من هنا فان نتائج "دعم "الاردن واضحة ولها نتائج مدمرة على مستقبل شعبنا السياسي.

وهذا يضع من جديد وبصورة ملحة امام كل القوى والمؤسسات الحريصة على مستقبل استقلالنا الوطني ان تسعى لتأمين مصادر دعم مالي من الدول والجهات الحريصة على ضمان الاستقلال الوطني الفلسطيني ."

هذا ما كتبه غسان قبل خمس سنوات . وكم كان صادقا في تحليله كما بينت تجربة الحيـــاة .

واخيرا فان تجربة غسان ومسلكه خلال طيلة فترة مرضه العضال، وكان يعرف كنهه من اول لحظة ، ان هذه التجربة التي يعرفها الكثيرون، ولا يعرفها الكثيرون ايضا، لهي خير دليل على عمق انسانية هذا الانسان، وجبروته تجاه نفسه، وحبه لمن حوله وذويه، وتفانيه والتصاقه بقضية شعبه ووطنـــه .

فعندما اشتد به الالم في احدى لياليه الاخيرة، ولم يعد بوسع الطاقة الانسانية احتمال الالم، الذي لم تعد تجدى معه المسكنات نفعا، وكان لا بديل عن الصراخ، صرخ غسان، ولكن مغنيا ومنشدا. ومرددا الهتافات، باعلى صوته. غنى للوطن وغنى لانتصار الشعب، انشد اناشيد الكادحين. غنى وغنى وانشد الى ان تعب جسمه وغفا. وكان هذا آخر ما تلفظ به قبل ان يبدأ بفقدان وعيه. اراد ان يفارق الحياة منشدا ومغنيا للحياة. فكرمه اصدقاؤه ورفاقه وودعوه الى مثواه الاخير كما احب وكما اراد ، منشدين ومغنين اغاني انتصار الحياة، على اعداء الحيـــاة .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
عدد ٤٨ السنة (٥) نيسان ٨٤ .

كلمة وفاء للشاعر معين بسيسو

بقلم : محمود محمد صالحة ـ عزه

لم اصدق للوهلة الاولى عندما سمعت نبأ وفاة الثائروالشاعر معين توفيق بسيسو من اذاعة مونت كارلو الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني لعام ١٩٨٤م ، عندما قطعت اخبارها وقالت ،"وردني هذا النبأ الان وجد الشاعر الفلسطيني المشهور معين بسيسو ميتا في غرفته بالفندق بلندن ، علما بأنه لم يمض على وفاة اخية الذى يصغره بعامين الكاتب والاديب عابدين توفيق بسيسو رئيس اتحاد الكتاب والادباء الفلسطينيين بالكويت سوى اقل من ثمانية عشر شهـــرا ."

لقد رحل عنا الثائر والشاعر معين ونحن الفلسطينيين في هذه الظروف العصيبة التي نمر بها ، أحوج الشعوب الى الكلمة الهادفة والكلمة المضيئة التي تنير لنا طريق الظلام الذى يحيط بنا من كل جانب . ومن يعرف الثائر والشاعر معين عن قرب يدرك مدى الخسارة الفادحة التي المت بشعبنا الفلسطيني والعربي لفقدانه ، لان اعماله الادبية والشعرية كانت تعبيرا صادقا عن قضايا الشعـوب

Digitized by Birzeit University Library

نشأتـــه

ولد الشاعر معين في مدينة غزة بحي الشجاعية عام ١٩٢٧م وفي تلك الظروف التاريخية التي ولد فيها شاعرنا بدأ شعبنا يدرك المخاطر الزاحفة عليه من الاستعمار والصهيونية ببناء المستعمرات والاستيطان على ارض فلسطين بدعم من الاستعمار البريطاني . لذلك قامت المظاهرات والاحتجاجات والتصدى لتلك السياسة في جميع ارجاء فلسطين ، ومن هذا المنطلق بدأ الوعي القومي ينمو ويتبلور في الصحافة والكتابة والشعر ، وأفرزت تلك الحقبة التاريخية بعض الشعراء القوميين الذين عبرّوا عن ارهاصات الثورة ، ومن ابرز هؤلاء الشعراء ، ابراهيم طوقان محمد حسين علاء الدين ، عبد الرحيم محمود ، ومطلق عبد الخالق ، ولقد أدرك هؤلاء الشعراء في ذلك الوقت تحالف الاستعمار البريطاني والاقطاع الفلسطيني والصهيونية والرجعية العربية ، لذلك لم يعد الشعراء يكتفون بالكلمة وأنما بالمشاركة الفعلية في النضال ، ولقد عبر عن ذلك الشاعر عبد الرحيم محمود في معركة "الشجرة" قضاء الناصرة سنة ١٩٤٨م ، التي خاضها دفاعا عن وطنه ومعتقداته وسقط فيها شهيدا مسجلا ، بدمائه تقاليد جديدة في الكفاح والنضال الثورى لشعبه ، لهذا وصل الوعي عند شعرائنا الى رؤية جديدة متقدمة بالنسبة لبيئتهم الاجتماعية وبالاخص عند الشاعر عبد الرحيم محمود والشاعر ابراهيم طوقان والشاعر عبد الكريم الكرمي "ابو سلمى" هذه الرؤيا تطورت الى رؤيا علمية وطبقية متقدمة ، والتجارب المريرة التي مر بها شعبنا في الثلاثين سنة الماضية وارتفاع مستوى التعليم والثقافة ساعد على خلق تربة صالحة لكي يقفز الوعي عند شعبنا قفزات نوعية بدليل ان اعمال شعرائنا كانت تتردد على كل لسان في الشارع والمدرسة والبيت .

والشاعر معين بسيسو منذ نعومة اظفاره وفيما كان تلميذا وهو يردد تلك الاناشيد الشعرية ويحفظها عن ظهر قلب .

في تلك السن المبكرة بدأ ينظم الشعر وأخذ ينشر اعماله الشعرية الاولى في الصحف المحلية التي أحست انها تنشر لونا جديدا من الشعر الرمزى ، الذى تخلى عنه فيما بعد ولم ينشره في دواوينه .

وفي ذلك الوقت شن هجوما عنيفا على الشعراء التقليديين وشعراء المناسبات الذين كانوا يغيرون كلمات قصائدهم حسب المناسبة التي تقال فيها . ونشرت له قصيدة بعنوان "القصائد المرقعة" ويقصد بها ذلك النوع من الشعراء ، وأثناء دراسته الثانوية شارك في الحياة الثقافية والسياسية بكل اندفاعاته المعهودة في حبه لوطنـــه .

وعاش جيل معين بعد كارثة سنة ١٩٤٨م نقطة تحول خطيرة من حياته يدور حول نفسه في دراما عابثة لا تدع له الاستقرار أو التفكير فيما يشبه الاستقرار في تلك الظروف التاريخية لكن الشاعر معين بسيسو حسم موقفه لقضايا عصره بالتزامه المبكر بالفكر الاشتراكي العلمي وأكده بانتمائه الى عصبة التحرر الوطني .

Digitized by Birzeit University Library

وقد نشرت له قصيدة في ذلك الوقت في جريدة الاتحاد الناطقة بلسان عصبة التحرر الوطني يهاجم فيها الدول العربية بقوله :

أحد يمر كذبت لا
أحد يمر بلا حدود
أنا لا أبدل حبل مشنقتي
ولا زرد الحديـــد
كذابة هذه المدافـع
لا تصدق ما تقـــول
بصمات الاستعمار فوق وجوههم
وعلى الطهـــــور
وعلى بنادقهم عرفت بهـــا
الخيانـــة والمصيـــر

ولقد نشرت له هذه القصيدة وهو في العشرين من عمره.وبعد ان انهى معين دراسته الثانوية في غزة سافر الى مصر والتحق بالجامعة الامريكية قسم الصحافة في سنة ١٩٤٨م

أثناء دراسته اندمج بكل طموحاته في الحياة السياسية والادبية وشارك في تحرير الصحف والمجلات مثل الكاتب ،الملايين والسوادى ،وعلى صفحات تلك الصحف نشر اعظم اشعاره الوطنية التي عبرت تعبيرا صادقا عن الحياة السياسية والثقافية في مصر التي كانت تتحدى الاحتلال البريطاني في منطقة قناة السويس .

وأثناء وجود معين في مصر تعرف على معظم الكتاب والشعراء التقدمين وتأثر بهم تأثرا كبيـــرا

وأضاف هذا الى جذوره الوطنية زخما جديدا ،فزاد من نشاطه الادبي وأخرج ديوانه الاول بأسم "المعركة" الذى أحدث ضجة كبيرة في الاوساط الادبية لما حمله من مضامين جديدة في الفكر العربي المعاصر .

وأنهى دراسته الجامعية في سنة ١٩٥٢م .

معين "ثائـرا"

بعد ان تخرج معين من الجامعة عاد الى أرض الوطن وعمل مدرسا في مدارس وكالة الغوث الدولية لمدة ثلاثة شهور،وبعد ذلك سافر الى العراق ليعمل مدرسا وفي اثناء وجوده هناك لم يلتزم جانب التدريس فقط وانما التزم وشارك في الحياة السياسية والثقافية ونشر بعض أعماله الشعرية في الصحف العراقية ولكنه لم يمكث طويلا في العراق وعاد الى ارض الوطن من جديد في اواخر سنة ١٩٥٣م لانه شعر ان مكانه الطبيعي ليس العراق وانما الوطن الام فلسطيـــن .

Digitized by Birzeit University Library

تعرفت على الشاعر معين بسيسو في منزل الصديق سعيد جعفر فلفل بغزة رفيق طفولته ودراسته وكان في تلك الجلسة يتحدث بحماس شديد عن الشعر والشعراء والادب والادباء وعلاقاتهم بالقضايا الوطنية ومدى التزامهم بها. فأحسست انني امام انسان كل خلية من خلايا جسمه تنبض بالحياة والثورة.

عاد من العراق ليعمل ثانية مدرسا بالوكالة، فكان يعلم التلاميذ الدروس المقررة منهجيا وفي اوقات فراغهم يعلمهم قضايا شعبهم والمؤامرات التي تحاك ضدهم. ولقد تأثر التلاميذ به تأثرا كبيرا لدرجة انهم كانوا بعد انتهاء الدرس يلتفون حوله في حلقات يسألونه عن كل صغيرة وكبيرة وهو فرح بذلك كأنه طفل صغير، وبعد خروجه من المدرسة كان التلاميذ يسيرون وراءه جماعات كأنها مظاهرة وطنية وعندما كان يأتي الى النادى القومي يلتف حوله الشباب يحدثهم عن افكاره وارائه في قضايا الساعة وأنهم لم يتعودوا سماع مثل هذا النوع من الفكـــر.

شارك مع صديقه الاستاذ سعيد فلفل في تحرير جريدة "الصراحة" التي كان يصدرها بغزة النادى القومي وكانا يشتركان في كتابة عمود فيها بعنوان "أعمدة الاستعمار الحديثة" لكي يكشفا المؤامرات الاستعمارية التي تحاك ضد شعبهم.

هذا وقد عمل الشاعر الراحل على تأسيس نقابة لمعلمي مدارس وكالة الغوث الدولية بقطاع غزة كي تحفظ حقوقهم وكان عضوا بارزا في تلك النقابة، عمل على تأسيس والحركة الطلابية كما عمل على تأسيس الجبهة الوطنية التي أوكل اليها توقيع العرائض ضد مشروع سيناء بتأييد ودعم الحزب الشيوعي آنذاك. وفي الذكرى الاولى لتأسيس نقابة المعلمين المذكورة أقيم احتفال في قاعة سينما السامر ولم يكن احتفالا بقدر ما كان تظاهرة وطنية لتعبئة الجماهير ضد مشروع سيناء سيء الذكر. والقى معين في الحضور قصيدته المشهورة التي كانت فوهة بركان الهبت حماس الجماهير ومطلعها:

ارسمي من دمي ومن اصفادى ... يا أيادى خريطة لبلادى
قدميها لكل من رفع الرايـة ... رغم العذاب والاضطهاد

وأنهى القصيدة بقولـه

فنهوضا الى النضال نهوضا ... لا يعيش البركان تحت الرماد

والبيت الاخير لم يكن الا نبوءة للثورة العارمة التي اجتاحت قطاع غزة على اثر قيام اسرائيل بالهجوم على مواقع الجيش المصرى والقوات الفلسطينية بمحطة غزة والتي اودت بحياة ما يزيد على خمسين شهيدا وكان ذلك في ٢٨ شباط سنة ١٩٥٥م. وفي صباح الاول من آذار لنفس العام اى في اليوم التالى كانت الجماهير بكاملها في شوارع غزة وهي في غاية التوتر تحتاج الى الشرارة التي تشعلها وما ان شاهدت قائدها معين في ميدان فلسطين فحملته على الاكتاف يتقدمها وهو يهتف يسقط مشروع سيناء .. لا توطين ولا استيطان. وبدأت المظاهرات صاخبة كالموج الهادر لم يشهد القطاع لها مثيلا واستمرت ثلاثة ايام

Digitized by Birzeit University Library

متوالية حتى استجابت الادأرة المصرية الى مطالب الشعب ،وهي تسليح الشعب ورفض مشروع سيناء ،وكان لهذه المظاهرات وقعها على الصعيد العربي والعالمي ،وطرأ بعدها تحول مباشر. في سياسة مصر الخارجية ادى الى كسر طوق السلاح والاتجاه نحو المعسكر الاشتراكي .مبتدأ" حقبة جديدة في العلاقات العربية السوفييتية وصفقة الاسلحة التشيكية .

كان الفقيد كخلية النحل لا يعرف الهدوء أو الاستقرار كان ينتقل من زهرة الى زهرة يلقاح الثورة ويسقيها من رحيقه الذى لاينضب.في التاسع من آذار "مارس" سنة ١٩٥٥م أعتقل الثائر ورفاقه وسيقوا الى المعتقلات المصرية ليلتقوا بزملائهم المصريين .

وبعد ان خرج الفوج الاول من المعتقلين وكان صغيرا بعد سبعة شهور ادرك معين ان مدة الاعتقال ستطول .في اثناء ذلك ظهر صوت من زحام شوارع القاهرة يقول :

معين يا صوت الضحايا
أرعد بصوتك معايـــــا
أرعب عدوى وعـــــدوك
راح ننتصر في النهايـة

وكان هذا الصوت هو صوت صلاح جاهين عندما كان ملتزما بقضايا شعبه وذلك في ديوانه الاول "كلمة سلام" .

ان ظهور هذا الديوان للشاعر صلاح جاهين قد ترك الفرحة والسرور والزهو لدى الثائر معين لما لثورته من ردود تصل بين الجماهير العربية مما زاده اصرارا وتصميما وقوة .

طالت مدة الاعتقال لاكثر من عامين كان خلالها يكتب ويكتب واشترك مع زملائه الكتاب المصريين في ديوان أصدروه تحت اسم "قصائد مصرية" وهم زكي مراد ،خليل قاسم محمود توفيق ،كمال عبد الحليم .

وهذا ايضا اعطى معين شحنات قوية وجديدة فيمواجهة الاعتقال الى ان افرج عنه في شهر آب سنة ١٩٥٧م وعاد الى احضان شعبه وهو اكثر تصميما على مواصلة الكفاح في سبيل قضايا شعبه ،ولكنه لم يمكث طويلا بين جماهيره واذا بالحملة الشرسة المغروفة ضد القوى الوطنية تجتاح العالم العربي وبضمنها قطاع غزة سنة ١٩٥٩ م فتعرض ورفاقه للاستفزاز والارهاب من اجل ان يتنازل عن معتقداته الفكرية ولكنه ابى بكل اصرار ووقف صامدا ضد كل المحاولات لاجباره على ان يضعف او ان يتنازل عن افكاره.

واعتقل من جديد مع رفاقه في شهر نيسان سنة ١٩٥٩ وبقي في السجن الحربيالمصرى والواحات حتى شهر "مارس" سنة ١٩٦٣ م اربع سنوات قضاها من عمره في السجون والمعتقلات بعيدا عن ارض الوطن .

وبعد عودته من المعتقل عمل من جديد في التدريس وتزوج من خطيبته صهباء البربرى التي شاركته السجن والاعتقال .

Digitized by Birzeit University Library

في اثناء اعتقاله الاخير تركت اسرته القطاع وهاجرت الى الكويت طلبا للرزق وسافر وزوجته الى بيروت وزاول نشاطه الصحفي وعمل في عدة صحف ثم تركهاوعمل بجريدة الاهرام بالقاهرة الى ان قامت منظمة التحرير الفلسطينية بثوبها الجديد فعاد الى بيروت وانضم اليها وربط مصيره بها وعاش حصار بيروت الى ان وافاه الاجل المحتوم .

معين "شاعرا"

اعماله الشعريةلم تكن شلالا او نهرا او بحيرة او بحرا وانما محيطا تحتاج الى الاف الغواصين لكي يخرجوا كنزه ،وفي هذه الدراسة القصيرة لا استطيع الكتابة عن شعره لان هذا يحتاج متخصصين وانما اردت ان القي بعض الاضواء على اعماله الشعرية .

معين لم يكن نخلة نابتة في صحراء قاحلة وانما كان ينتمي الى شعب يملك ماضيا وحاضرا ثوريـــــن .

انه من هذه الجماهير التي ربته واعطته هذه الجذور الثورية التي يملكها شاعرنا منذ عهد مبكر،وهو يافع شعر ان نصيبه من الشعر ليست هذه النماذج الشعرية التي يقرأها وانما وجد في نفسه ميلا صادقا لكتابة الشعر عن ظلام العيش وظلم الانسان لاخية الانسان .

انبثق معين من الاحداث التي مرت بها قضيتنا ،ولقد عبر باخلاص عن تلك الاوضاع والمواقف الجديدة في شعر جديد في صياغته وجديد في مضمونه واخذ شعره يقترب من الحياة اليومية واصبح تعبيرا بسيطا صادقا عن حياة الناس. .آلامهم وآمالهم ومشاكلهم ومشاعرهم ،والتحاقه بواقعه جعل شعره صادقا ،والشاعر لا يلتحم بواقعه ولا تكون تجربته صادقة اذا بقيت علاقته بهذا الواقع في دائرة التصور والتأمل الذهني وبما ان معين كان يملك المنطق الفكري الثوري ،هذا المنطق الذى اتحفه بالطاقات المتحفزة دائما لصياغة نفسها بمضامين متطورة باستمرار فالذى يملك النظرية الثورية والنظرية العلمية هو الذى يملك القدرة على استكشاف ابعاد الواقع فيحركة تطوره التاريخي .

وهذا الفكر هو الذىاثرى فكره وجعل رؤيته واضحة وصار ينظر الى المستقبل بثقة وايمان وترك هذا الانتماء اثاره الحاسمة على شعره وسلوكياته .

عندما كان طالبا بالجامعة الامريكية بالقاهرة كان ملتزما بالفكر العلمي الثورى وبقضايا شعبه ،لذلك عندما وصل الى القاهرة اندمج في اجوائها وشارك مع ابنائها في الكفاح الوطني وجاء شعره تعبيرا صادقا على تلك الفترة الزمنية التي عاشها في مصر لذلك تجد شعره يحمل خصائص اقليمية مصرية لا حصر لها ،ولكنهافي الوقت نفسه تعبر عن الوعي الفلسطيني المتفتح الذى لا يستشعر الغربة عن بلاده وهو في مصر ،بل كافح فيها من اجل فلسطين ويكافح لمصر في كفاحه من اجل فلسطين وديوانه "المعركة" وهو باكورة انتاجه الادبي عبرعن وحدة النضال بين الشعبين الفلسطيني والمصرى من خلال وحدة النضال بين الشعبين الفلسطيني والمصرى من خلال وحدة الثقافة .وقصيدته التي كتبت عن عباس الاعسر الشهيد المصرى

Digitized by Birzeit University Library

الذى سقط وهو يقاتل الانجليز في منطقة القنال تشهد بايمانه المطلق بوحدة الشعوب العربية وقد جاء في هذه القصيدة .

انا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يحفك دمي يسيل من السلاح
وانظر الى عيني اغمضتا على نور الصباح
انا لم امش انا لم ازل ادعوك من خلف الجراح

وهذه الابيات بقوتها وصدقها اصدق تعبير على تلاحم الشعبين الفلسطيني والمصرى في شعره بدعوته الى مواصلة الكفاح وان لا يخافوا الدم الذى يسيل من اجل مستقبل مشرق .

أما ديوانه "فلسطين في القلب" وهو الثالث فقد كتب معظمه وهو في السجن ،ويقول في احدى قصائده "الخيط الذى ينمو في الريح"

كل الرايات المنفية قد عادت يا وطني
الا رايتك المنفية من افق ترتحل الى افق
في سوق " لصوص الرايات" تباع بلا ثمن

وفي هذه الابيات يشير الى حجم المؤامرات التي تحاك ضد وطنه وعن الطريق الصعب الذي ينتظر شعبه .

وفي قصيدة اخرى بنفس الديوان تحت عنوان "السيف على العنق"

أخي لو سخروا السيف على عنقي فلن اركع
ولو في فمي الدامي حبال سياطهم تنقع
فلن ارجع عن فجرى ،لن ارجع ،لن ارجع
وقد اوشك ان يطلع قد آن يطلع
من الارض التي من ثديها بركاننا يرضع

وقد كتب هذه الابيات بعد ان جلد على "العروسة" في سجن مصر العمومي والعروسة هي التي يجلد عليها السجين او المعتقل .

وتجد في هذه الابيات مدى ايمانه بعقيدته مهما كانت الظروف والتهديدات وايمانه بالمستقبل والفجر الذى سينبثق .

وفي قصيدته "الام "التي يخاطب فيها الام الفلسطينية .

لك الجماهير ابناء بلا عدد ... فلست وحدك يا اما بلا ولد
ان يغلقوا بيننا الدنيا فقد فتحوا ... لنا الزنازين بيتا شامخ الزرد
فقد اقسمت هذه الايدى وما كذبت ... بالشعب لم تنجرف عنه ولم تحد
لك عيشك المر ،يا امي وهل بشة ... تمر من غير ان تنفي من البلد
مشى الطريق ولم يرهب وعورتها ... وليس غير ايادى الشعب من سند

Digitized by Birzeit University Library

الى ان يقول :

برايـة الشعب يكسوك الرفـاق اذا ... عريت فامشي بثوب بالدماء نـدى

من لم تودع بنيها بابتسامتهـا ... الى الزنازين لم تحمل ولم تلـد

وفي هذه الابيات ترى ايمانه بشعبه وان كل أم ستجود بابنائها ايمانا منها بمستقبل افضل .

وفي قصيدته عن تل الزعتر بعنوان "اقطع كفي ارسلها لك يا تل الزعتر" يقول

صار جدارك للشعر جريدة

والقنبلة بكفك تنفجر قصيدة

وضفائر كل نساء الارض

تتمنى ان تصبح علما لـك

وفي هذه الابيات لا يقدر احد غير شاعرنا على تصوير هذه الصور الحية عن معركة تل الزعتروعن المأساة التي حلت به .

اما اعماله المسرحية وهي مأساة جيفارا ،شمشون ودليلة، الصخرة ،العصافير تبني اعشاشها ،بين الاصابع ،محاكمة كتاب كليلة ودمنة،وثورة الزنج لم يقصد فيها الا ان تكون وسائل وايماءات ابعد واعمق كثيرا من الحياة الظاهرة،واعماله المسرحية لم يقصد منها الا تعميق الوعي وتكثيفه وتنبيه الشعوب بالاخطار المحدقة بهمن الاعداء المتربصين به .

ومسرحية ثورة الزنج في نظر النقاد هي اهم اعماله المسرحية لانه من خلالها يعالج لعبة التآمر على الثورة الفلسطينية والى الانتهازيين الذين يلبسون لكل وضع لباسه ،ويحذر من الاخطار التي تواجه الثورة ومن الذين يتحفظون بلباس الثورة وهم اعداء لها،كانت أعماله الادبية والشعرية اقوى من الرصاص والمدافع والصواريخ .

كان شاعرنا يتمنى العودة الى غزة والى شوارعها وبساتينها وبياراتها وشواطئها التي طالما تغنى بها في اشعاره ،ولكنه رحل بعيدا عن الاهل والوطن .

معين لم يمت ولكنه في قلب كل انسان في قلب كل مناضل وثائر ،معين سيبقى الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩٥٥م والذى عمل على تغيير مسار الاحداث في الشرق الاوسط بقيادته لتلك المظاهرات .

سيبقى ديوان المعركة،سيبقى ديوان فلسطين في القلب وسيبقى دفاتر فلسطينية وسيبقى مسرحية جيفارا وسيبقى ثورة الزنـــج .

حاز الفقيد المناضل على جائزة اللوتس العالمية على اعماله الادبية المعادية للاستعمار ودفاعة عن الشعوب المضطهدة.

سلام عليه يوم مولده ويوم وفاته .

Digitized by Birzeit University Library

حركات إصلاح أم موجات تغريب
قراءة في تجارب الاصلاح في ثلاث من دول العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر
تركيا مصر تونس

بقلم : عادل يحيى ـ جامعة بيرزيت ـ دائرة دراسات الشرق الاوسط

مقدمـــة :

منذ بداية القرن التاسع عشر ، اخذ العالم العربي والاسلامي يهتز تحت ضغط حركات تعمل على تغيير الاوضاع المتردية فيه ،وما زال. ظن مهندسو هذه الحركات انهم انما يستجيبون للظروف والحاجات الحقيقية للمجتمع الذى استشعروا فيه تطورا على مستوى التفكيروارتفاعا في مستوىالحياة.غير ان الحكم على الامور لا يكون الا بنتائجها . اذاً فلماذا فشلت هذه الحركات في الوصول الى نهاياتها المنطقية في احداث التغيير المطلوب وتحديث العالم الاسلامي ،ومفاهيم التاريخ تؤكد ان تغييرا في نفس خط التاريخ الصاعد سيحصل اذا ما توفرت شروط معينة ؟ هل حقا ان مجتمعنا العربي الاسلامي [redacted] ؟ هل تحكم مجتمعنا قوانين التاريخ التي تحكم المجتمعات الاخرى ام لا ؟

سأحاول فيما يلي ان استعرض بعضا من محاولات الاصلاح والتحديث في ثلاث من دول العالم الاسلامي خلال القرن التاسع عشر.وهذه الدول هي تركيا العثمانية ،مصر ،وتونس . هذه الدول التى شهدت محاولات نشطة للتحديث .وسأحاول ان القي الضوء على اسباب فشل هذه المحاولات ،لعل هذا يساعدنا في تحقيق الغرض من دراسة التاريخ وتاريخ هذه الحركات بشكل خـــاص .

Digitized by Birzeit University Library

ان دراسة التاريخ بالاساس هي محاولة لاستخلاص خبرات الماضي المرتبطة بعلاقة سببية معينة بالحاضر . فاليوم ابن الامس . وتجارب الماضي لها خبرتها ومدلولاتها وليست نتائج عفوية او صدفية . وحتى نتجنب الاخطاء التي وقع فيها اوائل المصلحين وتابعيهم وكررها حتى تابعو التابعين . لا بد لنا من وضع اليد على اسباب فشل تلك المحاولات .

العالم العربي تحت تأثير حكم العثمانيين :

ما ان حلت ثلاثينات القرن السادس عشر ، حتى كان جل العالم العربي تحت حكم العثمانيين . وباحتلال الوطن العربي وصلت الدولة العثمانية الى "طور الكهولة" (١) ، وبعد هذا بنصف قرن بدأت علائم الضعف في الامبراطورية ، اثر توقف عمليات الغزو والفتح في اوروبا ، وانقطاع مورد اساسي في دولة نمط انتاجها الاساسي قبلي شبه عبودي . واذا اضيف هذا للنقص الخطير في واردات الضرائب التي كانت تفرض على بضائع الشرق الاقصى المارة في اراضي الدولة العثمانية بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، فقد عنى الامر خطرا ماحقا على اقتصاد الامبراطورية ، وضمنا الوطن العربي الرازح تحت الحكم العثماني . وتكمن خطورة هذا الظرف في انه جاء في الفترة التي كانت تشهد فيها دول اوروبا الغربية ثورة صناعيـــة .

عند هذا الحد ادرك العثمانيون ان سلطتهم لن تستقيم دون الدعائم الاقطاعية . وفي هذا السياق يمكن فهم غاية الاحتلال العثماني للبلاد العربية ، وهي تحصيل اموال الميرى (٢) الضريبة الزراعية ، لا اكثر ولا اقل . ولذلك فأن العثمانيين ابقوا على الوضع السائد في البلاد العربية ما دام الحكام ملتزمون بتقديم الطاعة لاستنبول مستعينين على تحقيق ذلك بالحكام المحليين الموالين لهم (٣) . اما السكان المحليين فلم يحدث اى تغيير يذكر على مجرى حياتهم ، ولذلك فهم لم يرحبوا بالفاتح الجديد ، لانهم كانوا يستبدلون حاكما تركي اللغة ـ المماليك ـ بحاكم آخر تركي اللغة .

ان الاقطاع الذى ساد الامبراطورية العثمانية يختلف عن الاقطاع الاوروبي ، فالاقطاع العثماني متحرك من حيث الملكية (٤) فالاقطاعيين غائبين عن اقطاعاتهم ومؤقتين في تملكهم لها ، في حين ان الفلاحين في هذه الاراضي ممنوعين من مغادرتها . وهكذا فأن قصة التاريخ السياسي الداخلي للدولة العثمانية "تتلخص بقصة العلاقة بين طبقتي العسكريين والرعايا" (٥) وطبقة العسكريين هذه تعني جميع موظفي الدولة العثمانية الاقطاعية ، ووظيفتهم خدمة الاقطاعي لتطبيق سيطرته الاقتصادية والسياسية على المنتجين المباشرين ـ اى الفلاحين ـ الذين عانوا كثيرا من سياسة ربطهم بالارض .

لعبت الدولة العثمانية دورا خطيرا في الحياة الاقتصادية للعالم العربي ، فنظام الاقطاع المتخلف الذى حمته الدولة كسند لابقاء سيطرتها على الوطن العربي ، عرقل تطور العلاقات

Digitized by Birzeit University Library

الرأسمالية في الاقطار العربية. فمن جانب حال الانفاق الاستهلاكي الضخم لمنتجات الغرب الصناعي من قبل الباشوات الاتراك والامراء المحليين دون الافادة من فائض انتاج الريف العربي . وحال دون تطوره لقلة حجم الاستثمارات الموظفة في قطاع الزراعة ، كما حرمت الامتيازات الممنوحة للدول الاوروبية والحواجز الجمركية الداخلية العرب من امكانية احداث تراكم رأسمالي عن طريق الاشتغال بالتجارة. اما في المجال الصناعي فأن عدم الفصل بين العمل الحرفي والزراعي ، وسياسة الاحتكار الحكومية قد اديا لتدهور الصناعة . الامر الذي جعل الاقتصاد العربي على العموم وبتأثير الرأسمالية الاوروبية يتجه الى اقتصاد التسويق (MARKET ECONOMY) (٦).

محاولات الاصلاح في الدولة العثمانية

دور واحد، عدة ممثلين

كانت الاوضاع في الدولة العثمانية على مستوى المركز تنعكس على الاقاليم بشكل او بآخر . ففي نفس الفترة التي بدأت فيها حركات الاصلاح في تركيا العثمانية العمل على تغيير الاوضاع المتردية ، كانت مصر وتونس تسيران على طريق الغربنة بخطى لا تقل عن الدولة العثمانية نفسها فأن الدولة العثمانية وولاياتها ـ تونس ومصر ـ بدأت تهتم "..بالافكار والمؤسسات والدساتير والتجارب الاوروبية وتستلهمها في برامجها الاصلاحية المتقارية " (٧)

يمكن تقسيم موجات الغربنة في الامبراطورية العثمانية الى ثلاث موجات ـ او مراحل ـ تبعا لاشخاص القائمين عليها والمبررات التاريخية لظهورها ، والتشابه الحاصل بين هذه المحاولات . وهذه التجارب هي :ـ

موجة التغريب الاولى : اوجه الشبه في الدول الثلاث كثيرة في هذه المرحلة، فقد ساد الاعتقاد ان تفوق الغرب هو في الاساس تفوق عسكري . فكانت المساعي المحمومة لتحديث الجيش، اما ابطال هذه التجربة فهم ـ السلطان سليم والسلطان محمود الثاني في تركيا العثمانية، محمد علي باشا في مصر ، والباي احمد باشا في تونس . ان العمل الذي قام به كل زعيم من هؤلاء يذكر بما قام به الاخرون ، ويعطينا صورة عن تفاصيل الممارسة نفسها : انشاء الاكاديميات العسكرية ، استجلاب الضباط الاجانب وتحديدا الفرنسيين للتعليم فيها ، ترجمة المراجع العسكرية الى اللغات المحلية، اقامة الترسانات وبناء الجيوش الحديثة على النمط الاوروبي حتى فيما يتعلق بالزي . اما القوى المعارضة فهي نفسها : رجال الدين ، القوى الاقطاعية القديمة ، والجيوش القديمة المحافظة، الانكشارية في تركيا ، والمماليك في مصر او كما يسميهم لوتسكي "الانكشارية المصرية" (٨) واذا اضيف لهذا المعسكر .البدو والملتزمين وكل بقايا النظام الاقطاعي المتخلف . ندرك كم كان صعبا ان يتحقق اصلاح حقيقي في جو كهذا . وقد نجح التحالف بين هذه القوى القديمة احيانا في الانتقام لنفسه من رموز

Digitized by Birzeit University Library

الحركة كما حدث للسلطان سليم الذى دفع حياته سنة ١٨٠٧ ثمنا لمحاولات اصلاح لم تتم بعد ان عزل بفتوى من شيخ الاسلام .

مصادر تمويل الحركة ايضا واحدة ، ففي ظل اقتصاد تغلب عليه الزراعة،لم يكن التمويل ليتم الا على حساب لقمة عيش الفلاح المعدم الذى فرضت عليه ضرائب فادحة واحتكار حكومي صارم لمنتوجه،الامر الذى قضى على حوافز العمل لديه.وادى بالفلاح المصرى للهرب من طوق محمد علي الى الشام وغيرها ، وبالفلاح العثماني لامتهان اللصوصية وقطع الطريق،وبالفلاح التونسي للانضمام لثورات البدو حول العاصمة مطالبا بالغاء الضرائب الثقيلة .(٩) ولما كانت الحكومات مصرة على الوصول لنتائج معينة في مجال تحديث الجيش فقدلجأت للاستدانة من الغرب الامر الذى اوقع هذه الدول في تعقيدات لا نهاية لها مع الدول الدائنة .

وبعد هذا،النتيجة واحدة . سقوط الخيل قبل وصول الفرسان . لقد خربت الجيوش بعد عزوف السلاطين عنها لنقص الموارد اللازمة لتجهيزها . بعد ان استنزفت موارد البلاد على الانفاق التسليحي . ووقوع هذه البلاد في النهاية تحت ضغط الديون الاوروبية المرتفعة الفائدة بما حملته من تعقيدات اقتصادية وسياسية خانقة،فتحت باب البلاد واسعا امام التدخل الاجنبي لاحقا .

الموجة الثانية :

عرفت الموجة الثانية من موجات الاصلاح باسم التنظيمات،وعهد التنظيمات في تركيا يبدأ سنة ١٨٣٩ وهو عام صدور خطي شريف كلخانة . وفي نفس الفترة بدأت حركة موازية لهذه في تونس ومصر . بدايةواحدة في ظروف موحدة . فلقد كانت ظروف الحياة في الدول الثلاث متشابهة. الوضع السياسي واحد "فالباى" يساوى "الخديوى" ،والاثنان مرتبطان ولو ادبيا بالسلطان العثماني (١٠) ،والحياة العلمية واحدة ، كتاتيب بدائية منتشرة في القرى والمدن غايتها تحفيظ القرآن ،وعلى رأس هذه الكتاتيب جامع الزيتونة في تونس،وهو صورة مصغرة عن الازهر في مصر .

ان جزءا كبيرا من مسؤولية اصدار خطي شريف كلخانة يقع على الدول الكبرى وكذلك الحال بالنسبة للخط الهمايوني الصادر سنة ١٨٥٦ .(١١) والذى لم يكن اكثر من تكرار لخط كلخانة . اكدت هذه الخطوط على ضمان الحقوق المدنية والاقتصادية للاجانب بشكل خاص، تحت دواعي الحفاظ على الحقوق الدينية للاقليات غير المسلمة في الدولة العثمانية . بعد صدور خطي همايون والذى اعطى امتيازات للاجانب في الدولة العثمانية ، بدأت الدول الاوروبية ممثلة بقناصلها في تونس تلح على البايات ان يسيروا وفقا لبنود الخط . ولم تنجح

Digitized by Birzeit University Library

محاولات الباي في التهرب من الطلبات المتكررة للقناصل وخاصة القنصل الفرنسي في اصدار مرسوم يشبه خطي همايون . وكانت النتيجة ان اصدر الباي محمد "عهد الامان" في التاسع من سبتمبر سنة ١٨٥٧ وضمنه روح التنظيمات العثمانية . قنع القنصل الفرنسي بما جاء في عهد الامان وقال "نرجو الله ان يكون هذا كافيا في سكوت الدول عنك" (١٢) . اما محمد على الذى طبّق فكرة التسامح الديني فلم يكن بمنأى عن تدخلات الدول الاوروبية التي فرضت عليه الغاء الاحتكار الحكومي سنة ١٨٣٦ ، والزمته بتطبيق بنود الاتفاقية التجارية المعقودة بين بريطانيا والدولة العثمانية سنة ١٨٣٨ ،التي تعطي للدول الاوروبية امتيازات تجارية في جميع اجزاء الامبراطورية العثمانية ،رغم ان محمد على لم يكن طرفا في التوقيع على هذه الاتفاقيـــة .

وهكذا نرى أن صدور هذه التنظيمات لم يكن استجابة لحاجة داخلية ، ولهذا عصت كلها على التطبيق رغم الضغوط السياسية من الدول الاجنبية . والشيء الوحيد الذى حققته التنظيمات انها فتحت ابواب البلاد امام الهيمنة الاوروبية على اقتصاد البلاد. ولذلك يمكن اعتبارها غزوا ناجحا للامبراطورية دون استخدام القوة العسكرية ، لان الاوروبيين فرضوا من خلالها وجوب اعتبارهم "كأهل البلاد في الفتح وعدم تحمل الغرم (١٣) .

الموجة الثالثة :ـ

على اى حال فأن صدور التنظيمات في تركيا العثمانية قد شجع عددا من المصلحين في اجزاء مختلفة من الامبراطورية على المطالبة باصلاحات اخرى . يقف على رأس هؤلاء مدحت باشا في تركيا ١٨٢٢ – ١٨٨٣ ، والملقب بمهندس حركة الاصلاح التركية ، وخير الدين التونسي الاب الروحي لحركة الاصلاح التونسية ١٨١٠ – ١٨٨٩ ، ومحمد عبده في مصر ١٨٤٩ – ١٩٠٥ .

هناك قواسم مشتركة بين ثلاثتهم . اولها ، قناعتهم القاطعة بايجابيات الحضارة الاوروبية وتحديدا مفاهيم الديمقراطية البرجوازية . وثانيها ،محدودية رغبتهم في الاقتباس عن الغرب باعتبار ضرورة عدم تعارض ذلك مع اصول الشريعة الاسلامية .وثالثها ، الظرف التاريخي الذى جاءوا فيه وهو مرحلة ما قبل الاستعمار .

تكون لدى كل من هؤلاء رصيد غني من الخبرة تراكم بالدراسة والترحال في اوروبا . وكذلك من خلال خدمتهم في اجهزة الدولة في فترة الاصلاحات الاولى والثانية .

يسود موقفهم طابع التبسيط بالقفز عن جذور المشكلة للبحث في نتائجها (١٤) ومن هنا محاولتهم استعارة مؤسسات ومفاهيم الديمقراطية البرجوازية الاوروبية بما فيها من دساتير ، برلمانية ،محاكم ،نظام نيابي . ومفاهيم فصل السلطات واستقلالها .واقتباس مظاهر النشاط الاقتصادى الاوروبي : الشركات المساهمة ، البنوك ،المعارض التجارية المحلية

Digitized by Birzeit University Library

والدولية .... الخ .

لقد اراد هؤلاء نظاما دستوريا ديمقراطيا علمانيا ، دون النظر لظروف المجتمع الاسلامي الحكم المطلق . فكان الدستور التونسي سنة ١٨٦١ والذى يعتبر اول دستور في العالم الاسلامي تتويجا لجهود خير الدين غير انه لم يكن اكثر من مسخ للدساتير الاوروبية مصبوغا بصيغة اسلامية ، ولذلك بقي والمؤسسات الجديدة التي ظهرت في ظله متخلفا وتقليديا وعاجزا (١٥) . وسرعان ما عطل العمل به وبعد اقل من سنة واحدة على صدوره . اما الدستور التركي الصادر سنة ١٨٧٦ والذى كان ايضا ثمرة نشاط مدحت باشا فلم يكن مصيره بأحسن من سابقه . اما بالنسبة للدستور المصرى الذى تأخر صدوره حتى سنة ١٩٠٨ كصدى لبعث دستور سنة ١٨٧٦ التركي فلم يخدم الا كأداة طيعة بيد الانجليز للتنكيل بالحركة الوطنية المصرية .

اما عن المصلحين انفسهم ، فقد دفعوا الثمن غاليا لتجرئهم على المطالبة باصلاح لا يقع تحت دائرة اهتمام ذوى الشأن . مدحت باشا نفي سنة ١٨٧٧ ثم اغتيل سنة ١٨٨٣ . وخير الدين عزل سنة ١٨٧٧ . ونفي محمد عبده في اعقاب قمع الثورة العرابية .

هكذا وببساطة بقيت محاولات الاصلاح والتحديث رهنا برضى اصحاب الشأن ، سلاطين كانوا ام بايات او سادة محتلين . وهؤلاء سرعان ما يتنكرون لمواقفهم من الاصلاح اذا احسوا أن هناك من ينوى اجراء تغييرات اساسية قد تمس مصالحهم . ولذلك فقد تميز تاريخ الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر بتخلف متواصل رغم المحاولات التي مرت .

اعتبارات داخلية لم تراعى

انه لمما يلفت النظر ان ايا من محاولات الاصلاح لم تعمر حتى ولو لنهاية حياة القائمين بها . هل كان هذا كله بسبب الضغط الاجنبي كما يوحي البعض ؟ واذا فما قيمة تجربة لا تحمل لذاتها قوة دفع ؟ . صحيح ان ليس بالامكان غض النظر عن الدور التخريبي الذى لعبه الاستعمار على تجارب التحديث . غير ان هناك عقبات داخلية كثيرة حدّت من امكانية نجاح التحديث . وفي اعتقادى ان هذه العقبات يمكن تلخيصها فيما يلي :-

اولا :- عدم جدّية الطبقات الموجهة لعملية الاصلاح ، وعدم رغبتها اساسا في احداث تغيير حقيقي من شأنه ان يسحب البساط من تحت ارجلها . فهذه الطبقات ترى في الوضع القائم دعامة لاستمرار حكمها وتسلطها . وهي ان لجأت للاصلاح فانما بغرض قطع الطريق على الفئات الاجتماعية ذات المصلحة في تغيير جذرى . فاصلاحات الدولة العثمانية كانت بدوافع "الضغط الخارجي الصريح او الخفي" (١٦) ، وهي وان قدمت تنازلات في بعض المراحل للفلاحين فلم يكن ذلك عطفا عليهم بقدر ما هو الرغبة في استعادة سلطة فقدتها لحساب الطبقة الاقطاعية .

Digitized by Birzeit University Library

اما اصلاحات محمد علي فكانت محاولة لتقويض دعائم طبقة مستثمرة ذات امتيازات قديمة وغير مأمونة بالنسبة اليه ،لتوطيد نفوذه ونفوذ اسرته من بعده في مصر (١٧) . اما بايات تونس فهم طامحون في الظهور بمظهر المتحرر والمصلح امام الدولة الاوروبية اولا وامام شعوبهم بعد ذلك . (١٨)

ثانيا :ـ الجهل والتخلف المغلف بالفكر الديني لدى جماهير العالم الاسلامي . الامر الذى الزم هؤلاء بالوقوف ضد التغيير ومن خلفهم رجال الدين دعامة النظام الاقطاعي القديم . ان مسألة بناء دولة عصرية ـ برجوازية ـ على انقاض مجتمع اقطاعي متخلف كمجتمعنا العربي الاسلامي ـ في القرن ١٩ ـ لم تكن بالمسألة السهلة . ولم يكن ليكفي انجذاب دعاة الاصلاح لمفاهيم الديمقراطية البرجوازية حتى يصبح بالامكان تطبيقها على ارض الواقع . ففي مجتمع كهذا "معظم اعضائه متخلفين ومقيدين بالتقليد الديني وخاضعين لحكم استبدادى ،من الطبيعي ان يفشل نظام دستورى ديمقراطي علماني" (١٨) .في مجتمع كهذا لا مناص من اللجوء لاجراءات قاسية منها فرض الضرائب والتجنيد الاجبارى وقبل ذلك كله "مقاومة النهج القديم الذى اعتاده الناس" (١٩) الامر الذى يستلزم معركة شرسة لانتزاع الوعي المتخلف حتى عن مفاهيم الدين الاسلامي نفسه، ولتخليص الجماهير من الجهل والعجز السياسي الذى هم غارقون فيـه " . (٢٠) .

ان الموقف المتسم "بالاستحياء والتردد" (٢١) ، كما يصفه المستشرق هاملتون جب ، لدعاة الاصلاح الديني ،لم يكن يكفي لاحداث تغيير جدى في مستوى وعي الناس الذين يحملون تبعة قرون من التخلف تحت حكم العثمانيين .

وحيث عجز المصلحون عن تحقيق نهضة ثقافية واجتماعية في العالم الاسلامي ،فان نشاطهم بقي يدور في حلقة الذاتية المفرغة، وفي احسن الاحوال انقسمت الجماهير الواقعة تحت تأثير دائرة نشاطهم الى شطرين ، الاول ينتحل الافكار الغربية دون التعمق فيها ،وشطر محافظ متشبث بالموقف القديم ." وكلاهما في موقف غير طبيعي" (٢١) وحيال ذلك فقد استمر التخبط والانفصام نتيجة لهذه الثورة السطحية المفاجئة.

ثالثا :ـ سطحية الاصلاحات ، ومحدودية افاقها .

تتمثل الاصلاحات التي عرفها القرن التاسع عشر في السعي لتطوير الصناعة والبنيان الفوقي والاحتفاظ بجيوش قوية لاعتبارات الامن والحفاظ على مصالح الفئات الحاكمة ضد التهديد الخارجي والداخلي . ولم تكن الدول ولا حتى المصلحين كأشخاص يبذلون جهودا لتعليم الجماهير طريقة جديدة في الحياة ، او اساليب تفكير جديدة . ولا هم سعوا ... بل وقطعوا الطريق على تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة . وكانت اصلاحاتهم في الغالب "مقتصرة على المراسيم والتنظيمات الرسمية ، تفرض من اعلى " (٢٢) . صحيح ان بعض هذه الاصلاحات قد حمل طابعا تقدميا بحيث وضع الاساس للتقدم في مجالات العلم والثقافة واستخدام التكنولوجيا الغربية ،ولكن اين هذا من طموح الشعوب التي تعيش التخلف للحاق

Digitized by Birzeit University Library

بالغـــرب .

هل اراد محمد علي حقا "ان يستبدل العمامة العثمانية المفتخرة برأس حقيقي" (٢٣) حسب تعبير كارل ماركس ؟ أم كان يكفيه ضمان حقوق عائلته في مصر ،وكفاه الله شر القتال ؟ ان كل الدلائل تشير الى ان محمد علي ذلك "الملاك الكبير والتاجر الكبير" (٢٤) لم يقم باصلاحاته كغاية في حد ذاتها ، بل وسيلة للحصول على المال بغرض اقامة جيش قوى حديث يوطد به حكمه في الداخل ، ويستخدمه لغرض نفوذه في الخارج تجاه السلطان العثماني والدول الاوروبية . وكسياسي بارع يتعظ بتجارب غيره طلب الكثير ليتسنى له الحصول على القليل الذى يكفيه وفي مجرى ذلك لم يكفى احدا شره . فاضطهد الفلاحين والحرفيين والعمال . ومنع بسياسة الاحتكار الجشعة التي اتبعها فرصة ظهور طبقة برجوازية ذات مصلحة في الاستمرار بعملية الاصلاح ،مما افقد اصلاحاته قوتها الدافعة مباشرة بعد وفاته .

اما بايات تونس فكان همهم من الاصلاح بناء جيش على نمط جيش نابليون "الذى كان الباى احمد يكن له احتراما شديدا "(٢٤) مهما كلف الثمن . وقد كان الثمن باهظا حقا . لقد كبد الجيش الحكومة التونسية خسائر فادحة . واذا ما اضيفت الى الخسائر الناجمة عن سوء الادارة وجشع وزير المالية ،فأن الدولة واقعة لا محالة تحت طائلة الدين الاجنبي الذى بلغ مقداره ١٥٠ مليون فرنك عند وفاة الباى احمد سنة ١٨٥٥ . وبعد هذا خلفه اخوه محمد باى ،وكان هذا مثل سلفه حاكما تقليديا راغبا في توطيد سلطته ،فاضطهد الاقليات ، ولازم الجلوس بالمحكمة يحكم على هواه ،(٢٥) حتى قادته هذه السياسة الرعناء لاصدار "عهد الامان" الذى سبقت الاشارة اليه. لقد رافق هذه الحركة مشاكل كبرى "فأربكت التقاليد الفلاحية والبدوية فيما يتعلق بمفاهيم العدالة والقانون ،هذا اضافة الى معارضة مجموع علماء الدين لها " (ص ٢٦) .

رابعا :ـ قوة ونفوذ القوى القديمة المعادية للاصلاح في اطار الامبراطورية العثمانية .

رأينا فيما تقدم كيف ان السلطان سليم الثالث قد دفع حياته ثمنا لمحاولة اصلاحية لم تتم على مذبح الرجعية المتمثلة في شيخ الاسلام وحلفائه الانكشارية والاقطاعيين . لقد افتى هذا بوجوب عزل السلطان فعزله فعلا (٢٧) ،ومثل ذلك جعل في تونس حيث وقف رجال الدين على رأس الحركة المعارضة للاصلاح .التي وجدوا فيها تهديدا لمصالحهم الذاتية ، فوصفوا الدستور وعهد الامان بأنها "امر مخالف للعادة لانها تساوى بين السادة والعبيد" (٢٨) . وقام زعيم هؤلاء ـ الوزير المؤرخ احمد بن ابى الضياف بزيارة للاستانة مطالبا بالغاء الدستور، الذى عطل العمل به فعلا بعد أقل من سنة على صدوره .

اما محمد على فقد اتعظ بتجارب الاخرين ،فأدرك المخاطر التي تنطوى عليها معارضة رجال الدين للاصلاح فبادر الى طرد زعيمهم ونقيب الاشراف ـ عمر مكرم ـ وأخذ منهم الالتزام ونظارة الاوقاف ، واوعز بصرف مرتبات لرجال الدين من خزينة الدولة . وقد سهل

Digitized by Birzeit University Library

ذلك على محمد علي الذى تخلص على هذا النحو من بقية اعدائه الداخليين من التمكين لسلطته في مصر والوصول الى مبتغاه .

بالاضافة لذلك فان الاعتبارات الدينية شوهت مفهوم فعل السلطات ، بسبب اصرار رجال الدين على دمج السلطة الدينية بالمدنية . كما استمرت مداخلات الدين في التعليم وخاصة الابتدائي . اضافة للتعقيدات الاضافية على مسألة ملكية الارض بسبب شيوع نظام الارض ونظام الوراثة الاسلامي .

ان اصرار المصلحين على ضرورة عدم تعارض ما تتم استعارته من الغرب مع دعائم الدين الاسلامي قد شوه تجاربهم الاصلاحية ، وشوه حتى مفهومهم للدين . لقد افتى محمد عبده بامكانية تعاطي الفائض ـ الربا ـ ودعى للاعتراف بالحقوق والحريات الشخصية ، على اعتبار ان الاسلام دينا ديمقراطيا . وهذا يعني حرية العبادة والمعتقد الديني !! هل انهت هذه الاجتهادات حالة التأزم التي يحياها عالمنا الاسلامي ؟؟ لا اعتقد .

خلاصـــــة :

ان هناك عدة قواسم مشتركة بين كل دعاة الاصلاح في العالم الاسلامي خلال القرن التاسع عشر . اهمها السطحية المتمثلة في موقفهم التبسيطي والساذج تجاه التخلف الذى يسود العالم الاسلامي مقابل حضارة اوروبا . ولذلك فلا غرابة ان يصب هؤلاء اهتمامهم على نتائج الظاهرة بدلا من اسبابها . وثانيا موقفهم الانتقائي التبريرى والطفولي من الحضارة الاوروبية ، التي ارادوا بذكائهم خطف سر تقدمها بعد مغافلتها . لقد ارادوا غنما دون جرم انتظروا ان يهز غيرهم الشجرة ليقطفوا الثمار ، وبقيت شعوبهم تتضور جوعا . دون ان تنقذهم موجات الصرع التي انتابت اولئك المصلحين نتيجة انذهالهم بالبون الشاسع بين ما وصلت اليه حضارة الغرب وما هم فيه من تخلف .

المراجـــع

١) اميل توما :ـ تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديثة (منشورات صلاح الدين ، القدس، ١٩٧٩) ص ١٣

٢) المصدر السابق . ص ١٤

٣) عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون ،ط ٢ (دمشق ،١٩٦٨) ص ١١٢

٤) توما ، ص ١٥

٥) رافق ، ص ٥٨

Digitized by Birzeit University Library

٦) لمزيد من التفاصيل راجع .لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث (دار التقدم، موسكو ١٩٧٥) ص ١٨ – ص ٢٧ .

٧) معن زيادة : مقدمة كتاب "اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك" (تحقيق ودراسة ،دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨) ص ٢٥

زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث (دار النهضة ،بيروت، ١٩٧٥) ص ٤٧١

٨) لوتسكي ، ص ٦٧ .

٩) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيين ١٥١٦ – ١٩١٦ (مطبعة السروجي ، عكا ، ١٩٧٤) ص ٤٠٣ .

لوتسكي ، ص ١٧ .

١٠) جلال يحيى : العالم العربي الحديث (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦) ص ١٤٨

١١) هرشلاغ : مدخل الى التاريخ الاقتصادى الحديث للشرق الاوسط (دار الحقيقة ،بيروت ١٩٧٣) ص ٤٣

١٢) احمد ابن ابي الضياف : اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان (الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس ١٩٦٣) ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

١٣) محمد هادى العامرى :– تاريخ الغرب العربي في سبعة قرون من الازدهار والذبول (الشركة التونسية الشرقية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٧٤) ص ٣٦٨.

١٤) احمد امين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث (مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة، ١٩٤٨) ص ١٦٦

١٥) The Cambridge History of Islam. P.295

١٦) هرشلاغ : ص ٥٢

١٧) رافق : العرب والعثمانيين ، ١٥١٦ – ١٩١٦ ، ص ٣٩٣ .

١٨) يحيى ، ص ٢٥٨

١٩) توما ، ص ٤٦

٢٠) هرشلاغ : ص ٤٨ ، ص ٣٢٦

٢١) هاملتون جيب : دراسات في حضارة الاسلام ، ط ٢ (دار العلم للملايين ،بيروت، ١٩٧٤) ص ٣٢٦ .

٢٢) هرشلاغ : ص ٤٣ .

٢٣) لوتسكي : ص ٧٤ .

٢٤) زيادة : ص ٣٣ .

٢٥) ابن ابي الضياف : ص ٤ .

٢٦) The Encyclopedia of Islam,Vol 2 ,P. 639

٢٧) هرشلاغ : ص ٣٩

٢٨) العامرى : ص ٣٦٥ .

Digitized by Birzeit University Library

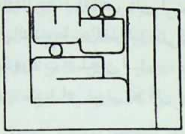

النضال ضد الجوع في البلدان النامية

بقلم : د . سمير حزبون

تعتبر مشكلة الغذاء في البلدان النامية (١) ،احدى العقبات الاساسية التي تقف امام التطور اللاحق لهذه البلدان ، لا سيما وان مشكلة الغذاء واحدة من اهم عوامل التخلف. حيث تشير احصائيات هيئة الامم المتحدة الرسمية الى انه يموت جوعا كل يوم على وجه الكرة الارضية قرابة ٥٠ر٠٠٠ شخص، غالبيتهم يعيشون في البلدان النامية بالاضافة الى ذلك فانه من بين سكان الكرة الارضية البالغ عددهم ٤ مليار نسمة يعاني ٥٠٠ مليون من الجوع ويعيش مليارد شخص تحت المستوى المطلوب من التغذية ،اى بمعنى آخر يعانون سوء التغذية. هذا اذا علمنا ان ثلثي عدد سكان الكرة الارضية ينتجون فقط ثلث انتاج العالم من المواد الغذائية .

أرضية التطور في السنوات السابقة

لقد سجلت السنوات العشر الماضية ١٩٧٠ – ١٩٨٠ انخفاضا خطيرا في الوضع الغذائي للبلدان النامية رغم التفاوت في نسبة الانخفاض من عام الى آخر. كذلك فان البعض ينظر الى الوضع الغذائي مع بداية الثمانينات بشكل لا يعطي صورة متفائلة عنه في المستقبل . هذا كله رغم القرارات والمهام المطلوبة لتأمين الغذاء لسكان الكرة الارضية ،وخاصة البلدان النامية ،التي رسمها ووضعها مؤتمر الغذاء العالمي ،الذي عقد تحت اشراف الامم المتحدة ، في عام ١٩٧٤ . حيث لم تتحقق اى خطوة فعلية باتجاه انجاز القرارات والتوصيات التي اتخذها . هذا مع العلم ان انتاج الغذاء في البلدان النامية لم يصل خلال اعوام

١) اسيا افريقيا وامريكا اللاتينية

Digitized by Birzeit University Library

السبعينات الى نسبة نمو سنوية مقدارها ٤٪ (من عام الى آخر) كما كان مقررا كأحد مهام الامم المتحدة في سنوات التنمية العشرة (١٩٧٠ – ١٩٨٠) . وبما انه في البلدان النامية يتجاوز نمو السكان نسبة زيادة انتاج الغذاء ، فهي تعاني من عجز مستمر في ميزان الاغذية ، الذى تتم تغطيته عن طريق الشراء في الاسواق العالمية . وبالتالي فان استمرار استيراد الاغذية ، مع الاخذ بعين الاعتبار استمرار ارتفاع اسعار المنتوجات الغذائية ، كل ذلك يقود الى مصاعب وعجز مستمرين في الميزان التجارى وميزان مدفوعات البلدان النامية ، حيث بلغ المعدل السنوى لزيادة الاسعار في اعوام السبعينات ٤٪ سنويا اى ضعفي ما كان عليه بالمقارنة مع اعوام الستينات .

وبالتالي ، اذا كانت بلدان العالم النامية ، ترغب في تحسين وضعها الغذائي ، يجب عليها في البداية وقبل كل شيء ان تعمل على زيادة انتاجها المحلي من المواد الغذائية كخطوة اولى . لا سيما وان استمرار الاعتماد على الاستيراد يؤدى الى نتائج سلبية ومزمنة . هذا مع العلم انه مع نهاية سنوات السبعينات بلغت كمية واردات البلدان النامية من المواد الغذائية حوالي ٨٠ مليون طن من الحبوب سنويا ، حيث تقدر قيمتها بحوالي ٢٠ مليارد دولار وبالتالي فان قرار استيراد المواد الغذائية رغم وجود امكانية لزراعة بعض الانواع المستوردة ، يشكل عائقا وعقبة أمام التطور اللاحق لهذه البلدان . ومن الناحية الثانية فان تصدير المنتوجات الزراعية التقليدية (بدون تصنيع وكمواد خام) من البلدان النامية ، يمكن ان يشكل مصدر دخل كاف ، كما هو متوقع ، وخاصة في الظروف الحالية ، ومن الضرورى هنا ان نذكر بأن الشركات المساهمة والفوق قومية تسيطر على ٥٪ من التجارة الدولية للكاكاو ، وذلك تبعا الى احصائيات UNCTAD ، بالاضافة ٧٦ – ٧٠ ٪ من تجارة الموز ، ٨٥ ٪ من تجارة الشاى ، ٩٠٪ – ٨٥٪ من تجارة القهوة .

اما بالنسبة للمنتوجات الزراعية غير الغذائية (على شكل موادخام) فان هذه الاحتكارات تسيطر على ٧٥٪ – ٧٠٪ من تجارة الكاوتشوك ، ٩٠ ٪ – ٨٥ ٪ من تجارة القطن ٩٠ ٪ – ٨٥٪ من تجارة القنب بالاضافة الى ٩٠٪ – ٨٥٪ من تجارة التبغ .

ان هذا جزء من الصورة ، اما الجزء الثاني فهو ان عدد سكان البلدان النامية ، الذين يعانون من عدم كفاية الغذاء يزدادون سنويا ، كما وان الدراسات والابحاث المتوفرة عن الوضع الغذائي حتى نهاية القرن العشرين ، تعطي صورة قاتمة عن الوضع الغذائي اذا استمر الحال كما هو عليه الان .

لا بديل عن وضع استراتيجية وطنية للغـذاء ...

أما الصورة الاخرى للوضع في البلدان النامية ، فهي تبدو ناجحة ، الى حد ما في العديد من الخطوات التي اتخذتها هذه البلدان من اجل تحسين الوضع الغذائي ، عن طريق وضع

Digitized by Birzeit University Library

استراتيجية غذاء وطنية، كجزء من خطة التنمية الاقتصادية الشاملة. لا سيما وان العوامل والعناصر الاقتصادية والتكنيكية المطلوبة للقضاء على المجاعة اصبحت معروفة وقابلة للتطبيق والتحقيـــق

ان جوهر التقدم في القطاع الزراعي، لاقتصاديات البلدان النامية يمكن التفكير به والعمل على تحقيقه دون اتخاذ خطوات جدية نحو تغيرات اجتماعية واقتصادية حقيقية، والتي تشمل بشكل خاص القيام باصلاح الملكية الزراعية وتوفير اراضي للطبقات غير المالكة للارض، والكادحين، والعمال المأجورين. ان الاصلاح الزراعي، يشكل الخطوة الاولى على الطريق الصحيح، ويفتح المجال واسعا امام تطبيق وادخال التكنيك والتكنولوجيا الزراعية بشكل متوازن في هذا القطاع.

ولذلك فان الاصلاح الزراعي الحقيقي، لايمكن ان يعني فقط، اعادة توزيع الارض. ان الفلاحين بحاجة ماسة بالاضافة الى الارض الى تطوير وسائل الري وتوفير المواد الزراعية الاخرى (الاسمدة بأنواعها، انواع الحبوب المحسنة، ... الخ) وذلك بأسعار تتناسب وتستجيب لامكانيات الفلاحين، كل ذلك بالاضافة الى ضمان تسويق المنتوجات الزراعية بأسعار لا تتأثر بوضع ميكانيزم السوق، خاصة المفاجئة (كذلك العرض والطلب بطبيعة الحال) بالاضافة الى ربط الوضع الزراعي وبشكل وثيق مع التطور الاقتصادي العام لهذه البلدان (الصناعة والفروع الاخرى) والعمل على تطوير الريف من مختلف النواحي، لا سيما وان ذلك يعتبر جزءا اساسيا من استراتيجية التنمية الوطنية العامـــة.

بطبيعة الحال فان كل بلد نامي يواجه مجموعة مختلفة من المصاعب والعقبات التي تقف امام خطة تنمية القطاع الزراعي. ومن هذه المصاعب والعقبات نجد في المركز الاول عدم توفر مصادر كافية من أجل الاستثمار، وعدم توفر كادر كفؤ ومتخصص، عدم كفاية في التكنيك الزراعي، هذا بالاضافة الى وجود مصادر محدودة وقليلة للاسمدة والبذور والتي تتمتع بكفاءة ومؤشرات استعمال جيدة، هذا مع وجود بنية تحتية غير متطورة ... الخ. وفي هذا المجال نستطيع القول ان منظمة الغذاء الدولية (FAO) التابعة للامم المتحدة، تلعب دورا داعما ويشتى الاشكال للعملية التطوير والتنمية الزراعية في البلدان النامية، وبصورة محددة الوكالات المتخصصة التي تقع في اطارها.

ما هي نسبة المساهمة الدولية ...

في عام ١٩٦٢ تكون في اطار المنظمة الدولية للغذاء (FAO) ما يعرف ببرنامج الغذاء العالمي (World Food Brogram) وقد وضع هدف اساسي لهذه المنظمة، الا وهو تقديم المساعدات الغذائية للبلدان النامية بالاضافة الى المساعدات الاخرى المتعددة. ولقد تميز النشاط الاولي لهذه المنظمة كونه موجها لمساعدة البلدان المتضررة بالجفاف او الافات الزراعية الاخرى، بالاضافة الى مساعدة البلدان النامية في حالات

Digitized by Birzeit University Library

النكبات ... الخ. وكانت تتم المساعدة على اساس المعلومات السريعة التي كانت تقدم لمنظمة الغذاء الدولية عن طريق شبكة معلوماتها والتي تعرف "بنظام التنبيه المبكر" (Early WarninG System) التي تتابع اخبار المناطق المتضررة والمنكوبة بالاضافة الى المناطق التي تعاني من المجاعات ونقص الغذاء. كذلك فقد تم لاحقا القيام بنشاط واسع بالاضافة الى ما ذكر سابقا، حيث تمّ تقديم مساعدات غذائية للبلدان النامية، بحيث ساعدت على التنمية بشكل عام، وتطوير القطاع الزراعي بشكل خاص، كما تمّ في بعض الاحيان تقديم المساعدة على شكل دعم مالي بدل أجور العاملين في بناء شبكة الرى او الطرق ... الخ. هذا بالاضافة الى اشكال آخرى مثل الاهتمام بطلبة المدارس وتقديم الوجبات الغذائية لهم الامر الذى كان يساعد في بعض الاحيان على تحسين الوضع الغذائي وزيادة زيارة المدارس من قبل الطلبة. كذلك كان يتم في بعض الاحيان تقديم الحبوب ومساعدة الفلاحين الذين يعملون على استصلاح الاراضي غير المستعملة والبكر.

وباختصار نستطيع القول بأن هذه المساعدات سواء كانت على شكل مالي، دعم لتطوير المواصلات او مساعدات غذائية او ما شابه ذلك قد قدمت لحوالي مئة دولة. وفي الفترة ما بين ١٩٦٣ – ١٩٨٠ قدمت منظمة "برنامج الغذاء العالمي" (W.F.P) مساعدات الى ١١٣ دولة على شكل مشاريع بلغ عددها ٢٠٤ مشروعا ووصلت تكاليفها ٤٢٨٥ مليون دولار ومن المؤسف جدا أن اهم العقبات التي تقف في وجه (W.F.P) هي عدم توفر مصادر كافية، لتغطية الدعم الغذائي المتزايد، والتي لا يمكن في الوضع الراهن ان تغطي نشاط الحد الادني، بينما نجد مليارات الدولارات ترصد من أجل التسلح، بالاضافة الى زرع الصواريخ، إلتي تهدد السلم العالمي والقيام بأعمال عسكرية بربرية تحت اسم "الحفاظ على المصالح والديمقراطية المزيفة".

لقد تحقق النجاح، لكن من جهة واحدة.

من ناحية اخرى، فانه توجد هناك منظمات عديدة تعمل في اطار FAO تقوم بتقديم المساعدات لتنمية الزراعة وحل مشاكل التغذية، مثل "الصندوق الدولي لتنمية الزراعية" (IFAD). لقد تأسس هذا الصندوق في عام ١٩٧٧ بمصادر مالية بلغت مليارد دولار، حيث رصد هذا المبلغ لمساعدة البلدان النامية من أجل تطوير برامج التغذية وتحسين مستوى الغذاء العام للسكان، بالاضافة الى دعم التنمية الزراعية وعلى الاخص تطوير الريف عن طريق تقديم القروض.

لقد شكلت جميع هذه الخطوات، اولى النتائج الايجابية في اطار نضال البلدان النامية من أجل اقامة ما يدعى "نظام اقتصادى عالمي جديد". لكن المؤسف، ان هذه المؤسسات والمنظمات لم تستطع لاحقا ان تتخذ خطوات جديدة الى الامام، طبعا لنفس الاسباب والعوائق التي تقف امام مشكلة بناء علاقات اقتصادية جديدة، على اسس عادلة، حيث انتهت

Digitized by Birzeit University Library

هذه الجهود في طريق مسدود ،وفي بعض الاحيان اعتبرت قضايا ميتة ... وذلك كله بفضل نهج البلدان الرأسمالية المتقدمـــة .

وبالرغم من ذلك فان IFAD مستمرة في نشاطها حيث ينمو ويتسع ومن الملفت للانتباه بأن هذه المنظمة تعتمد في تمويلها على البلدان الرأسمالية في جزء بسيط،اما القسم الاعظم فيأتي عن طريق الدعم الذى تقدمه البلدان النامية وخاصة اسواق OPEC .اما بالنسبة لحق التصويت فهوموقسم الى ثلاثة اثلاث ، حيث تتمكن فيه بلدان OPEC والبلدان النامية أن تشكل الثلثين مما يساعد في ان يصبح لهذه الدول دور في رسم سياسة هذه المنظمة.

ومن الملاحظ انه في عام ١٩٧٨ مولت IFAD فقط ١٠ مشاريع ،واليوم فانها تمول ٣ أضعاف النسبة السابقة،حيث بلغت قيمة هذه المشاريع نصف مليارد دولار،وهذه المشاريع موزعة على عدة اقليم : ١٢ في افريقا (عام ١٩٨١ وفي اسيا ١١ ،وامريكا اللاتينية ٧. ومن بين هذه البلدان المستفيدة من مساعدات هذه المنظمة،يوجد بلدان ذات توجه اشتراكي مثل اليمن الديمقراطي وبنين ... وغيرها ..

اما بالنسبة لعضوية البلدان الاشتراكية في IFAD فتوجد كوبا،فيتنام ،رومانيا ، ويوغسلافيا،هذا بطبيعة الحال لا ينفي دور البلدان الاشتراكية الاخرى التي تلعب دورا متقدما في تطوير ودعم البرنامج الغذائي للبلدان النامية ـ وهذا لا يتمثل في اطار تقديم المعونة الغذائية فقط،بل يتجاوزها من أجل تعبئة الطاقات ومن أجل توفير عوامل تطوير الزراعة الواسعة والمكثفة ،التي تقود الى نمو الانتاج الغذائي لهذه البلدان .كذلك فان هذه المساعدات تتمثل في دعم الحركة التعاونية واقامة المزارع النموذجية ،وبناء محطات الميكانيك الزراعي ،ومختبرات تحسين المنتوجات الحيوانية والنباتية .. الخ.كذلك فاننا نجد بلدان سوق التعاضد الاقتصادى تعمل على زيادة دعمها العلمي ـ التكنيكي من اجل تطوير الزراعة في البلدان النامية،بالاضافة الى البحث عن الطرق المناسبة للتعاون بين البلدان النامية والاشتراكية،حيث يخدم مصلحة الطرفين ،ويقوم على اساس المساعدة الاممية،وذلك بشكل خاص تجاه البلدان النامية ذات التوجه الاشتراكي وبالتحديد التي تتمتع بصفة عضو مراقب في سوق التعاضد الاقتصادى .

Digitized by Birzeit University Library

تعرض شعبنا الفلسطيني خلال تاريخه الحديث لمحاولات مستمرة من التشريد الوطني والطمس الثقافي والسياسي تواكبت مع تدمير عدد كبير من المستوطنات البشرية الفلسطينية اذ زاد عددها عن ٤٠٠٠ قرية وتجمع سكني حتى الثمانينات من هذا القرن، مما أدى الى لجوء معظم سكانها الى مناطق فلسطينية وعربية اخرى وانفصالهم بشكل كامل عن أدوات انتاجهم الرئيسية وخاصة الارض واعتمادهم سبل حياة جديدة تعتمد احياء أساليب الانتاج السائدة في مناطق اللجوء والتشتت

اما هذه القرى والتجمعات السكانية فقد خضعت اما لمحاولات ازالة كاملة عن وجه الخريطة الفلسطينية او لمحاولات تهويد أجرت عليها تغييرات تتعلق بالاسم والموقف وبالشكل ، وحولتها الى مستوطنات صهيونية تستقبل المهاجرين الصهيونيين من أطراف العالم المختلفة.

وهذه الدراسة هي محاولة اولية لاعادة احياء احدى هذه القرى الفلسطينية (يـــازور)* التي تعرضت للتدمير شبه الكامل خلال حرب ١٩٤٨ وتشرد اهلها ليستوطنوا الضفة الغربية (مخيمات نابلس واريحا) والاردن والكويت. وقد كان اختيار قرية يازور الفلسطينية اختيارا تحدد بالامكانات، فهي من ناحية أول القرى التي تمكنت من أن اجد لها تاريخا مسجلا في دفاتر مختار القرية الذى توفى قبل ثلاث سنوات في مدينة البيرة، بالاضافة الى وجود عدد كبير من رجالها ونسائها الذين عاشوا تفاصيل تلك الفترة ، وشكلوا مرجعا خصبا لهذا البحث. وقد تميزت من ناحية أخرى بموقعها الهام ، فهي أقرب القرى لمدينة يافا (الميناء

* يازور : قرية فلسطينية تقع الى الشرق من يافا .

Digitized by Birzeit University Library

الرئيسي) بالاضافة الى انها تقع على الطريق الاستراتيجي الموصل بينها وبين مدينة القدس ، وعلى خط سكة الحديد المجاور لهذه الطريق .

وقد استندت في هذه الدراسة الى مخطوطات مختار القرية (الحاج عثمان جبريل) والتي تضم دفاتر تفصيلية عن مواليدالقرية،من عام ١٩٢٣ وحتى أوائل عام ١٩٤٨. ودفتر سجلات اراضي القرية في الفترة نفسها. بالاضافة الى دفتر سجلات الاراضي البريطاني عن قرية يازور لعام ١٩٤٥ . الذى يخص قائمقام الرملة في ذلك الوقت ،والموجودين بين مخطوطات المختار .

وقد تم ،بالاضافة الى ذلك ،استجواب عدد من سكان القرية القاطنين في نابلس وأريحا والكويت *، عن نواحي الحياة المختلفة في القرية،خلال العشرين سنة التي سبقت الهجرة عام ١٩٤٨. والاعتماد على بعض احصائيات الانتداب البريطاني لعام ١٩٤٥، من خلال سلسلة كتب مصطفى الدباغ (بلادنا فلسطين) . ومن ثم قمت بزيارة القرية عدة مرات، مطمحا بعض سكانها لاخذ صورة واضحة عن طبيعة القرية: بقاياها ، آثارها القديمة وموقعها الجغرافي .

ولا بد من الاشارة هنا الى بعض المشاكل المنهجية التي واجهت البحث ،في ظل غياب دراسات شبيهة لاتتعرض للقضية نفسها ألا بالمعنى العام. فالانتروبولوجية ،"هيلما غرانجفيست" قامت بدارسة شاملة عن قرية أرطاس الفلسطينية،بين عامي ١٩٢٥ و١٩٣١، متعرضة لنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة ، بعد ان عاشت هذه الفترة داخل القرية وبين سكانها ،وسجلت ثم صوّرت كل ملاحظاتها التي استندت اليها في كتاباتها عن القرية،خلال الاربعين سنة التالية. ولهذا فقد كانت دراساتها مرجعا علميا في حدود استعراض القضايا التي تناولتها في كتاباتهاعن القرية.

اما الباحثة روز ماري صايغ ، فقد اضافت بعدا منهجيافي كتابها : "الفلاحون الفلسطينيون بين الاقتلاع والثورة" (١) ، من حيث اعتمادها على التاريخ الشفوي للفلاحين الفلسطينيين في لبنان. ورسخت أسلوبا علميا في عملية بناء تاريخ القرية الفلسطينية التي دمّرها الاحتلال الصهيوني ،خلال هذا القرن .

الا ان الصلة بين هذين النوعين من الدراسات ،خاصة في مجال دراسة الوضع الاقتصادى ـ الاجتماعي الفلسطيني ،ما زالت غائبة،وتحتاج لقاعدة منهجية دقيقة لبداية دراسات من هذا النوع ،تبدأ بتجميع واستعراض الكتابات والابحاث التي كتبها الرحّالة

* اذكر من سكان القرية كلاً من عبد الرزاق مقدادى ،غزالة مقدادى ،الحاج محمد يحيى ، الحاج أحمد يحيى ، حسن حليلة ، خضرة حليلة ، عثمان حليلة . محمد طه وغيرهم .

Digitized by Birzeit University Library

الاجانب والعرب، وثائق الفترة العثمانية وفترة الانتداب البريطاني، الدراسات الصهيونية المتعددة، التي جرت خلال فترة الانتداب، بالاضافة الى الاستناد لتاريخ القرى الشفوي، والذى قد يتعرض للاندثار مع العقود الثلاثة القادمة وانتهاء جيل ثورة عام ١٩٤٨.

الموقع والتاريخ القديم

الى الشرق من يافا وعلى بعد ٥ كلم، تمتد سهول يازور في كل الاتجاهات، لتشكل ما مساحته ١١٨٠٧ دونمات من أراضي القرية، وتكون بذلك سابعة قرى قضاء يافا مساحة، أما القرية نفسها فتبلغ مساحتها ٨٧ دونما، بالاضافة الى ٦١٥ دونما للطرق والوديان، وقد امتلك اليهود منها، حتى عام ١٩٤٥، ١٤٢٨ دونما (٢).

يحد القرية شمالا اراضي قرية سلمة (٦كلم)، حيث يفصلها عنها واد موسمي يبلغ عمقه ١٢م وعرضه ٤٠م تحدها جنوبا الرمال وعيون قارة (٧كلم). والى الشرق منها تقع قرية بيت دجن (٤ كلم)، واراضي حولون غربا (٣).

اما اسم يازور فيقال انه قد جاء من اسم والد النبي "ابراهيم" ويدعى "عازر" او "آزر"، وقد يكون هذا هو أصل اسمها "آزور" الذى ذكرها الاشوريون به أيضا (٤) ويذكر مصطفى الدباغ انه من المحتمل ان تكون يازور هي نفسها "بيت الزور". البلدة التي دمرها "أحمس الاول" مؤسس الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية ضمن أربع قرى دمرها، أثناء تعقبه للهكسوس في فلسطين، بين عامي ١٥٨٠ و ١٥٥٧ق م (٥).

وقد جاء ذكر يازور في التوراه (يوشع ١٩ – ٤٥)، كما تم ذكرها في المخطوطات الاشورية المتعلقة بفتح "سنحاريب" ليازور ويشير المسح الاثرى السطحي ليازور الى استمرار الاستيطان فيها من العصر الكالكوليثي (الالف الرابع قبل الميلاد) وحتى عصر الدولة العبرية في فلسطين، مرورا بالعصر البرونزى والحديدى، وقد تم العثور على قبور وجرار تعود لهذه العصور في حفريات حديثة (١٩٧١) جرت في منطقة تبعد ١٠٠م جنوب الشارع الرئيسي المار في القرية (٦).

تقسم القرية الى قسمين شمالي وجنوبي، حيث يتركز سكان القرية في القسم الشمالي منها، لما يحويه هذا القسم من الاثار (البلدة القديمة) والمراكز الرئيسية، مثل. مسجد القرية الكبير ومقام الامام علي (نسبة الى ولي الله ابو الحسن بن عليل وهو من أحفاد عمر بن الخطاب المشهور باسم علي بن عليم، توفى عام ٤٧٤ هـ) (٧). و"البوبرية" وهي غرفة ضخمة يصل سمك جدارها الى ٣م، ويخرج من أرضيتها نفق طويل بعمق ١٥ م وعرض ٣م، حيث يمتد لمسافة ٢٫٥ كلم حتى "بئر حيدرة" (وهي بئر ضخمة بقطر ٥م استعملت للشرب في حالات الحرب والحصار)، وتحيط بالنفق الارضي من الجانبين محلات ومخازن قديمة

* هذه المعلومات نتيجة لمشاهداتي العينية في قرية يازور.

Digitized by Birzeit University Library

يقول اهل القرية: ان الصليبيين هم الذين حفروا هذا النفق للدفاع عن القرية من هجمات صلاح الدين الايوبي، بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت، حيث حاصرهم لمدة ١٥ يوما وقد استخدم سكان القرية هذا النفق بعد ذلك ليحميهم مما سموه "الريح الصرصر" التي يقولون انها كانت تهب بين فترة وأخرى.

يحيط بالبلدة القديمة سور ضخم لم يبق منه الا القليل، وقد شكل مانعا هاما أمام هجمات الاعداء. ويذكر مصطفى الدباغ بهذا الصدد ان الصليبيين استولوا على يازور عام ١٠٩٩، حيث أقام فيها فرسان المعبد (TEMPLERS) ما اسموه بقلعة السهول CASAL DES PLAINS (ويقوم جامع القرية الحالي على بقعة من هذه القلعة) وفي عام ١١٠٢، ارسل أمير الجيوش بمصر حملة عسكرية الى فلسطين بقيادة ولده "شرف المعالي"، حيث التقى مع الصليبيين في ١٧ أيار (مايو) في سهل يازور وهزمهم، وأعاد الصليبيون احتلالهم ليازور خلال القرن نفسه، ولكنها عادت الى صلاح الدين عام ١١٨٧م. بعد انتصاره في حطين، ثم اضطر لتدمير قلعتها، بعد معركة أرسوف، حيث أعاد بناءها ريكاردوس (قلب الاسد) عام ١١٩١(٨)، وتمت اعادة ترميم واصلاح القلعة عام ١٢٢٩، على يد الملك فريدريك، وأخيرا على يد لويس التاسع، ملك فرنسا عام ١٢٥٢م (٩)

السكـــان

بلغ عدد سكان يازور عام ١٩٢٢"، ١٢٨٤ فردا، تزايدوا ليصلوا الى ٢٣٣٧، عـام ١٩٣١. منهم ١٢٤١ ذكورا و١٠٩٦ اناثا، ثم الى ٤٠٣٠ حسب احصائية عام ١٩٤٥. وحوالي الخمسة آلاف بتقدير سكان القرية لعام ١٩٤٨. وبذلك تكون ثالثة قرى يافا سكانا بعد سلمه والعباسيـــة.

ومن المهم هنا ملاحظة انه حسب الاحصائية السابقة، فان نسبة الزيادة السكانية الصافية بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ بلغت ٨ر٥٪ سنويا، بينما انخفضت الى ١ر٥٪ بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٥. ويرجع سكان القرية ذلك لظاهرة استقرار عدد كبير من أهل المدن (نابلس بشكل خاص) في يازور مع أوائل العشرينات، بسبب ازدياد أهمية مدينة يافا، اداريا وتجاريا: وكذلك لاستيطان مجموعات النّور (CYBSIES) على اطراف القرية في تلك الفترة.

وبمراجعة سجلات مختار القرية عن الفترة نفسها، والتي تضم سجل مواليد القرية، مـن عام ١٩٢٣ وحتى أوائل عام ١٩٤٨، نجد ان مجموع المواليد السنوي هو كالتالي حسب السنة:

Digitized by Birzeit University Library

مجموع المواليد السنوى لقرية يازور خلال الاعوام ، من ١٩٢٣ – ١٩٤٨

السنة	١٩٢٢ – ١٩٢٥	١٩٢٦	١٩٢٧	١٩٢٨	١٩٢٩ **	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧
العدد	*١٠٧	٧١	*٥٩	٧٢	٨٦	٩٤	١٠٠	٩٨	١٣٠	١٢٣	١٤١		
السنة	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨		
العدد	١٢٤	١٤٧	١٥١	*١٢٢	١٤٧	*١١٨	١٦٥	١٩٧	٢٠١	٢٣٩	*٢٣		

حسب الاحصائيات السابقة ، فان عدد مواليد عام ١٩٣١ ، يقارب الـ ٩٠ مولودا ، في حين كان عدد سكان يازور ، حسب احصائية عام ١٩٣١ في السنة نفسها ٢٣٣٧ نسمة (١٠) . وهذا يجعل نسبة المواليد تعادل ٣٩ مولودا لكل ١٠٠٠ نسمة . أما في عام ١٩٤٥ فقد بلغ عدد المواليد ١٩٧ مولودا ، في حين كان عدد السكان ٤٠٣٠ نسمة (١١) ، وهذا يعني ان هناك ٤٩ مولودا لكل ١٠٠٠ نسمة ، واذا كانت الزيادة السكانية الصافية في لفترة ما بين ١٩٣١-١٩٤٥ تعادل ١٦٩٣ ، حسب احصائيات ١٩٤٥ ، في حين أن مجموع المواليد لهذه الفترة نفسها يعادل ١٩٤٧ مولودا ، أى ما يوازى ٧ر٨٣٪ من عدد السكان لعام ١٩٣١ ، فان هذا يعني ان نسبة المواليد السنوية كانت بمعدل ١٣٠ مولودا سنويا خلال هذه الفترة ، وفي الوقت نفسه ، فان الفرق بين عدد المواليد والزيادة السكانية الصافية للفترة نفسها يكون ناتج حساب نسبة الوفيات والهجرة الداخلية الى يازور – مع محدودية الهجرة الخارجية منها – حسب ما يذكر أهل القريـــــة .

اما بالنسبة لمعدل المواليد الشهرى على امتداد اشهر السنة لاعوام ١٩٢٦ – ١٩٤٧ ، فانه من الملاحظ الارتفاع العام في نسبة المواليد الشهرية في الاشهر الاخيرة والاولى من السنة (آذار – مارس ، نيسان – ابريل ثم تشرين الاول – اكتوبر وتشرين الثاني – نوفمبر) ، واخيرا الانخفاض الملحوظ في أشهر الصيف الرئيسية (أيار – مايو ، حزيران – يونيو ، تموز – يوليو ، آب – أغسطس ، أيلول – سبتمبر) . حسب ما هو موضح في الرسم البياني التالي :

---

* احصائيات غير دقيقة ، اما لعدم دقة المختار في تسجيل المواليد ، أو بسبب التلف الذي اصاب دفتر سجلات المواليد ، أو لعدم اكتمال السنة .

** أوراق السنوات ١٩٣٠ ، ١٩٣١ غير موجودة في السجل بفعل التلف .

Digitized by Birzeit University Library

معدل المواليد حسب أشهر السنة (١٢)

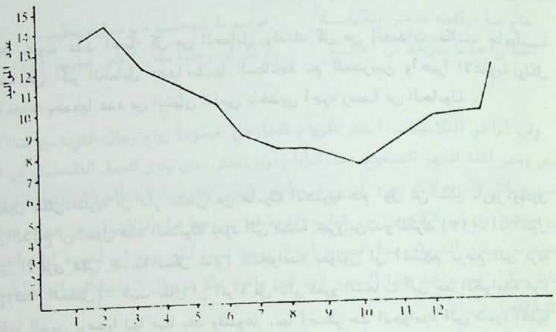

الحياة الاجتماعيـــة

سكان بازور من المسلمين الشافعين ذوى الاصول القيسية ،ويدللون على ذلك بأن عروسهم تلبس ثوبا ابيض بعكس اليمنيين الذين تلبس عروسهم ثوبا احمر .

يتوزع سكان القرية على اربعة حمايل ،لكل منها مختارها .وتتكون السلطة في القرية على اساس وجود مختار اول فثان ،ثم ثالث فرابع . الاول من حامولة الاعمرية وكان متعلما ،الثاني من حامولة الحوامدة ،الثالث من حامولة البطانجة ، اما الاخير فمن حامولة المصريين ،وكانت كل حامولة تقسم الى فندات* . وكل فندة الى مجموعة من العائلات . وقد أجمع عدد مـــن كبار السن من القرية على ان الفندات نوعان: نوع "أصيل" ينتمي للحامولة بالدم ،ونوع "دخيل" تم قبوله في الحامولة على اساس النسب ،أما لزيادة عدد رجالها ونفوذها في مواجهة الحمايل الاخرى ،او نتيجة لعدم قدرة العائلات الصغيرة على صد هجمات البدو عن مناطقها ،مما اضطرها للانضمام لحامولة كبيرة وقوية أخرى ،فمثلا فندتا أبوطة وأبو ناموس هما

* – حامولة الحوامدة وتضم أربع فندات : خليل ، حميد ، ابو طه وابو ناموس .
– حامولة الاعمرية وتضم خمس فندات : جبريل ، خضر ، المعارضة ، يونس وجادالله ،
– حامولة المصريين وتضم سبع فندات: هندى ،دبة ، غبره ، شحادة ، بسيوني ، جعيتم وعبد الواحد .
– حامولة البطانجة وتضم أربع فندات : رمضان ،الاشقر ،عمر ومحمد عبد القادر ، والفندة اوسع من العائلة وأقل من الحامولة .

Digitized by Birzeit University Library

فندقان حديثان على حامولة الحوامدة، ولهذا نجدهم يقبرون موتاهم في غير مقبرة الحوامدة

وقد تفاوت عدد أعضاء كل من الحمايل، وكذلك كل من الفندات، فكانت حامولة الحوامدة هي أكبر الحمايل عددا، تليها البطانجة ثم المصريين وأخيرا الاعمرية، ولكل حامولة مضافة يخدمها عدد من الشبان الذين يأخذون أجرة رسمية من الحامولة.

ويقول سكان القرية ان دار عثمان من حامولة الاعمرية هم أول من سكن يازور، ويقول مصطفى الدباغ ان اصول هذه الحامولة يعود الى قبيلة عمرو من بدو الكرك (١٣)، أما أصول الحمايل الاخرى فهي حديثة بشكل عام، فالحوامدة يقولون ان أصلهم يرجع الى قرية السموع (قضاء الخليل). حيث يقال ان امرأة من دار عمرو التجأت الى جد الحوامدة هربا من اهلها الذين ترصدوا لها فيما بعد وقتلوها، مما أضطر جد الحوامدة الى دعوة أهلها الى مأدبة غذاء: حيث قتل ٩٩ منهم، وانهى على المئة بكلب، وقد اثارت هذه القضية اهل الخليل على الحامولة، فهربت الى الطفيلة والكرك، الا اثنين من كبارها، هم حميّد وخليل الحاج حيث التجآ الى يازور.

اما حامولة المصريين، فقد تشكلت مع أوائل القرن التاسع عشر من عدد كبير من افراد جيش ابراهيم باشا، أثناء حملته على بلاد الشام، عندما تمركزوا واستقروا في يازور (كما فعلوا في معظم قرى الساحل الفلسطيني) بعد انسحاب ابراهيم باشا الى مصر عام ١٨٤٠، ثم تزوجوا من أهلها وكونوا ما يسمى بحامولة المصريين، واستفادوا في هذا من القانون المصري الذي سمح لهم بتملك الارض في القرية. ويمكن الاستدلال على أصل هذه الحامولة من خلال استعراض اسماء فندات الحامولة (بسيوني، جعيتم، عبد الواحد، الخ..) وهي أسماء قلما استعملت في فلسطين، بينما كانت واسعة الانتشار في مصر.

وأخيرا حامولة البطانجة الذين يقال أنهم "تميميون" من الخليل، بينما يردد البعض أنهم من طنجة على سواحل المغرب، وليس هناك من تأكيد على أحد هذين التفسيرين لاصل هذه الحامولة.

والعائلة الممتدة هي الوحدة الانتاجية الرئيسية في القرية. فكان سكن الاب وأبناؤه المتزوجون وغيرهم في "حوش" واحد، ومن الواضح ان السكن داخل القرية كان مقسما على اساس الحمايل الى مناطق لكل منها، الا ان هذا التقسيم تعرّض للاندثار مع تحويل الاراضي

Digitized by Birzeit University Library

من ملكية مشاعية للقرية الى ملكية فردية للعائلة ،وبدأت المساكن بالاختلاط .

الزواج داخلي في كل حامولة ،يتم بالاتفاق بين الاهل ،ويفضل زواج ابنة العم ،ويقول اهل القرية في هذا السياق خلال أغانيهم :ـ

نفاح ما نوكله مشمش بفدينا ... عريب ما بنوخده برحل ويخلينا
احنا اخدنا بنوخذ من اهالينا ... لاجل ان رحلنا بظل الظعن مبارينا (١٤).

وفي أواخر الثلاثينات ،انتشر الزواج الخارجي ،خصوصا زواج رجال القرية من نساء من قبرص ومصر لقلة المهر المدفوع عند الزواج ،ومن بعض مدن وقرى الجبل الفلسطيني في ظل تحسن وسائل المواصلات بين يازور وغيرها من القرى والمدن . أما ظاهرة الزواج المبكر فلم تكن منتشرة ،بل ان الكثيرين من شباب القرية لم يتزوجوا قبل الثلاثينات من عمرهم ،وقال العديد من سكان القرية ،بهذا الصدد ،انه لا يوجد سبب لكي يزوج اب لخمسة اولاد احد أبنائه مبكرا مع تواجد هذا السبب لاب ابن واحد مثلا في ظل الحاجة الى أيد عاملة عائلية للعمل في الارض .

وقد كان يتم عقد القران عن طريق المأذون الشرعي المعين من قبل الحكومة والموجود في يافا ،أما حل الخلافات فكان يتم عبر تقديم شكوى في مركز شرطة بيت دجن (أقرب القرى الى يازور) وفي محاكم يافا .

يتبع

الهوامش :ـ

١) روز ماري صايغ ، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة (ترجمة خالد عايد) . بيروت : مؤسسة الابحاث العربية الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ .
٢) مصطفى مراد الدباغ ،بلادنا فلسطين ، الخليل وبيروت ،رباطة الجامعيين ودار الطليعة الجزء الاول . القسم الاول ص ٢٧٩ .
٣) المصدر نفسه
٤) المصدر نفسه .
٥) المصدر نفسه . ص ٢٨ .
٦) Michal Avi-Yorah. *Encyclopedia of Archeological Excavations in the Holy Land* Jerusalem: Vol. 1. Jerusalem: 1975. pp., 172-176.
٧) الدباغ ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٥
٨) الدباغ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٣ .
٩) المصدر نفسه .
١٠) المصدر نفسه .
١١) المصدر نفسه . ص ١١٩ .
١٢) المصدر : دفتر مواليد القرية بتسجيل خطي من المختار لمواليد القرية حسب الشهر والسنة .
١٣) الدباغ ، مصدر سبق ذكره . ص ٢٧٩ .
١٤) زكية حليلة . (٦٧ سنة) .

Digitized by Birzeit University Library

المسألة النسوية
طموحات وأبعاد

اعداد : خولة سالم

جماهير شعبنا الفلسطيني التي تكافح من أجل حقوقها الوطنية في التحرر والاستقلال أدركت من خلال تجاربها النضالية الطويلة الطريق الصحيح الذى عليها أن تسلكه،وحددت معسكري الاعداء والاصدقاء،واضطلعت بالدور التاريخي الذى تقوم به لدفع عجلة التاريخ الى الامام من أجل دحر الامبريالية واعوانها ، وبناء المستقبل المشرق للشعوب المضطهدة وتحقيق الاهداف المنشودة في السلام والتقدم الاجتماعي .

ومن هذا المنطلق ،ومن أجل الظفر بنفس الاهداف ،نظمت جماهيرنا النسائية نفسها وبكافة فئاتها في اطرها الجماهيرية وفي طليعتها اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية في الضفة والقطاع والذى يعبر عن مصالح جماهيرنا النسائية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا من أجل توحيد وتفعيل الطاقات لخدمة هذه الاهداف .

ونساءنا اللواتي لم يبخلن ابدا في العطاء،ولعبن دورا متزايدا في نضال شعبنا وشاركن ولا زلن بكل طاقاتهن في المسيرة الثورية والنضالية لهذا الشعب من أجل حقه في التحرر وتقرير المصير أصبح يتعمق لديهن الوعي بأنه لا طريق لحل المسألة النسوية للنساء الفلسطينيات الا في زوال الاحتلال اولا،وفي خوض معركة ، ر ب الطبقةالعاملةالفلسطينية من أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي ومن أجل انتصار الثورة الاشتراكية .

وفي هذا الصدد فان الجماهير النسائية الفلسطينية تنظر باعتزاز واهمية فائقتين الى تجربة حل المسألة النسوية فيالاتحاد السوفييتي ،مهد ثورة اكتوبر العظيمة التي أدت الى تحول جذرى وانعطاف حاد في تاريخ البشرية ...

Digitized by Birzeit University Library

اذا لنرى كيف حلت المسألة النسوية في الاتحاد السوفييتي ..

١ ــ مضمون المسألة النسوية

المقصود بمضمون المسألة النسوية هو المكانة التي يتعين على المرأة ان تشغلها في كياننا الاجتماعي ،اوالكيفية التي تستطيع بها أن تطور قواها وقابلياتها من جميع الوجوه كي تغدو عضوا كاملا فعالا متساوى الحقوق في المجتمع البشرى . كما قال احد تلاميذ ماركس.

بالتالي فان تذليل التخلف الاجتماعي للمرأة هو قضية رئيسية في المسألة النسوية ،لكن الحركة النسوية البرجوازية والعمالية تعالجان مسألة المساواة بطريقتين مختلفتين فالمساواة الحقوقية في ظل المجتمع الرأسمالي التي تناضل من أجلهاالحركة النسوية البرجوازية هي مساواة شكلية ،حيث يمتلك بعض الناس وسائل الانتاج والبعض الاخر لا يمتلكها ويستغل بعضهم بعضا ، وتختلف الظروف الموضوعية للتطور وامكانيات المساهمة في الحياة الاجتماعية لدى مختلف الطبقات،لا يمكن ان يؤدى الاعلان عن الحقوق النسوية الى مساواة فعلية . فالمرأة تمتلك وقتا اقل بكثير من أجل المساهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية وتطوير شخصيتها ،وذلك لانها مقيدة بالاطفال والشؤون المنزلية. اضافة الى ذلك فان نشاط المرأة الاجتماعي يواجه شجبا في العديد من الدول الرأسمالية ،حيث يزعمون بأن المرأة يجب أن تكرس حياتها لرعاية الاطفال والزوج فقط .

ان الشيوعية العلمية تتناول المساواة في الحقوق بشكل مغاير تماما ، فالمساواة بين المرأة والرجل في مفهوم الشيوعيين ليست مساواة بين قابلياتهما وحاجاتهما وواجباتهما. بل مساواتهما في الحياة الاجتماعية ،وفي العلاقات المتبادلة في الاسرة وفي فرص تطوير الشخصية فقد كتب لينين : " ..عندما يتحدث الاشتراكيون عن المساواة فانهم يقصدون بها دوما المساواة الاجتماعية ،المساواة في المكانة الاجتماعية ،وليس بأى حال المساواة في القابليات البدنيةوالروحية لافراد معينين ".

وبالتالي فان مضمون المسألة النسوية ذو طابع طبقي .ففي ظل الرأسمالية توجد طبقتان اساسيتان هما العمال والرأسماليون ،بالاضافة اليهما توجد فئات البرجوازية الصغيرة الوسيطة ــ البرجوازية الصغيرة من سكان المدن وبعض فئات المثقفين والخ.. ولدى نساء كل طبقة أو فئة اجتماعية مصالحهن الخاصة ،وهن يطرحن مطالبهن الخاصة بهن ،وطبقا لذلك توجد في المجتمع الرأسمالي ثلاثة انواع من المسألة النسوية:البرجوازية والبرجوازية الصغيرة والبروليتارية .

ان اشراك النساء في النضال الطبقي يعزز وحدة الطبقة العاملة ويزيد من قوتها وامكانياتها في النضال من أجل مصالحها. ولذلك فان القضية الرئيسية للمسألة النسوية هي

Digitized by Birzeit University Library

قضية الحركة العمالية عموما. وبنتيجة النضال الطبقي الدؤوب الواعي والمنظم جيدا للشغيلة بقيادة الطبقة العاملة ضد البرجوازية الاحتكارية ..

ان التحرر التام للنساء يرتبط بازاحة الرأسمال الاحتكارى عن السلطة وقضية الملكية الخاصة .ولا يمكن حل هذه المهمة الا بالثورة الاشتراكية .

٢ ـ خصائص الوضع التاريخي الذى حلت فيه المسألة النسوية في الاتحاد السوفييتي ومبادى عمل الحزب الشيوعي بين النساء

في تلك الفترة التي حلت فيها المسألة النسوية في الاتحاد السوفييتي كان البلد الوحيد الذى تبنى فيه الاشتراكية. وكان مطوقا من قبل الدول الرأسمالية. وكان مهددا بالحرب من قبل اكبر الدول الرأسمالية.وبعد الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية والتدخل الامبريالي اللذين اعقبا انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا،كان اقتصاد البلاد في حالة دمار تام . وبفضل مزايا الاشتراكية والجهود البطولية للشعب، تم في الاتحاد السوفييتي بلوغ وتائر عالية لم يسبقها مثيل لتطور الانتاج الصناعي ،وتطلبت الوتائر السريعة لتطور الاقتصاد زيادة الايدى العاملة ،وكان ذلك ملائما لاشراك النساء في الانتاج الاجتماعي.لكن المبالغ الطائلة التي صرفت على التصنيع لم تهيء امكانية اعتماد المبالغ اللازمة لتطوير مؤسسات الخدمات الاجتماعية وبناء دور الحضانة ورياض الاطفال والمؤسسات الثقافية.. اضافة الى ذلك فقد كانت نسبة الاميات مرتفعة جدا في اواخر العشرينات مما صعب من اشراك الاميات في الانتاج الاجتماعي، وبالتالي فقد كان لهذين العاملين تأثير كبير في التقليل من وتائر حل المسألة النسوية. لكن الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي نظم وقاد العمل بين النساء الكادحات وطرح في مكان الصدارة امامهن مهمات النضال الثورى والانتقال الى الاشتراكية .

وكان من اللازم جعل هذه القضية الثورية البروليتارية المشتركة تقترن بالنضال في سبيل المصالح الخاصةبالنساء ،الامر الذى ساعد المرأةعلى الانخراط في الحياة الاجتماعية والنضال السياسي. وفي كل مرحلة من مراحل بناء الاشتراكية كان ينبغي تحديد الحلقة الاهم في سلسلة المهمات المطلوبة.ففي مرحلة الحرب الاهلية والتدخل الامبريالي كان أهم شيء هو اشراك المرأة في النضال دفاعا عن الوطن : الاشراف على الجيش الاحمر المدافع عن مكتسبات الثورة ،وحلول النساء محل الرجال الذين تركوا الكثير من المؤسسات الصناعية والتحقوا بالجبهة .

وكان العمل بين النساء في تلك الفترة يتطلب جهازا خاصا. وتكون هذا الجهاز في العشرينات من الاقسام النسوية (أى اقسام العمل بين النساء) لدى اللجان الحزبية ومن

Digitized by Birzeit University Library

مسؤولي النساء لدى خلايا القاعدة الحزبية. بيد أن العمل بين النساء لم يكن مقتصرا على الجهاز الذى تشكل خصيصا لهذا الغرض. فهو مهمة للجان الحزبية والمنظمات الحزبية عموما.

وتزعم الحزب العمل بين النساء في مجمل النظام السياسي للمجتمع، واشرك فيه سوفييتيات نواب العمال والفلاحين وجهاز الدولة والنقابات والتعاونيات والكومسمول وسائر منظمات الشغيلة الجماهيرية. ورسم الحزب مهماتها ونسق نشاطها ووجه العمل كله بحيث يساعد على حل المهمات الرئيسية للبناء الاشتراكـــي .

وأبدى الحزب الشيوعي اهتماما رئيسيا بالعاملات في المؤسسات الصناعية الكبيرة لانهن ضمن فصيلة من الطبقة العاملة تعتبر هي الاقوى والاكثر وعيا وتنظيما، فقد اجتذبت تلك الفصيلة عمال جميع المؤسسات الاخرى وأمنت تنفيذ أكبر مهمات الثورة والبناء الاشتراكي. وسعى الشيوعيون كذلك الى تنظيم عاملات المؤسسات الصغيرة الحكومية والخاصة ، وكذلك العاطلات عن العمل وربات البيوت .

ولفت الحزب الشيوعي دوما الانظار الى ضرورة الالتزام بموقف طبقي متمايز ازاء النساء في المدن والاريـــاف .

كانت الوسيلة الرئيسية لتذليل التخلف الاجتماعي للنساء هي اشراكهن في العمل التطبيقي : الانتاج الاجتماعي والحياة الاجتماعية السياسية، وعمل السوفييتيات وممارسة الحملات الجماهيرية . وكان العمل التطبيقي بالنسبة للنساء أسهل وسيلة مقنعة لمعرفة جوهر سياسة الحزب الشيوعي والدولة السوفييتية. وأثناء أداء التكليفات من هذه المنظمة او تلك اكتسبت العاملات والفلاحات خبرة النشاط الاجتماعي واقتنعن بأن الحزب والدولة مطلعان جيدا على حاجاتهن ويعبران عنها ويحققانها بشكل صائب. والى جانب ذلك مورس بين النساء عمل في التوعية السياسية حيث كانت تلقى المحاضرات عليهن ويجرى اشراكهن في مختلف الدورات في المؤسسات الانتاجية وفي عمل النوادى، وتنظم لهن تلاوة الجرائد والمجلات والكتب والخ .

وطالب الحزب الشيوعي جميع المسؤولين بأن ينصتوا دوما الى طلبات ونصائح العاملات والفلاحات وعدم استخدام أساليب الاوامر والنزعة الادارية . وكان على المكلفين بالعمل بين النساء أن يعملوا بالاقناع والتربية والتوضيح الصبور لسياسة الدولة الاشتراكية واجراءاتها الملموسة ، ولذلك كان العمل في توضيح دور وأهمية نشاط النساء في المجتمع الجديد قد جرى بين الرجـال أيضـا .

٣ ــ تأسيس الجهاز الخاص للعمل بين النساء

في تشرين ثاني ١٩١٨ عقد الحزب الشيوعي المؤتمر الاول لعاملات عموم روسيا من أجل التشاور مع النساء الكادحات فيما يخص سبل وأشكال وطرائق حل المسألة النسوية،

Digitized by Birzeit University Library

واستحسن المؤتمر فكرة تشكيل لجنة خاصة لدى الحزب تمارس الدعاية والتحويك بين النساء .وفي كانون أول ١٩١٨ تأسست هذه اللجنة لدى اللجان الحزبية المحلية أيضا . وبذلك بدأ عمل الحزب التنظيمي في انشاء جهاز خاص للاشراف على العمل بين النساء .

وفي خريف ١٩١٩ استبدلت لجنة الدعاية والتحريك بين النساء بأقسام العمل بين النساء (الاقسام النسوية)لدى اللجنة المركزية للحزب ولدى المكاتب الاقليمية للجنة المركزية للحزب ولدى اللجان الحزبية في المحافظات والمدن . كان القسم النسوى في العشرينات واحدا من الاقسام الاربعة الموجودة لدى اللجان الحربية في المحافظات والاقضية (الاقسام الثلاثة الاخرى هي : العام والتنظيمي والدعائي) ويبين ذلك مدى الاهمية التي كان الحزب يعلقها على العمل بين النساء .

كانت المهمات الاساسية للاقسام النسوية هي التاليـــة :ـ

١ ـ جعل الجماهير الواسعة من النساء الكادحات تلتف حول الحزب وترشيح أفضل العاملات والفلاحات للانتساب الى الحزب وترشيح انشط الشيوعيات للعمل في الهيئات الحزبية القياديـــة .

٢ ـ تطوير النشاط السياسي للنساء وانتخابهن للهيئات التمثيلية لسلطة الدولة .

٣ ـ اشراك النساء في الانتاج الاجتماعي وزيادة نشاطهن الانتاجي .

٤ ـ قيادة العمل الذى تمارسه بين النساء السوفييتيات والنقابات والتعاونيات وغيرها من المنظمات الاجتماعيـــة .

٥ ـ وضع الاشكال والطرائق التنظيمية لحل المسألة النسويـــة .

٦ ـ اصدار المطبوعات في مسائل نظرية وممارسات الحركة النسويـــة .

ولم تمارس الاقسام النسوية عملا ملحوظا بين الشيوعيات .فقد تأسست تلك الاقسام ليس للعمل مع النساء داخل الحزب ،بل للعمل مع جماهير اللاحزبيات بصورة مباشرة أو عن طريق قيادة العمل الذى تمارسه بينهن السوفييتيات والمنظمات الاجتماعية .

تنظيم التوعية السياسية للمرأة :

كان العمل التربوى السياسي بين النساء من اهم الوسائل لتذليل تخلفهن الاجتماعي . وقد حقق الحزب الشيوعي .ذلك عن طريق الشعب النسوية وجمعيات المندوبات والصحافة والحلقات السياسية للنوادى العمالية وقاعات المطالعة والنوادى النسوية في جمهوريات الشرق السوفييتي ، وكذلك عن طريق اجتذاب العاملات والفلاحات الى شبكة التعليم الحزبي : مدارس العاملين في السوفييتات والحزب ودورات النشطاء الحزبيين ومدارس التوعية السياسية والحلقات .

Digitized by Birzeit University Library

ولفت الحزب الانظار الى ضرورة ربط دراسة المادة النظرية في حلقات التوعية السياسية بمهمات الحزب وبمساهمة العاملات والفلاحات في العمل التطبيقي .

كان تنظيم الحلقات الاولية للتوعية السياسية للعاملات في المؤسسات الانتاجية واحدة من المهمات الرئيسية للحزب في العمل السياسي التربوي. وكانت تلك الحلقات بعد جمعيات المندوبات هي الشكل الاساسي للعمل التربوي الجماهيري بين العاملات .

اضافة الى ذلك ،ان النساء كن يشكلن حوالي ثلث الدارسين في الحلقات المختلفة للتوعية السياسية في النوادي العمالية ،وكن يدرسن في الحلقات السياسية لدى قاعات المطالعة في الريف والمدارس السياسية لدى النوادي النسوية في المناطق الشرقية .

ونظم الحزب التوعية السياسية للنساء ليس فقط في الحلقات المختصة ،بل في جميع الحلقات والدورات والمدارس الاخرى. في دورات العاملين في الضمان الاجتماعي وتربية الاطفال لما قبل السن الدراسية والممرضات والموظفات والصحيات ومدارس القراءة والكتابة ومدارس المعامل والمصانع ودورات زيادة التأهيل وغيرها. واستخدم الحزب اقبال النساء الشديد على حلقات التفصيل والخياطة بالذات من اجل استخدامها لاغراض التوعية السياسية وقبلت فيها اناسا ليس من بين جميع الراغبين ،بل من العاملات وزوجات العمال والاجيرات والفلاحيات الكادحات .

وفي المدن ،كان العمل الدعائي يجرى فقط في نوادي العمال ،بل وفي المؤسسات الانتاجية ودور السكن العامة التي كان يعيش فيها العمال وفي المكتبات. وكان منظمو النساء يجرون نقاشات سياسية مع العاملات امسيات الاسئلة والاجوبة ،وينظمون المعارض ويستفيدون من الحفلات والتمثيليات للاغراض السياسية .

وفي الارياف انتشرت "امسيات الحائكات" ،حيث تجتمع الفلاحات في احد المنازل في المساء ويحضرن معهن الغزل ومستلزمات الحياكة والخياطة. كن يعملن في حين ان شخصا اخر كان يقرأ كتابا او مجلة بصوت عال. وفي بعض الاحيان تجرى بتكليف من الاقسام النسوية نقاشات في المواضيع السياسية الملحـــة .

كان تنظيم التوعية السياسية والدعاية بين النساء قد رفع مستواهن الفكري والنظري وجعل العاملات والفلاحات يلتففن حول الحزب والسلطة السوفييتية .

تزايد دور المرأة في المنظمات الحزبية والاجتماعية :

لقد اهتم الحزب الشيوعي على الدوام باجتذاب النساء الى صفوفه ،وكانت هذه المهمة من المهمات الرئيسية في العمل بين النساء ،ولهذا الغرض مارست المنظمات الحزبية

Digitized by Birzeit University Library

بمساعدة الاقسام النسوية عملا خاصا، فقد طرحت مسألة انتساب النساء الى الحزب في جلسات جمعيات المندوبات والاجتماعات النسوية في المؤسسات الانتاجية وكان المنظمون يترددون في الغالب على المعامل التي يوجد فيها عدد كبير من العاملات .

وغدت جمعيات المندوبات احتياطيا رئيسيا لرفد الحزب. ففي عام ١٩٢٩ – ١٩٣٠، كانت ٣٤٪ من النساء المنتسبات الى الحزب قد عملن في الماضي في جمعيات المندوبات.

وكان تعداد ونسبة النساء في الحزب يزداد باستمرار ،ومع ذلك كانت نسبة النساء بين اعضاء الحزب في عام ١٩٣٧ ١٥٪، والسبب الرئيسي في ذلك هو انشغال النساء في العائلة بالشؤون المنزلية ورعاية الاطفال، ومن الاسباب كذلك التخلف الاجتماعي العام. وأخيرا فان العديد من النساء لم يصممن على الانتساب الى الحزب خشية الفشل في اداء الواجبات الحزبية التي تتطلب وقتا كثيرا .وكانت احيانا معقدة جدا من حيث المضمون .وجرى تذليل هذه الصعوبات باستمرار ،وأسفر العمل السياسي التربوي الكبير بين النساء والعمل الخاص باجتذاب النساء الى الحزب عن نتائج ايجابية .

لم تكن توجد في الحزب خلايا نسوية . فالشيوعيون والشيوعيات يتمتعون بحقوق وواجبات متساوية بصرف النظر عن الجنس، وهم يعملون في منظمات حزبية واحدة. ولقد كانت السمة المميزة لهن في اداء الواجبات الحزبية هي النزاهة والمثابرة .

وسعت قيادة النقابات الى اشراك النساء في هيئة تابعة للجان النقابية المحلية في المعامل والمصانع وفي الهيئات الادارية للنقابات ،ومارست العاملات المندوبات التطبيقات في هيئات نقابية كاللجان النقابية المحلية في المعامل والمصانع والمجالس النقابية في المدن والمحافظـــات .

كان عدد النساء بين اعضاء اللجان النقابية في المعامل والمصانع يزداد باطراد. ففي عام ١٩٢٥ بلغت نسبتهن ١٦ ٪ وفي عام ١٩٣٥ ٢٦٪ .

ومارست المنظمات الكومسومولية عملا واسعا مع الفتيات اللاحزبيات .فالكومسومول بوصفه منظمة شبابية جماهيرية مهمتها الرئيسية هي التربية الشيوعية للجيل الناشئ قد نظم للفتيات القاء التقارير والمحاضرات، وذلك بالدرجة الاولى من اجل رفع مستواهن السياسي والثقافي والتعليم العام .

وقد نجحت حلقات الاعمال اليدوية والتفصيل والخياطة المشهورة بين الفتيات باعتبارها طريقة لاجتذابهن الى الكومسومول، واستخدام مسؤول الكومسومول هذه الحلقات لاجراء النقاشات مع الفتيات عن مختلف المواضيع المتعلقة بحياة وعمل العاملات الشابات وفيما بعد جرى في الحلقات تنظيم قراءة الصحف واجراء النقاشات بشأن المواضيع السياسية.

وقد ازداد دور المرأة باطراد بعد ثورة اكتوبر في الحزب والنقابات والكومسومول على حد سواء. ولكن تلك العملية لم تكن عفوية فلم تتطور بشكل مرض الا عندما حظيت باهتمام

Digitized by Birzeit University Library

خاص وعندما طبق عمل هادف في هذا الاتجاه .

تنظيم الاحتفال بعيد ٨ آذار :

كان الاحتفال بعيد المرأة العالمي في ٨ آذار واحدة من الحملات السياسية والجماهيرية التي استخدمت على نطاق واسع في العمل بين النساء .

كان عيد المرأة قد اقر باقتراح من كلارا زيتكين عام ١٩١٠ في المؤتمر الاشتراكي العالمي للعاملات . وتم ذلك بغية تعزيز النضال بالدرجة الاولى من اجل الحقوق الانتخابية للمرأة . كانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا قد رفعت الحركة العمالية العالمية الى درجة ارقى ، ودشنت عصرا جديدا هو عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وانعكس ذلك على مضمون الاحتفال بعيد ٨ آذار ، قد غدا بالنسبة للاحزاب الشيوعية يوما لتعبئة النساء للنضال في سبيل الاشتراكية ، أما الاحتفال بعيد المرأة العالمي في يوم واحد للجميع هو ٨ آذار فقد تقرر من قبل المؤتمر العالمي للشيوعيات في ١٩٢١ بناء على اقتراح الوفد البلغاري .

وعندما جرى في كافة ارجاء الاتحاد السوفييتي تحقيق التحولات الاشتراكية استخدمت احتفالات ٨ آذار من اجل زيادة نشاط النساء في البناء الاشتراكي وكان ذلك عيدا ثوريا . وفي كل عام كان الحزب يطرح يوم ٨ آذار شعارات معينة تبين للكادحات ما ينبغي فعله بالدرجة الاولى في تلك اللحظة لاجل انتصارات الاشتراكية . وعندما كانت رحى الحرب الاهلية تدور جرى الاحتفال بعيد ٨ آذار تحت شعار "كل شي لاجل الجيش الاحمر" ، وكل شي لاجل الجبهة" . وبعد انتهاء الحرب طرح القسم النسوي لدى اللجنة المركزية للحزب في ٨ آذار ١٩٢١ شعارات تدعو النساء الى مكافحة الخراب ومكافحة جهل النساء والى اجتذابهن لبناء الاشتراكية ، وفيما بعد طرح الحزب شعارات تبين الاتجاه الرئيسي في العمل بين النساء .

وكانت الاقسام النسوية هي التي تنظم الاحتفالات بعيد ٨ آذار ، فقد كانت تعقد اجتماعات توجيهية مع منظمي النساء بشأن الاحتفالات ، وتصور موضوعات للتقارير في الاجتماعات الاحتفالية . وكانت الاقسام النسوية تدعو للمساهمة في هذه الحملة السوفييتيات والنقابات والتعاونيات التي تشكل لهذا الغرض لجانا خاصة لدى الهيئات المركزية وفي فروع المحافظات والمدن .

كان التحضير للاحتفال بعيد ٨ آذار يبدأ قبل ذلك اليوم بفترة طويلة ، وكانت تعقد اجتماعات حزبية وكومسومولية مفتوحة للجميع تناقش فيها قضايا العمل بين النساء . وكانت اللجان المختصة بالاحتفال بالعيد تعقد هي الاخرى اجتماعات للعاملات وتشكل فرقا نسوية للتأكد من تنفيذ قرارات الحزب والحكومة بشأن العمل السياسي الجماهيري بين النساء وبشأن اجتذابهن الى الانتاج الاجتماعي وتحسين الاوضاع المعيشية للمرأة .

Digitized by Birzeit University Library

أما في الارياف فقد كانت الاحتفالات ترتبط بالتحضير لحملات البذار الربيعي. فالفرق النسوية التي تتشكل خصيصا لهذا الغرض تتثبت من استعداد الكولخوزات والسوفخوزات للبذار وتساعد زوجات افراد الجيش الاحمر على التحضير للاعمال الزراعية الربيعية .وفي النوادي والمنتديات الحمر وقاعات المطالعة الريفية تفتتح المعارض التي تبين المنجزات في حل المسألة النسوية وكذلك معارض مصنوعات الحلقات النسوية ومعارض الكتب عن النساء.

وخلال هذه الحملة يجرى بنشاط على الخصوص نقل النساء الى اعمال اكثر تأهيلا وترشيحهن للمناصب القيادية.وبمناسبة عيد ٨آذار تفتتح مؤسسات جديدة للحياة المعيشية العامة تسهل اوضاع المرأة : مؤسسات الاطفال والمطاعم ومحلات الغسيل والخياطة والتصليح الخ .

وظهر تقليد تتوجه اللجنة المركزية للحزب بموجبه في ٨آذار برسالة الى النساء الكادحات تستعرض حصيلة العمل في حل المسألة النسوية وترسم المهمات اللاحقة.وكانت جميع المجلات والجرائد والصحف الحائطية تكرس لمسائل مشاركة النساء في البناء الاشتراكي. ويشارك سكان المدن والقرى في المظاهرات الاحتفالية .

وكانت حملات التحضير لاحتفالات ٨آذار مؤشرات ملحوظة على طريق زيادة دور المرأة في الانتاج واشراكها في الحياة الاجتماعية السياسية والى جانب ذلك أبدى اهتمام بأن يقسم ترشيح النساء والعمل السياسي التربوى معهن وانشاء مؤسسات الحياة المعيشية العامة وغيرها من الاجراءات ليس بطابع الحملات.بل بطابع التخطيط والانتظام والثبات. أما ٨آذار فهو اليوم الذى يتعين فيه استعراض حصيلة العمل خلال العام المنصرم ورسم المهمات الجديـــــدة .

التغير الجذرى للعلاقات بين الجنسين
ومكانـة المرأة في الاســـرة :ـ

١ ـ القوانين الاشتراكية الخاصة بحرية الزواج :

كان من بين المراسيم الاولى للسلطة السوفييتية مرسوما "الزواج المدني" و "حل عقد الزواج" اللذان اقرا في كانون الاول ١٩١٧.ونص هذان المرسومان على الزواج المدني بدلا من الكنائس،اى انهما اعتبرا الزواج شرعيا اذ كان مسجلا في دوائر الدولة (لتسجيل الاحوال الشخصية) .واصبح الزواج الكنائسي قضية شخصية لا تراعيها القوانين ولا تترتب عليها اية حقوق للزوجين (أما عقود الزواج الكنائسي التي جرت قبل الثورة فقد ظلت شرعية) وأعلن عن طوعية الزواج.ولم توضع اية تقييدات امام الزواج وجرى تبسيط الطلاق الى

Digitized by Birzeit University Library

تكن توجد اية شروط للطلاق ولم يتطلب الامر اية توضيحات ،فكانت تجرى صياغته الرسمية دون عائق في دوائر تسجيل الزواج (بموافقة كلا الزوجين) وفي المحاكم (بناء على طلب احدهما) .

وفي ايلول ١٩١٨ صدرت اول مجموعة لقوانين جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية بشأن الاحوال الشخصية والزواج وحقوق العائلة والوصايا ،وهي المجموعة التي أكدت على جميع الاحكام الاساسية لمرسومي عام ١٩١٧. ولم تعترف هذه المجموعة كذلك بالزواج القائم فعلا ولكن غير المسجل وثائقيا ، وكان هذا النظام يقيد بقدر معين العلاقات الطائشة التي لا تستند الى النية في تكوين اسرة.وكان هذا النظام يستجيب لطموح الجماهير الواسعة في العيش بموجب القانون ، والامر الاهم انه ضمن للنساء مساهمة الاب في الانفاق على الاطفال (اذا لم يكن الزواج مسجلا فان الاباء يجب ان يساعدوا الاطفال طوال الوقت ،ولكنه يتعين اثبات الابوة بالمحكمة) .

ومنحت مجموعة القوانين الزوجين المساواة التامة في الحقوق لدى حل جميع المسائل. وكان ذلك قد تقرر قانونيا لاول مرة في العالم . .

وفي عام ١٩٢٦ أقرت بعد مناقشة شعبية شاملة وطويلة المجموعة الجديدة لقوانين الزواج والعائلة. وكان التغيير الرئيسي يتلخص في ان هذه المجموعة اعترفت بالزواج الفعلي فقد نصت على ان الزواج المسجل وغير المسجل متساويان ويخولان الزوجين حقوقا متساوية. وقد تحقق ذلك لصالح المرأة. ففي العشرينات كانت هناك زيجات كثيرة غير مسجلة بناء على طلب الرجال الذين حاولوا التنصل عن واجباتهم ازاء الزوجات والاطفال .

وغيرت مجموعة قوانين ١٩٢٦ سن زواج المرأة ; في السابق كان ١٦ عاما ، فزيد الى ١٨ عاما (من الرجال كان ١٨ عاما على الدوام) . وجرى تبسيط الطلاق بقدر أكبر.

بيد انه ارتؤى فيما بعد ان من المجدى تعقيد عملية الطلاق بعض الشيء للاغراض التربوية : فعلى الزوجين ان يدركا بأن الطلاق كارثة كبيرة بالنسبة لاطفالهما في المقام الاول وعليهما ان يفكرا مليا في هذه الخطوة كيلا يقترفا خطأ .

وهكذا اقرت القوانين السوفييتية بحرية الزواج التامة والمساواة التامة بين المرأة والرجل لدى الزواج والطلاق

٢ – نشوء الاراء الجديدة بصدد العلاقات بين الجنسين :

ان الثورة الاشتراكية تنتصر في بادئ الامر في السياسة،حيث تقوم دكتاتورية البروليتاريا ،ثم في الاقتصاد ،حيث تحل الملكية العامة محل الملكية الخاصة،وفيما بعد في الوعي الاجتماعي حيث تحل الايديولوجية الاشتراكية محل الايديولوجية البرجوازية،ولا

Digitized by Birzeit University Library

يمكن للثورة في الوعي الاجتماعي ان تتحقق بنفس السرعة التي تتحقق بها في السياسة والاقتصاد فهذا الامر يتطلب عملا تربويا طويل الامد .

وفي السنوات الاولى لقيام السلطة السوفييتية لم يكن وعي اغلبية الناس اشتراكيا. وان بعض اقسام الاخلاق لم تكن قد عولجت بصورة نظرية بالقدر الكافي ،الامر الذى ترك اثرا سلبيا على نشوء الاراء الجديدة بشأن العلاقات بين الجنسين وبشأن النضال ضد النظريات الخاطئة في هذه المسألة .

فالكثيرون كانوا يعتقدون بأن من الضرورى ،في الحقبة الثورية العسيرة ،التخلي عن الحياة الشخصية وعن الحب ،كيلا ينشغل الثوريون عن النضال ضد البرجوازية وعن بناء الاشتراكية الا ان هذه الاراء لم تكن ماركسية. فالثورة الاشتراكية كارثة على البرجوازية ،وهي عيد للشغيلة تزدهر في شخصياتهم وتنطلق قابلياتهم وقواهم في جميع ميادين الحياة. كتبت كلارا زيتكين في مذكراتها ان لينين قال في حديث معها عام ١٩٢٠ "ان الشيوعية يجب ان لا تحمل التقشف ،بل فرحة الحياة والنشاط الناجمين كذلك عن الحياة المكتملة في الحـــب ".

وانتشرت على نطاق واسع في السنوات الاولى من التحولات الاشتراكية اراء خاطئة اخرى هى على طرفي نقيض من تلك. فقد روج دعاتها الى عدم الحاجة الى اية تقييدات في الحياة الجنسية تحت راية "الحرية التامة" .ولما كانت الماركسية تنادى بالحرية ايضا فان هؤلاء نسبوا اراءهم الى الماركسية. انها تطابق بقدر اكبر مصالح البرجوازية الرامية الى الهاء الطبقة العاملة عن النضال الاجتماعي. اما الشيوعية فتعارض الاستهتار كما تعارض التقشف. وذكرت زيتكين كلمات لينين بهذا الخصوص :ان الثورة تطالب الجماهير والفرد بتركيز القوى وتشديدها ،وهي لا تسكت على حالات التهتك .. ان الانفلات في الحياة الجنسية ظاهرة برجوازية ،وهو دليل على التفسخ. البروليتاريا طبقة صاعدة. وهي ليست بحاجة الى الانتشار بالانفلات الجنسي ولا الى الانتشار بالمسكرات. انها لا تستطيع ولا تريد ان تنسى نتانة وقذارة ووحشية الرأسمالية. انها تغترف اقوى المنبهات للنضال من اوضاع اكثر ،يجب ان لا يكون هناك اى اضعاف وأى تبذير واتلاف للقوى. رباطة الجأش والانضباط الذاتي ليسا عبودية. انهما ضروريان في الحب ايضا ".

وكان الفوضويون بشعاراتهم القائلة "فليسقط الحياء ولتعش مشاعية النساء" قد تركوا أثرا تفسخيـــا .

وكانت هذه الاراء والنظريات تدعو الى التهتك الجنسي

Digitized by Birzeit University Library

وفي العشرينات كتبت الصحف كثيرا والقيت الكلمات في مختلف الاجتماعات عن مسائل العلاقات بين الجنسين. فان الشخصية الحزبية والاجتماعية السوفييتية المعروفة كولونتاى التي كتبت كثيرا عن المسألة النسوية قد اعربت عن رأيها بالشكل التالي . "... ان ايديولوجية الطبقة العاملة ستعمل بلا رحمة وبصرامة أشد من الاخلاق البرجوازية في ملاحقة "الاباحية المنغلتة" الرغبات واشباع اللذة الجنسية الوحيد الجانب عن طريق البغاء وتحويل "العملية الجنسية "الى هدف طائش من طراز "الملذات الخفيفة". ان "الاباحية المنغلتة" تتعارض ومصالح الطبقة العاملة. لانها تؤدى بالضـــرورة الى الافراط وبالتالي الى ضعف البدن، الامر الذى يقلل من احتياطي الطاقة العملية لدى البشرية . هذا اولا، وثانيا لانها تفقر الروح وتعيق تطور وتعزيز الصلات الروحية ومشاعر التعاطف. ثالثا ـ لانها تعتمد عادة على اللامساواة الحقوقية في العلاقات المتبادلة بين الجنسين وعلى تبعية المرأة للرجل وعلى تسلط الرجل وعدم رقته، الامر الذى يؤدى دون شك الى التدهور في تطور المشاعر الرفاقية ".

وأيدت كولونتاى ظهور الاراء التقدمية الجديدة لدى النساء بخصوص الحب في المجتمع الاشتراكي الوليد، وكتبت كولونتاى تقول "لا يكفي لان تحب المرأة وتحب، فهي تسعى غريزيا وعفويا الى أن تقوم في الحب ايضا نفس الروح الرفاقية ونفس المساواة ونفس الاعتراف المتبادل مما تستند اليه العلاقات المتبادلة بين افراد المجموع المشبع بالايديولوجيـــة البروليتاريـــة "

ان الوقائع الموضوعية التي تميز العلاقات بين الناس في المجتمع الاشتراكي الوليد كانت تدل على ان الثورة الاشتراكية قد ادت الى اخلاقيات اكثر تشددا في العلاقات بين الجنسين

ان التصفية التدريجية للطبقات الاستغلالية وتقلص البطالة وزيادة الرفاة وتقوية مبادئ الاخلاق الاشتراكية والعمل المختص كل ذلك ادى الى خلق واقع جديد للمرأة ، مكانة وعمل مع تقلص استغلال جسدهـــا .

ضمان الامومـــة ـ

كانت الاجراءات الملموسة لحماية الامومة والطفولة واحدة من اولى خطوات تنفيذ السياسة الاجتماعية للحزب الشيوعي. ولاول مرة في العالم استحدثت لجميع النساء العاملات اجازة الحمل والولادة للفترة اللازمة لصيانة صحة الام والطفل على حد سواء . وفي كانون الاول عام ١٩١٧ نشرت الحكومة السوفييتية مرسوما يمنع النساء من العمل قبيل وبعد الوضع وحددت اجازة لهذه الفترة تحصل المرأة بموجبها على معونة مادية بقدر اجورها الكاملـــة

Digitized by Birzeit University Library

وقد وضعت قوانين صيانة الامومة بتفصيل اكبر في مجموعة قوانين العمل لعام ١٩٢٢. واحتفظت المجموعة باجازة النساء اللواتي يمارسن العمل البدني ومدتها ثمانية اسابيع قبل الوضع وثمانية اسابيع بعده، وباجازة النساء اللواتي يمارسن العمل الذهني ومدتها ستة اسابيع قبل الوضع وستة اسابيع بعده. (اعتبارا من عام ١٩٣٦ حددت مدة هذه الاجازة بـ ١٦ اسبوعا لجميع النساء) . واستحدثت معونة لمرة واحدة اثناء ميلاد الطفل بمقدار يعادل متوسط الاجرة الشهرية ومعونة رضاعة بمقدار ربع الاجرة طوال تسعة اشهر من يوم ميلاد الطفل. واضيفت ٣٠ دقيقة الى فرصة الغذاء من اجل رضاعة الطفل .

والزم القانون الاباء بمساعدة الامهات في الصرف على الاطفال بغض النظر عما اذا كانوا مرتبطين بعقد زواج ام لا . ومقدار تلك المساعدة يحدد بصورة طوعية. واذا لم يتفق الطرفان على ذلك فان المحكمة تعين مبلغ تلك المساعدة المالية (النفقة) .وفي عام ١٩٣٦ حدد القانون بصورة دقيقة مقدار النفقة : ربع اجرة الاب لطفل واحد وثلث الاجرة لطفلين ونصف الاجرة لثلاثة اطفال فما فوق .وشمل هذا القانون الكولخوزيين ايضا .

ان هذه القوانين الانسانية لحماية الامومة والطفولة كانت انذاك موجودة في الاتحاد السوفييتي فقط .

وفي عام ١٩٢٢ افتتح في موسكو معهد البحث العلمي الحكومي لرعاية الامومة والطفولة. وبعد ذلك افتتحت معاهد مماثلة في جميع المحافظات تقريبا . وكانت نتائج الدراسات وتعميمات الممارسة الصحية تطبق عمليا .

واستمر تحسين الخدمات الطبية للحوامل . وفي فترة الحمل صارت المرأة تحت رعاية الاطباء العاملين في العيادات النسائية المختصة. وصار الاطفال قبل ان يبلغوا العامين من العمر تحت رعاية منتظمة من قبل العاملين في عيادات الاطفال. وكل ذلك بالمجان .

وافتتحت مؤسسات الاطفال لما قبل سن الدراسة ـ دور الحضانة ورياض الاطفال التي تشهد على رعاية أطفال الامهات اللواتي يمارسن عملا . وفي عام ١٩٢٨ بلغ عدد الاطفال في هذه المؤسسات ١٦٦ ألفا ، أما في عام ١٩٣٧ فقد بلغ مليونا و ٧٣٦ ألفا . وبالاضافة الى ذلك انتشرت في القرى على نطاق واسع مؤسسات الاطفال الموسمية لسن ما قبل الدراسة وهي المؤسسات التي تفتتح خلال موسم الاعمال الحقلية. وفي عام ١٩٣٧ ضمت دور الحضانة الثابتة والموسمية في الارياف ٦ر٧ ملايين طفل وتدفع نفقات الاطفال في مؤسسات الاطفال الدولية والمؤسسات الصناعية والكولخوزات والنقابات ، ولا يدفع الاباء الا أقل من ثلث النفقات .

ومارس تنظيم دور الحضانة قسم رعاية الامومة والطفولة الذى افتتح في كانون الثاني عام ١٩١٨ لدى مفوضية الشعب لشؤون الضمان الاجتماعي. وفيما بعد الى مفوضية

Digitized by Birzeit University Library

الشعب لشؤون الصحة . ونظم هذا القسم كذلك عمل العيادات النسائية وعيادات الاطفال ومؤسسات التوليد المساعدة ومطابخ اغذية الاطفال التي تقدم للعوائل اطعمة الاطفال .

كانت اهمية مؤسسات الاطفال لسن ما قبل الدراسة في حل المسألة النسوية تتلخص في انها امنت تربية الاطفال وهيأت الامكانية لاشراك النساء على نطاق واسع في الحياة الاجتماعية والانتاج ورفع المستوى الثقافي للمرأة وتطوير نشاطها .

وعندما رأت العاملات والفلاحات والمستخدمات اهتمام الدولة الاشتراكية والمجتمع الاشتراكي بالامومة والطفولة أصبحن واثقات من ان الدولة ستساعدهن في تربية اى عدد من الاطفال ، وأنهن سيحصلن من الدولة على دعم مادى وخدمات طبية مجانية وأن بوسع اطفالهن ان يتواجدوا في مؤسسات ما قبل الدراسة ويحصلوا على التعليم ويغدوا اناسا طيبين وافرادا محترمين في جماعات العاملين ...

المراجـــع :

١) هكذا حلت المسألة النسوية في الاتحاد السوفييتي ـ تشيركوف
٢) المرأة الاشتراكية .
٣) لينين ـ المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩

Digitized by Birzeit University Library

ندوة
حول مجموعة صبحي شحروري القصصية "المعطف القديم"

عقدت هذه الندوة في قاعة الملتقى الفكرى العربي بالقدس في اواسط كانون اول الماضي وقد شارك فيها كل من : محمد البطراوى ، جمال بنورة ،ابراهيم جوهر ، جميل السلحوت ، د .قسطندى الشوملي ،حسين البرغوثي ،بالاضافة الى القاص صبحي شحروري .

محمد البطراوى : الاسلوب الجديد في متابعة الاعمال الادبية التي صدرت في المناطق المحتلة ،والتي ستصدر،هذا الاسلوب يتطلب عملية نقد تطبيقي على موضوعات قائمة سواء كانت في القصة او الشعر،او الرواية او المسرح او في سائر الاعمال الاخرى ،الحقيقة ان المبادرة من الاخ جمال بنورة ،اقترح ان يكون كتاب الناقد القدير صبحي شحروري هو البداية ولعل الاستاذ صبحي بخبرته وقدرته قد يكون اوسع الناس صدرا لان نبدأ معه هذه العملية التشريحيـــــة .

في الحقيقة عندما أعدت قراءة هذه المجموعة شعرت كأني وضعت يدى على كنز ثمين. هذا الكنز الذى يصل الماضي القريب بالحاضر ،فبدأت أتساءل : يا ترى هل نحن في وقتنا الحاضر حققنا امتدادا معينا لهذا الماضي الذى بدأه صبحي شحروري ومجموعة الاخوان كتاب "الافق الجديد" أم أننا خرجنا عن هذا الطريق ،وسلكنا طريقا آخر مغايرا ؟! هل هذا التطور كان تطورا طبيعيا أخذ نفس المسار الذى كان يجب أن يأخذه ام طرأت أشياء أخرى جيله فأكمل المشوار،على أى حال في الكتاب أيضا أكثر من قضية أخرى لبلورة المناقشات. في الكتاب قصة واحدة بعد عام ٦٧ تمثل صبحي شحروري الان فيا تُرى هل صبحي نفسه تطور التطورُ المنطقي الطبيعي ام ان صبحي بقي عند نفس موقعه في الستينات .القضية متروكة للاخوان لمناقشتها .

Digitized by Birzeit University Library

صبحي شحروري : مقدما نفسه وقصصه :

اذا أريد مني أن أتكلم عن مجموعة "المعطف القديم"، عن صدورها في هذه الفترة بعد هذا الوقت الطويل، فلي مبررات شخصية وأخرى عامة. كان بامكاني أن انشر رواية أو عملا جديدا، ولكني أثرت اخلاصا لتاريخي الشخصي ان أنشر هذه المجموعة اولا وهي مقتطفات أو مختارات من القصص التي نشرتها سابقا اى في الستينات.

اما الدافع الاخر وراء النشر فهو محاولة مني شخصيا أن أضع شيئا من انتاج جيلنا امام الجيل الجديد لكي يكون هناك شيء من لفت النظر او المقارنة بين ما كان وما هو كائن الان .. هذه مقدمة لا بد منهـا .

النقطة الاخرى التي اردت ان اقولها ان الموضوعات التي طرقتها في القصص هي موضوعات انسانية، يعني نجد في نهاية كل قصة ان بطل القصة ربما يخسر شيئا ولكن يربح الانسان في النهاية. كما في قصة المعطف القديم مثلا وهي ليست أفضل قصص المجموعة، ولا علاقة لها بمعطف غوغول كما ذكر البعض. المحور الاساسي في هذه القصة ان الشاب بطل القصة ربح انسانا وخسر معطفا. وان وراء التشيؤ هناك دائما قضية الانسان. اعطاء المعطف لم يكن عملية احسان وانما جاء ضمن اطار عائلي. وانتهى الحماس العائلي وعاد الشاب للاهتمام بالمعطف (الشيء) على حساب اهتمامه بالانسان. وعند زيارته الاخيرة للمريض (ابو العبد) كان متأثرا بعاملين: الارتداد الى الطفولة كجزء من ماضيه ثم قضية الانسان، فعاد للاهتمام بأبي العبد الذي يمثل طبقة هامشية في القرية قانعة بهامشيتها فالقصة لا تصور تمرد هذه الطبقة، كما ان هناك نمطية في العلاقات السكونية في القرية، والقصة لم تصف شيئا مصطنعا من الخارج .

قصة "الحملة" تمثل نقلة من الواقع السكوني النمطي الى مجتمع مرهص بالتغيير. والقصة حاولت التعبير عن هذا التغير. والحملة هي رمز للثورة أو بداية الثورة، بداية التخلخل. البطل في المجتمع السكوني لم يكن له دور. كان محبطا ويعبر عن احباطه بلعب الورق. عندما حدثت الخلخلة العنيفة هذه وجد ذاته في ظل الاحداث، الوضع الطبقي في القصة : البطل من البرجوازية الصغيرة، والمجموعة لا تعبر عن وضع عمالي بالمفهوم الماركسي وانما تعبر أحيانا عن وضع فئة مسحوقة من المجتمع .

"الزامور" قصة معروفة، عندما نشرت في الافق الجديد كان لها دور فعل وكتب عنها في حينه الشهيد ماجد ابو شرار ويحيى يخلف وهي محاولة لرصد النكبة من خلال مظهر جزئي أو لقطة دقيقة هي الزامور كان السائق يملك سيارة فارهة جدا قبل ٤٨ ويشتغل على خط يافا وبعد النكبة طرأ تغير على السيارة وهو مواز للتغير الذى طرأ على الناس، باعها السائق واحتفظ بالرمز الذى هو الزامور وعندما التقى بالمثقف القادم من بيروت حاول التعويض عن سوء السيارة بالزامور. والعبارة الاخيرة في القصة محاولة لتكثيف احداث القصة من خلال الزامور، وهي ان التمسك بالماضي والشعارات والبيارات لم يعد يجدى، وان زحمة الحياة او التغير الذى طرأ جرف هذا الكلام في طريقه .

Digitized by Birzeit University Library

قصة "معلم وتحية" و " زاكي بـاع عود" هي نموذج لقصص تربوية مأخوذة من عمل المعلم مباشرة،والمعلم وسط ركام القذارة من خلال سكنه ،وهو محبط لانه يعلم صفوفا دنيا، وهذه الامور واجهها بكتاب فاروق الحامد الكتاب النظيف الذى كان على عكس بقية كتب الطلاب.وكان عليه عبارة جميلة"سلم يا كتابي على من يأخذك" هذه الواقعة شدت بطل القصة ورأى فيها نافذة مشرقة،وكانت بالنسبة له فترة نهوض من الاحباطات.

" سلة التين" في هذه القصة يعيش البطل صراعا حادا بين جذوره التي تربطه في القرية ومستقبله المنطلق خارج القرية.مات والده فأصبح رب اسرتين أسرته في المدينة وأمه واهله في القرية،وهو يعاني من التمزق داخل القرية وخارجها.وسلة التين رمز للبقاء في القرية للعلاقات داخل القرية،وعندما تخلى عن سلة التين التي سعت أخته لاحضارها له كأنه أدار ظهره لهذه العلاقات وواجه مستقبله الجديد في خارج القرية.والمعالجة في نهاية القصة كانت رومانسية فهذه كانت طبيعة المرحلة التي عشناها .

"تمارين في كتابة سيرة ذاتية": هي مجموعة تمارين،البطل فيها يعيش عدةاحداث عندما يغيب عن مسرح الاحداث تضطرب الامور وعندما يعود الى المسرح تعود الامور الى طبيعتها وتعيد له قيمته.وكل تمرين من هذه التمارين عمل أدبي مستقل..مجموعة التمارين تمثل سيرة ذاتية، .ولكن ليس بالمعنى الحرفي للكلمة .

"الطرف الاخضر" : محاولة لتجسيد حلم ما . لا منطقية،وهي تحطيم للزمان والمكان، وعملية قتل الفتاة تصوير للقيم الرفيعة التي أصابها انحلال وتدهور ..

"رأس الشيخ والقطار" : قضية نفسية ليس لها هدف وطني واضح .. رغم انها مستلهمة من حادث وطني .. ولكنها في النهاية تمثل بعدا فرديا.وهي كتبت في أعقاب تأثر خاص برواية الابله لدوستوفسكي وانا لا أخفي هذا . كان هناك خبرة بشعة عند البطل وهي رؤيته مجموعة من القتلى في احداث نوع من التفريغ لهذه الخبرة .... يعني وجد في احداث قصة الابله شيئا كأنه دعاة أو دفعه لان يقوم بعملية التفريغ للخبرة المؤلمة له .. وفي حينه اعتبرت هذه القصة غير متفائلة بالتعبير الذى يقال الان .. أو أنه ليس فيها النبض الفلسطيني .. وفي ذلك الوقت لم يكن هذا مطروحا،كل هذه المفاهيم الثورية الموجودة حاليا لم تكن موجودة في اعقاب نكبة ١٩٤٨ .

ابراهيم جوهـر : متحدثا عن الفن القصصي في مجموعة المعطف القديم :

يكتب صبحي شحرورى قصة قصيرة بتكنيك فني ينسجم مع التكنيك الذى اتبعه زملاؤه في المرحلة التي بدأ فيها ينتج بواكير أعماله الادبية . وان كانت هذه المجموعة قد أخرجت الشحرورى عن صمته الذى ران بعد العام ١٩٦٧ بشكل متقطع ـ فانها تبشر برفد حركتنا الادبية المحلية برافد معطاء على صعيد الكتابة القصصية .

وحسب مقدمة هذه المقالة،فان "المعطف القديم" تلتقى،فنيا،وربما موضوعيا في بعض

Digitized by Birzeit University Library

قصصها ،مع مجموعة "خبز الاحرين "لمحمود شقير و"الخبز المر"لماجد ابو شرار و "القرية الموعودة"لابراهيم العلم . الا أن المجموعةالاخيرة تتميز عن سابقاتها من حيث زمن كتابتها الكلي ،الذى جاء بعد العام ١٩٦٧ ولكنها تلتقي معها في أكثر من ناحية فنية ،لتشكل بأجمعها شواهد حية على انتاج جيل بأكمله ،طالما تاق الكاتب المحلي للتعرف اليه ودراسته للاستفادة من تجارب هذا الجيل ـ جيل "الافق الجديد" ـ . هذا التوق الذى دفع بأحد زملائنا ليقول . نحن جيل نما بدون الاطلاع على خبرات من سبقونا" ،وكان زميل آخر قد قال "نحن جيل بلا نقاد" .

والان ما هي الجوانب الفنية في كتابة صبحي الشحروري ،كما تدل عليها مجموعة "المعطف القديم" ؟

١ ـ دفع القارئ للعيش في وسط الحدث الذى سيسوقه القاص منذ البداية .وهذه بداية ناجحة وموفقة .

٢ ـ استخدام اسلوب الذكريات في القص .

٣ ـ استخدام الحوار الداخلي (المونولوج) مثل : "أابتدره بالسلام .أنا الذى لم أوجه الحديث اليه مباشرة منذ سنوات ؟ أأذهب الىجحره وأنا لم أدخله منذ أصبحت رجلا حتى ولا في الاعياد والمناسبات؟؟" ص (١٦)

٤ ـ الوصف الخارجي للشخوص والاماكن وأحيانا قليلة يتسرب وميض نفسي الى داخلها .

٥ ـ القدرة على رسم الحركة كما يظهر في قصة الحملة وبالتحديد في صفحة ٣١ منها ،مما يقربها من خصائص القصة الحديثة من حيث الجمل القصيرة المتوترة والموحية .

٦ ـ اختلاف الاسلوب في تناول الفكرة ومعالجتها من قصة الى أخرى .ففي حين تأخذ قصة "الزامور"طابع السرد الملفع بالرمز الرشيق ،تنحو قصة "معلم وتحية" نحو طابع السرد التقريري منذ بدايتهـــا .

٧ ـ التفصيل في الصورة الموصوفة .اذ يحاول نقل الصورة بكافة تفاصيلها الخارجية .وهذا واضح في "معلم وتحية"و"رأس الشيخ والقطار"وغيرها .ولعل هذه السمة أقرب الى فنية الرواية منها للقصة القصيرة .

مآخذ على اسلوب الشحروري القصصي :

١) عدم استخدام الضمائر في مكانها المناسب :
تعود أن يرافق الاحداث دون أن يرتبط بالاحداث" (بها)

٢) الاصرار على العيش في الزمن الماضي عن طريق الشغف بالفعل "كان "بشكل غير موفق مما يباعد بين القارئ وحرارة انفعاله بالحدث ،وهذا عيب في التوصيل الانفعالي .

٣) تدخل الكاتب في سير القصة :"انه يبكي هذا الرائح الغادى أبدا دون أن يعـــرف الكلـل ..." (ص ٢٠) فلم يترك للقارئ ان يستنتج التحول في الشخصية لوحده.

Digitized by Birzeit University Library

٤) فرض بعض الافكار من خارج الشخصيات دون تطور موصل لهذه النتيجة.ان نهاية قصة "الزامور" التي تمثل حكمة سياسية وانسانية عميقة،لم تنتسب الى أى من شخوص القصة. انها من بنات افكار الكاتب الذى لم يوفق الايصال أحد الشخوص (حتى الراوى نفسه) لاستنتاجها . ولعل هذا الموقف ناتج عن الخلط بين الكاتب والراوى،الذى ليس بالضرورة ان يكون الكاتب ذاته بلحمه ودمه !

ولو حذفت هذه الجملة ـ الحكمة "لقد أصبح سماء النغم رخيصا لا يكلف سوى مرور سيارة جديدة مسرعة .." لما افتقدها القارئ حتى الذكي،بالرغم من أنها تمثل الهدف النهائي للقصة وكذلك جملة : "ان الشكايات في مثل هذا السن كثيرة" (ص ٥٢)

٥) يشوب البناء القصصي بعض الضعف في أسلوب تركيب الجملة. كما في (ص٤٨) و ص ٥٣

٦) وصف تفاعلات نفسيات الشخوص عن طريق السرد ،في حين يغني المونولوج (حوار الشخصية مع ذاتها) . (ص ٤٩).

٧) بعض القصص تصلح فصلا من رواية.وبالذات قصة "الزامور"

جميل السلحوت : متحدثا عن اللغة في قصص المعطف القديم .

اذا كانت اللغة بمثابة الوعاء الذى يجمع عناصر العمل الادبي فلا بد لنا من وقفة أمام اللغة التي استعملها القاص صبحي شحرورى في مجموعته القصصية "المعطف القديم"

ان المتأمل في الكلمات التي استعملها صبحي شحرورى في قصصه يجد أنها منتقاة وذات ايحاءات خاصة كان الكاتب يهدف منها ايصال القارئ لقصصه بسهولة وبساطة فلم يلجأ الى التعقيد اللغوى واللفظي،بل لجأ الى الكلمات التي يستطيع ان يفهمها الانسان العادى تماما مثلما يفهمها الانسان الملم باللغة العربية وجمالها،فقد لجأ الى الحذف في مواضعه،كما لجأ الى التقديم والتأخير(مثل اذ طرق اذنيه صوتها "ص٦٢ حيث قدم المفعول على الفاعل) فانظر الى جمال التشبيه في الفقرة الثالثة من الصفحة ٢٩ عندما شبه البرق بفارس جريح مطارد وانظر الى جمال الاستعارة في نفس الفقرة عندما يقول "حتى القمم الشماء التي حسرت عن روؤسها خوفا ووجلا كانت مآقيها تنهمر بأقنية حراء مرتاعة ....." لكنه استعمل بعض الاستعارات والتشبيهات القبيحة مثلما فعل ذلك في صفحة "٣٠" الفقرة الثانية عندما قال "ففوجئت بأخرس بشع الخلقة يطلق عواء شرسا "فالعواء للذئب وليس للانسان وان كان أخرس وانظر الى جمال الاستعارة عندما يقول في الصفحة "٣١" "وامسح عرقي بكف خضبها الوحل" وكذلك في نهاية الفقرة الاولى ص ٥٣ "وهي ترحب به وبزملاء بابتسامة خجلى" وهناك استعارات وتشبيهات أخرى كثيرة كما أنه استعمل المقابلة في بعض قصصه مثل "مجفلة مقبلة " الفقرة الاخيرة ص ١٠٦ وانظر الى جمال التشبيه والاستعارة ص٨٨ "لن تلسع وجهي ابر الشمس المقتولة "

واذا كان اديبنا قد أجاد في استعمال التشبيهات واختيار الكلمات فانه أجاد في بناء الجمل ايضا فكثير من جمله متساوية،وهذه ميزة لا يستطيع اجادتها الكثير من الكتاب .

Digitized by Birzeit University Library

غير ان المجموعة تحوى العديد من الاخطاء اللغوية والاملائية ولا أدرى هل وقع كاتبنا بها أم هي أخطاء مطبعية ،فاذا وقع كاتبنا فيها فأظن انه لو راجعها لما خفيت عليه واليكم أمثلة على ذلك - مثلا منتصف ص ٣١" ابن المعلمين "والصحيح "ابن المعلمون" وبداية ص ٧٠ " وحين كان زملائه وأصدقائه يعيرونه" والصحيح يجب ان تكون الهمزة على واو" وص ٧٢ "وكان يحلو له أن يداعب أصدقائه " والصحيح الهمزة منفصلة وص ٧٨ "ومد يداه" والصحيح "يديه" وبداية ص٨٠ "سيستقبله أصدقائه" والصحيح الهمزة على واو وص ٨٧ "سيكون نصيبه عدد" والصحيح "عددا" وانظر الى الخطأ الذى وقع في بداية الفقرة الثانية ص ٩٤ حيث يقول وهو يكتال أذرعة القماش"فالاذرعة لا يكتال بها وأنما تقاس بها كما ان الكاتب وقع في خطأ التكرار في الكثير من قصصه فانظر الى الصفحة ٧٠ مثلا كم مرة كررت فيها كلمة "كان" ،أو احدى مشتقاتها .في حين انه كان باستطاعته ان يستعيض عنها باحد أحرف العطف وحتى بفاصله .

محمد البطراوى : في تصورى ان لغة القص لغة متميزة رغم الاخطاء المطبعية ،فقد استطاعت اللغة بشفافية معينة وجمالية معينة ان تنقل لنا الاحساس الذى كان يعتمل في نفس الراوى في أغلب المرات .على أى حال أمامنا هذه المجموعة التي تمثل مرحلة تاريخية في حياتنا ، مرحلة تحول من الرومانسية العاطفية جدا التي كانت تتغنى بالرمل الذهبي والبيارة والتينة .. الخ .والسؤال الذى يمكن ان نسأله ،وأنا احد المطالبين بالاجابة عليه هل أدبنا الحالي هو تطور أو خطوة طبيعة متصلة مع الادب الذى طرحه علينا صبحي شحرورى، لنبدأ بهذه النقطة ومنها يمكن ان نتفرع الى الدخول في صميم كل عمل .

حسين البرغوثي : هناك مجموعة من الملاحظات التي أحب أن أتحدث عنها واعتقد انها مهمة .الملاحظة الاولى أنه في تاريخ دراسة القصة الفلسطينية من المفروض ان نحذر من تطبيق معايير مرحلة محددة على مرحلة سابقة او لاحقة بمعنى ان الادب هو افراز لمرحلة معينة وجوهره الاساسي انه يعكس هذه المرحلة ،وأن خصوصيته تنتج من خصوصية هذه المرحلة بالذات .فقصص المعطف القديم مع قصص غسان كنفاني التي كتبت في اواخر الخمسينات وأيضا قصص ماجد ابو شرار يمكن ان تشكل نماذج الى حد معين على مرحلة خاصة .

ولكن قصص غسان كنفاني تتميز عن المعطف القديم في أنها تعكس تشرد الشعب الفلسطيني في الخارج ،أما قصص المعطف القديم فهي تعكس عمليا ظروفا محددة عاشها الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية ،والتي تصور تجربة الضياع .

ومن حيث التكنيك في قصة المعطف القديم نلاحظ انها قصة منطقية متسلسلة يقصها الراوى من منطلق موضوعي رغم ان له دورا في القصة لكنها لا تنظر للعالم الخارجي من منطلق الذات نفسها بمقدار ما تنظر للعالم من نوع عالم القرية المتوازن الذى فيه دور للذات ودور

Digitized by Birzeit University Library

للاخرين ونمط العلاقة الذى يحكمهم نمط منطقي متعارف عليه بشكل او بآخر وهذا التكنيك يختلف عن التكنيك المتبع في القصة الثانية (الحملة) التي تحاول ان تعطي الصراعات الموجودة في داخل الذات وتسقطها اذا جاز التعبير او تستعمل العالم الخارجي لتبيان علاقات الذات هذه بعالمها. وهذا التكنيك يعكس مرحلة اكثر انتقالية من تكنيك المعطف القديم نفسها .

في قصة المعطف القديم تمثل شخصية ابو العبد نموذجا يمكن ان نطلق عليه قطاع الريف الفلسطيني. وهذا القطاع من الناس يتكون في غالبه من الرعيان الذين ليس لهم علاقات قرابة او ملكية لكي تعطيهم نوعا من الاعتبار او الاحترام وهم دائما يعيشون على الهامش فلماذا هذا الاختيار الهامشي للشخصية ؟ في الحقيقة للتعبير عن جوهر البنية الاجتماعية الاقتصادية التي هي ليست هامشيـــة .

النظرة الانسانية التي تحدث عنها الاستاذ صبحي لم تتجسد الا عندما ذهب الراوى لزيارة ابي العبد وهو على فراش المرض، بدا له ان المعطف الذى قدمه هدية له لم يكن له أى قيمة . ولكن حتى تلك اللحظة، كان موقف الـراوى منه يجسد موقف القرية من الشخص .

في رأيي هذا هو المحور الاساسي، اذا قارنا سر هذه الهامشية نجد ان هناك بنية قروية محددة تجرى في داخل البنية الاقتصادية الاجتماعية منعزلة وتنتج بنية نفسية موازية لها، وتتناقض تناقضا واضحا مع الشخصيات الهامشية التي يختارها غسان كنفاني للتعبير عن الضياع، عن انقطاع الجذور، عن فقدان المركز الثابت الذى يشكل القاعدة التي تقوم عليها هذه الشخصية من هنا اعتقد ان ثبات القرية هو ثبات لهامشية الناس الذين يعيشون فيها، وتبعا لذلك فان تكنيك القصة هو تكنيك منطقي له بداية، له نهاية وهو يحكي عن ابي العبد كشخص يكرر نفسه عدة مرات. وهذا التكنيك يختلف عن التكنيك الموجود في القصة الثانية (الحملة) الذى هو صراع ذات مع نفسهـا .

ابراهيم جوهـر : لماذا لا يكون ابو العبد هو الشخصية المركزية وبقية الشخصيات هي الهامشية لانه يمثل عنصر الخير، عنصر الطيبة وبالمقابل هو عنصر هام ومكافح في الحياة؟

جميل السلحـوت : اسلوب تقمص الشخصية في قصة المعطف القديم أفضل من غيره ويعبر عن فكرة الكاتب بشكل أفضل. وهذا الاسلوب لا يجيده الكثيرون من كتابنا . كما ان لبعض القصص مفهوم وطني فمثلا قصة "سلة التين" تدعو للارتباط بالارض .

جمال بنـورة : قصة المعطف القديم تصوّر نوعا من العلاقة او الرابطة الخفية بين راوى القصة وابو العبد من زاوية الراوى فهو يراقبه ويرصد حركاته وتصرفاته، ويبني عليها موقفه منه.

ابو العبد انسان يعيش على الهامش وهو محايد يرافق الاحداث دون ان يرتبط بها كما يقول الكاتب، وفضيلته الاولى والكبيرة انه يجيد الانسحاب والتخلي عن مواقفه بسرعة ولكل الناس !! ليرضي فيهم – ربما غير واعي – شعورا بالاستعلاء والتفوق. كان سلوكه هذا يثير

Digitized by Birzeit University Library

حتقا لدى الراوى يصل الى حد الحقد عليه وتعمد ايذائه ،فهو أى ابو العبد يعرف مكانه الذى يحدده له وضعه الطبقي – في ادنى درجة من السلم الاجتماعي وشعوره بالدونية امام الاخرين .واهتمام الكاتب به مسألة انسانية لا غير ،ولا تنطلق من موقف طبقي .ومن خلال هذه الشخصية نتعرف على العلاقات الاجتماعية النمطية التي تسود مجتمع القرية .رغم ذلك تحس ان هذا الانسان لا يختلف عنا فهو لديه احساس بكرامة الانسان الذى يعيش في داخله فهو يرفض تناول الطعام في بيت الوالد لانه فقد الاحسان . وقبوله المعطف جاء في مناسبة عائلية على اعتبار انه هدية في عرس ابنته .وهو ينتصر على كبرياء الراوى ببروده المثير .

ان مثل هذه الشخصية تستميل الى معلم من معالم القرية مثل أزقتها المتعرجة وأكواخها الطينية بعكس ما يقوله الكاتب بأن وجهه عديم الملامح .والكاتب يؤكد في القصة على العلاقة الانسانية التي تتغلب في النهاية على ما عداها في موقفين الاول عندما يهديه المعطف : "في الخطوات التي قطعتها نحوه كان جدار سميك من الجمود والنفور الذى امتد سنوات ينهار وسط عواصف صافية تنبعث من الاعماق" .(ص ١٤) وفي المرة الثانية عندما قام بزيارته وهوعلى فراش المرض ،وأحس بعدها انه يفتقد معلما رئيسيا من معالم القرية .. شيئا عزيزا على قلبه .. لقد انتصر الكاتب اخيرا للعلاقة الانسانية التي يجب ان تسود بين البشر بحيث تتخطى الحواجز والفوارق بين الناس .

اما الاسلوب الذى اتبعه الكاتب فهو ينسجم تماما مع المضمون .وهو اسلوب السرد التقليدى ،وقد أضاف زخما الى القصة استعمال ضمير المتكلم في التعبير عن نفسية الراوى تجاه ابو العبد .والكاتب يميل الى استعمال مثل هذا الاسلوب الذى يعتمد على الوصف الخارجي للشخصية ولا يرتكز على حدث رئيسي او مركزى فهو يلتقط احداثا صغيرة او مجموعة من الصور التي تعطي في مجموعها معنى كليا للقصة او ما يمكن ان يقال عنه اكتمال فلا يبقى هناك ما يمكن ان يضاف الى القصة ،فليس من الضرورى ان تبنى القصة على حدث واحد فقط واحيانا يضيع الحدث المركزى بين الاحداث الصغيرة الموجودة في داخل القصة .

اما النقطة الثانية التي اود الحديث عنها فهي موضوع تطور القصة .في اعتقادى ان الافق الجديد كانت تجربة رائدة في مجال القصة وأفرزت عددا لا بأس به من الكتاب المجيدين ،والاداب – كما هو معروف – نتاج مرحلة معينة أو ظروف معينة يعيشها الكاتب . مرحلة الافق الجديد كما قال عنها يحيى يخلف هي ارهاصات اولى لقصة فلسطينية ناضجة ومتطورة .ولو أردنا مقارنة قصص "الافق الجديد" مع مرحلتنا بعد ٦٧ فأعتقد ان مثل هذه المقارنة تحتاج الى ندوة خاصة .فالمواضيع التي تناولها كُتّاب الافق الجديد والتكنيك الذى صاغوا به قصصهم يختلف كلية عن مرحلة ما بعد ٦٧، كذلك فمعظم الكتاب الحاليين ليس لديهم اطلاع على كتابات الافق الجديد .ومن هذا المنطلق فكتاب المرحلة الحالية ليسوا تطورا او امتدادا طبيعيا للمرحلة السابقة .أى ان جذورهم الادبية لا تمتد الى تلك الفترة ، ومن الانصاف القول انهم خلقوا أنفسهم بأنفسهم ،وأن دافع الاحتلال هو العامل الرئيسي

Digitized by Birzeit University Library

وراء خلق حركة ادبية مقاومة تحت الاحتلال .

قسطندى الشوملي . يبدو لي من الصفحات التي اطلعت عليها ان الطابع السردى الوصفي يغلب على هذه الصفحات في حين لو قرأنا قصة المعطف لغوغول نجد ان الحدث هو الذى يلعب الدور الرئيسي في القصة. كذلك اريد ان اشير الى ان الاحداث احيانا هي التي تمكننا من عرض الازمات التي يتعرض لها ابطال القصة فيبدو لي ان الاحداث قليلة وهي لا تأخذ دورا رئيسيا لكي تبني حول الازمة الرئيسية سواء أزمة البطل أو أزمة القصة .

وبخصوص الاجابة على السؤال الذى طرح في البداية حول تطور القصة . هناك تطور في المضمون ،وهناك تراجع وتخلف في الشكل أو في اللغة.. فمضمون القصة المعاصرة في الثمانينات هي اقرب الى قضايا المجتمع والحياة من قصة الستينات بصورة عامة وليس بصورة خاصة، وان كانت هذه القصص أو بعضها قد تقترب من الواقع الرومانسي أكثر من اقترابها من واقع الحياة كما نشاهد في بعض القصص القصيرة في هذه الايام .. لكن من حيث الشكل واللغة، هناك ضعف في الشكل بصورة عامة واللغة بصورة خاصة في القصص التي تكتب حاليا. اى ان هناك تطورا في ناحية وعدم تطور في ناحية اخرى .

محمد البطراوى : السؤال الذى طرحته في البداية حول موضوع التطور نفسه. وقال حسين انه ليس بالضرورة ان يكون الشكل الحالي أعلى من الشكل السابق. وأنا أقر هذه الرؤية. أما التطور من ناحية الابنية الاجتماعية، من ناحية مضمون القصة أو خدمتها للهدف الاجتماعي .. طبيعي ان لكل مرحلة سماتها ولها هدفها. وحول القضية السردية، اعتقد ان السرد ليس عيبا. السرد هو الوسيلة الوحيدة للدخول الى الذات، لاعماق التفكير. قد يكون الحدث المادى المتحرك داخل الشعر او القصة او الرواية هو العمود الفقرى الاساسي لها الذى يمكن ان يعطيها زخما. نقطة أخيرة حول موضوع الهامشية. الهامشية لا يعني فيها الخير أو الشر، الهامشية من ناحية الوضع الطبقي. وبخصوص التكنيك كنت احب ان نخرج من هذه الندوة بمحاولة تقييم ليس لقصص صبحي شحرورى بالذات وانما بتقييم للقصة القصيرة الموجودة في مناطقنا المحتلة .

جمال بنورة : أحب ان أطرح نقطتين نناقشهما استمرارا للندوة. الموضوع الاول هو هل الاستاذ صبحي تطور بعد عام ٦٧ خاصة انه ليس له غير قصة واحدة هي "تمارين في كتابة سيرة ذاتية" ،والنقطة الثانية هي مدى ارتباط المجموعة بالقضية الفلسطينية .

صبحي شحرورى : صار عندى جملة أشياء أرغب في الرد عليها اولا .. فبخصوص الاخطاء اللغوية والنحوية فانني اعترف ببعض الاخطاء خصوصا ما يتعلق بالهمزة .بالنسبة للحوار الحوار. كذلك لم يكن هناك اهمية للانطلاق الى المستقبل لولا التمسك بالماضي. اما التدخل في السياق فانه يشكل ظاهرة مدمرة للعمل الادبي ،والاهتمام بجمالية العمل الادبي

Digitized by Birzeit University Library

خدمة لهدف معين تجعل القصة مقبولة لدى جهات معينة. والادب الحالي ليس متأثرا بأدب الافق الجديد هذه حقيقة، ولكن الجيل الجديد أقل نشاطا في البحث عن المصادر من جيل الافق الجديد. اما عن تطور القصة الحالية فاذا كنا نقصد معالجة القضايا الحالية فنعم، ولكن هناك تراجع مهين في الجماليات، اللغة، الشكل الفني، كما ان تمثل التأثيرات الخارجية ضعيف جدا فظل الادب عندنا يحبو مقابل التغيرات في الخارج. بالنسبة للتكنيك لا شك ان الشكل الفني الموجود في جيل الافق الجديد أفضل بكثير من الموجود الان .

بالنسبة للسرد هو موجود في قصصي ولكن ليس بنفس الدرجة، قصة " الحملة " مثلا تختلف فهي تحكي عن مجتمع في بداية الحركة او اللحظة بعكس المعطف القديم التي تحكي عن مجتمع ستاتيكي سكوني. وكون القصة لا تحتوي حدثا هي الحقيقة تحتوي حدثا لكن انا اعترف ان الحدث فيها ضعيف امام فعل التذكر . كذلك بالنسبة لوضع ابو العبد انا حاولت ان اعبر عن قطاع هامشي مهمل في المجتمع الريفي .

قطندي الشوملي : الملاحظ هنا في اثناء نصك لهذه الشريحة الاجتماعية وفي هذه الاوضاع لا تبرز الثورة والنقد .

صبحي شحروري : لا تنسى التاريخ الذي كتبت فيه هذه القصة، أنا لا أدعي اني قمت بعملية تثوير لواقع هذه الطبقة .

حسين البرغوثي : لنبدأ بالاجابة على قضيتين، القضية الاخيرة نبدأ منها .. لماذا ليس هناك ثورة ؟

صبحي شحروري : أنا لم أنه بعد.. بالنسبة لما ذكره حسين عن قصص غسان كنفاني والشتات فان جيلنا الذي عاش في الداخل، لا ندعي اننا نتحدث عن الشتات .. أنا لا أدعي اني كتبت عن أشياء لم أعشها .

حسين البرغوثي : عندما يكون هناك نقاش لمجموعة محددة بشكل خاص قبل ان ندخل في التقييم وفي علاقتها بالقضية وبقية اجزاء الادب يجب ان تكون المجموعة نفسها كقضية خاصة كل قصة منها مناقشة بشكل مفهوم تماما بعدها ننتقل للمقارنة .

النقطة الثانية هي مسألة الحدث، فقط أحب ان الفت النظر ان هناك مجموعة كبيرة من القصص تأخذ عدم حدوث حدث كمركز لها .

النقطة الثالثة من المفروض ان ننتبه لنقطة اساسية وهي ان الحدث هو النمط في داخل بنية سكونية اى ان هناك نمط من العلاقات محدد، نمط سلوكي محدد، نمط قيمي محدد، نمط تصرف محدد، وبالتالي نمط تكرار محدد، وهذا النمط في حقيقته انه لا يحدث في داخل القرية حدث، او بمعنى آخر تحدث عدة احداث تكرر نفسها. نمط الحياة هو نمط متكرر، وهذا

Digitized by Birzeit University Library

النمط يظل سائدا حتى عام ٦٧ عندما بدأ الانقلاب في البنية الاجتماعية الاقتصادية في الريف،كذلك معالم القرية كالجامع مثلا هو نمط من أنماط حياتها ثابت والحسم لذلك هناك علاقة بين الحدث والنمط والمعالم ترتبط مع بعضها .لذلك أيضا فالسرد والوصف يناسب هذه البيئة وفي نفس الوقت الثورة ليست مطروحة لان روح الثورة تتناقض مع هذا النمط من الاشخاص .

صبحي شحروري : وهكذا فان أبا العبد كان ينفذ عادات مألوفة ، ينصاع للبنية الاجتماعية القائمة .

قسطندى الشوملي : أنا اعتراضي انه يجب ان تخطط لهذه القصة بطريقة أخرى،ان تقوم بعرض هذه الاحداث من خلال أزمة لشخصية من الشخصيات ومن خلالها يكون هناك نقد وعرض للاوضاع السائدة في القرية في ظروف اجتماعية معينة وامام هذا الحدث يجب ان تقول في النهاية شيئا ما .

صبحي شحروري : أنا ادعي انني في هذه القصص التي قدمت .كل قصة ارادت ان تقول شيئا،يعني كان هناك تصميم على ان نقول شيئا.. هل نجحت فيما قالت أو لم تنجح .. هذه قضية اخرى .

Digitized by Birzeit University Library

النظام الأردني لمن يعرفونه، هو نظام إرهاب وقمع واغتيال للشخصية الفلسطينية وللحريات

هكذا يعامل النظام الأردني حركتنا النقابية

بقلم

محمود الشيخ

كغيره من الانظمة الرجعية، يعتبر النظام الاردني الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي، عدوا له وضربا من الجنون، بل بدعه من نسج خيال الروائيين، لهذا يشكل لجان مكافحة رافعي رايتها ولواء الدفاع عنها، بكل الوسائل، التي عرفها التاريخ، ولا ضير لدى هذا النظام اذا استعان بخبرة غيره من النظم القمعية والفاشية، ففي عام ١٩٥٧ استعان بخبراء تحقيق وتعذيب من المانيا، لقمع حركة الشعبين الاردني والفلسطيني الوطنية، وعلى ايدي هؤلاء استشهد المناضل الشيوعي الفذ "عبد الفتاح تولستان"، ومن اجل الدقة وعدم التجني على هذا النظام ولاثبات صحة ما نقول نورد بعضا من الامثلة التي مارسها بعد مؤتمر اريحا المشؤوم الذي اعقبه ضم الضفة الغربية الى الاردن ـ الضفة الشرقية ـ لتشكل الضفتان معا المملكة الاردنية الهاشمية وفور اعلان قرار المؤتمر قام بوليس النظام وجنده باغلاق جمعيات العمال الفلسطينية في نابلس وطولكرم والقدس وفي عمان معتبرا ذلك بدعه من فعل الشيطان حرمها علينا ديننا، ولجا بعد ذلك الى مطاردة القائمين عليها والذين يدعمون

Digitized by Birzeit University Library

وجودها ، باعتبارها الاطار التنظيمي الذى يدافع عن قضايا العمال المعيشية الاقتصادية .

لقد لجأ الطليعيون من ابناء الشعبين الى العمل السرى في التوقيع على عرائض موجهة الى منظمة العمل الدولية للتدخل من اجل السماح لعمال الاردن ، تأسيس نقابات عمالية لهم مما اضطر النظام اثر الضغوط الممارسة عليه وبعد زيارة وفد منظمة العمل الدولية اجازة سبع نقابات عمالية في شهر اذار من عام ١٩٥٣ وسن اول تشريع عمالي في الاردن .

صحيح ان هذه النقابات بدأت تقيم لها فروعا في كافة ارجاء المملكة ولكن النظام وفر اجل تقييد حركة العمل النقابي اتبع اسلوبين هامين .

الاول . سلخ نسبة لا يستهان بها عن جسم الطبقة العاملة الاردنية وتشكل ٧٠٪ منها وهم عمال وموظفي الدولة والبلديات والعاملين في الحقل الزراعي وخدم البيوت ...الخ واعتبر هؤلاء ممن لا ينطبق عليهم القانون ولم يسمح لهم باقامة نقابات خاصة بهم .

الثاني : ومن اجل تفريغ الحركة النقابية من محتواها الوطني والطبقي عمل النظام على منع عقد جلسات للهيئات الادارية دون وجود مفتش عمل المنطقة الذى بدوره سينقل كل صغيره وكبيرة عن الاجتماع، ومنع قبول المتقدمين بطلبات انتساب للنقابة الا بعد موافقة المخابرات وحصول المتقدم بطلب انتساب على حسن سلوك منها وحرمان المرشحين غير المرغوب فيهم من استمرار ترشيحهم لعضوية الهيئة الادارية بالتهديد وبمرابطة شرطة على مدخل النقابة يوم الانتخابات مهمتها تهديد العمال الناخبين بعدم انتخاب غير المرغوب فيه اذا استمر في تحدى التهديد .

الطلب من الهيئات الادارية للنقابات والمؤسسات الاخرى بنشر اعلانات تأييد وتهنئة لجلالة الملك في اية مناسبة هدفها اظهار تمسك المؤسسات ومن خلفها الشعب بالقيادة الحكيمة ؟!.

ان الاساليب القمعية ، ومحاولات الرشوة كانت وراء هروب ثلاث عشرة هيئة ادارية لثلاث عشرة نقابة في القدس والخليل اثر الاحتلال الاسرائيلي مباشرة . ومقابل هذا فقط حافظ "المطاردون السابقون" من قبل النظام الاردني ، والذين قبعوا في سجونه "العتيدة" على نقاباتهم شامخة ، بل اصبحت هذه النقابات بعد عام ٦٧ شوكة في حلق الاحتلال ، خاصة وان القائمين عليها عملوا على تمييز شخصية الطبقة العاملة عن غيرها من الطبقات الاجتماعية الاخرى، حتى اصبحت تشكل مركز ثقل وقوة ، وذات تأثير واسع ، وتتمتع بمكانة جماهيرية كبيرة ، لا يستطيع اى طرف تجاهلها ، ولهذا فازت بثلاثة مرشحين في الانتخابات البلدية التي جرت عام ١٩٧٦ ، واصبحت الحركة النقابية لعدة اعتبارات موضوعية وذاتية ، قبلة انظار الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج ، خاصة وانها المؤسسة الاولى في المناطق المحتلة التي اعلنت عن رأيها

Digitized by Birzeit University Library

بجراة ووضوح بخصوص الاعتراف بالمنظمة ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني .فشقت الطريق امام المؤسسات الاخـــرى .

لم يرض النظام الاردني عن هذا القرار رغم موافقته الشكلية في مؤتمر الجزائر والرباط. اذ عبر عن ذلك عندما قام زلمه في الضفة الغربية وتحديداً في نابلس بالاتصال بالحركة النقابية ليبلغوهم بأن النظام الاردني سيتبرع بمبلغ مليون دينار اردني للاتحاد لبناء مساكن شعبية للعمال .رحبت الحركة النقابية بالفكرة التي قبل انها تحتاج فقط الى جلسة او جلستين للتباحث حول كيفية استلامها الا أن هؤلاء في الجلسة الختامية اشترطوا اعادة النظر في قرار تفويض م.ت.ف. المتخذ، كان ذلك ، عام ١٩٧٤.

وبعد فشلهم في جر الاتحاد لمواقفهم السياسية "بالرشوة" لجأوا لاسلوب اخر تمثل في دفع زلمهم في منطقة الخليل لاحياء بعض النقابات المجمدة منذ العام ١٩٦٧ على اثر النشاط الذى قامت به نقابة بيت لحم عام ١٩٧٧، اذ اثمرت جهودها باحياء نقابتي النجارة العامة والخياطـــة .

لقد نجح زلم النظام في احياء بعض النقابات في الخليل واخذوا يمارسون الضغط بوضع شروط لانضمامهم للاتحاد تلخصت بعودة العلاقة مع الاردن بهدف الحصول على مساعدات مالية، هذه العلاقة التي قطعت اثر احداث ايلول الاسود .وعندما رفض طلبهم اضطروا للقبول بالانضمام بشروط الاتحاد .

وفي نفس العام ١٩٧٧ فاز في اللجنة التنفيذية الاشخاص الذين صنعوا قرار ١٩٧٣ ورسخوا العمل النقابي ومؤسساته، الذين رفضوا املاءات الاردن، الرامية الى جعل الحركة النقابية مطية لهم، او الهادفة الى شقه، اذ أن هذه النتيجة لم تعجبهم فهددوا بشق الاتحاد .وساعدهم في ذلك احد مفتشي العمل ليهدد هو الاخر بتمزيق الاتحاد بطرقه القانونيه مدعيا ان ضابط العمل يعمل في هذا الاطار، على اعتبار ان الاتحاد يخص منطقة نابلس فقط، كل ذلك بهدف الضغط على اللجنة التنفيذية وانصارها لاقتسام مقاعد اللجنة وفوزهم بنصيب الاسد، وعندما فشل هذا السلاح قاموا بشق الاتحاد بشكل غير مباشر عندما اقدموا على تشكيل ما يسمى "بلجنة التخطيط والعمل النقابي" اذ ان هذه اللجنة كانت تسير اعمالهم ولا تقبل بقرارات اللجنة التنفيذية، وقاموا بانشاء صندوق التأمين الصحي، الذى لم تكن شروطه متوفرة في دولة ذات سيادة، ولديها امكانيات مالية هائلة، دليل السيل العارم للأمـــوال المتدفقة من الضفة الشرقية، وبهذه الطريقة اخذوا باستقطاب العمال ومحاربة اللجنة التنفيذية .

بعد ذلك جاء دور بعض نقابات الخليل ذات الهوية الاردنية لتهدد بشق الاتحاد وباقامة اتحاد مواز في الجنوب مركزه مدينة الخليل. وباشراف الامير حسن هـــذه المرة أخذ الاردن يعمل على تزييف الحياة النقابية في خوض الانتخابات ورشوة العمال. وتهديدهم طالما ان الرشوة والتهديد لم يجديـــا نفعا مع الهيئات الادارية .اذ شهدت قاعة الاتحاد العام اوائل ١٩٧٨ مشاهد غريبة في انتخابات نقابة عمال المؤسسات العامة في نابلس عندما اقدم زلم النظام الاردني على توزيع علب سمنة وخمسة دنانير اردني على

Digitized by Birzeit University Library

كل من ينتخب كتلتهم للهيئة الادارية وهددوا عمال أحد المصانع الذين يشكلون نسبة لا يستهان بها من الهيئة العامة للنقابة بالفصل من العمل اذا سقطت كتلتهم في الانتخابات. نجحت كتلتهم ،فحاولوا تكرار نفس الاسلوب في نقابات اخرى فلم يفلحوا في ذلك .

وفي نفس العام ١٩٧٨ جرت مشاورات غير مسجلة في اللجنة التنفيذية لجمع تبرعات من الجاليات الفلسطينية في الدول العربية فاشترط النظام الاردني اسماء معينة في الوفد والا لن يساعد هذا الوفد اذا كان من فلان وعلان .

وعلى ضوء ما تقدم رصد النظام الاردني مبلغا كبيرا من المال في البنك العربي بعمان باسم احد اطباء نابلس ليقوم بدورة بتغيير موازين الاصطفاف لصالح النظام الاردني ،ولم ينجح المرصود بغير اقامة متجر لاحد المزيفين .ولكن الحركة النقابية بقيت طودا شامخا واتسع دورها وتعمق .

ان التمييز في المساعدات التي قدمها النظام الاردني عن طريق اللجنة المشتركة كانت تهدف الى صرف القائمين على النقابات العمالية عن النهج الثورى المتمسك بحق شعبنا .وتغريب هؤلاء عن واقعهم الطبقي الوطني الذى يعيشونه ،وبالفعل نجحت في خلق عناصر تدين بالولاء المطلق لقرشها اذ في المؤتمر النقابي السياسي الاول الذى عقد بمبادرة نقابة عمال البناء والمؤسسات العامة في لواء رام الله والبيرة في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٧٨ انسحب المنعمون "بالقرش الاردني" من لجنة صياغة بيان المؤتمر ،معلنين للمؤتمرين بأنهم لا يستطيعون فعل اى شيء طالما ان معظم اعضاء اللجنة من الشيوعيين ، واحتج ممثلو النهج الاردني في المؤتمر على بندين اساسيين في البيان الختامي. الاول يدين رابطة قرى الخليل. والثاني يدين الدور الاردني المشبوه في المناطق المحتلة .

وفي الاضراب العمالي الشهير لعمال فندق السان جورج في العام ١٩٧٩ عمل النظام على قمع الاضراب وخنقه عندما تبرع بمبلغ "٥٠ الف دينار اردني" مقابل عدم تلبية مطالب العمال ولكن العمال فازوا بنسبة عالية من مطالبهم .

وكذلك في الاضراب الشهير لعمال وموظفي شركة كهرباء محافظة القدس حاول النظام الاردني وغيره اعادة اصطفاف القوى في المناطق المحتلة لصالح الحلول الاستسلامية المطروحة ولكن صلابة قناعة العمال والموظفين بمطالبهم والتضامن الشعبي الواسع معهم ، ودور الاتحاد العام لنقابات العمال افشل مخططاتهم المشبوهة ،ليعيدوا تنفيذها في عودة الحياة البرلمانية، واخر محاولة له بعد التمييز في توزيع المساعدات واقامة التأمين الصحي الشامل لنقابة دون اخرى والتسلسل في فرض الشروط للايفاء بالمساعدة من تقرير عن النشاطات الى الميزانية الى مالية الاموال المنقولة وغير المنقولة للنقابة الى دائرة الاوقاف في المنطقة ومطالبته بتوقيع الوثائق من معتمدة في القدس، يلجأ الان لتكريس الانشقاق في الحركة النقابية ومن اجل منع اية محاولة لاعادة التلاحم في الحركة النقابية الى اعتماد توقيع احد النقابيين المنشقين على الحركة النقابية على وثائق اية نقابة تنوى احضار مخصصاتها . فماذ يعني ذلـك ؟؟

Digitized by Birzeit University Library

البكائيات في أدبنا الشعبي

"شواهد من قرى جنوبي القدس"

مع التراث الشعبي

بقلم : جميل السلحوت

في هذا البحث سأتطرق الى أحد جوانب تراثنا الشعبي القولية وهو "البكائيات" والتي تعتبر مرادفة للمراثي في الفصحى .وهي بكاء الميت وتعديد محاسنه وصفاته في قالب من الحزن والتفجع والحسرة .

وهذا الجانب في موروثنا الشعبي غزير خصب ولعل ذلك يعود الى أن شعبنا فقد مئات الالوف من أبنائه في ساحات الوغى ،كما أن الهجمة الامبريالية التي استهدفت وطننا في القرن العشرين ،وفرضت على شعبنا اللجوء والتشتت ،كما فرضت عليه في نفس الوقت حالة حرب لا خيار له فيها ولن تنتهي الا بحصول شعبنا على حقوقه الوطنية المتمثلة بتقرير مصيره على ترابه الوطني وباقامة دولته المستقلة كل هذا جعل شعبنا يفقد الكثيرين من ابنائه وبشكل مستمر على مذبح الحرية .

واذا كانت البكائيات عندنا غزيرة للاسباب التي ذكرنا فانها ايضا متنوعة حسب الميت ،وسأقدم في هذه الدراسة البكائيات مقسمة الى أقسام حسب أهميتها بحيث تكون كالاتـــي :ـ

١) بكائيات الشهيد
٢) بكائيات الوجهاء
٣) بكائيات الشباب وصغار السن
٤) بكائيات النساء

هذا ونظرا لاتساع هذا الباب في ادبنا الشعبي سأقصر شواهدي على مناطق قرى جنوبي القدس فقط وخاصة كما استطعت جمعها من عرب السواحرة مع تأكيدي ودعوتي الى ضرورة جمع كافة جوانب تراثنا الشعبي في كافة أرجاء وطننا كي لا يتهدده الضياع خاصة في ظل التشتت الذى نحيـاه .

بكائيات الشهيد

للشهيد مكانة خاصة عند شعبنا ،لانه يقدم روحه في سبيل وطنه ودفاعا عن حقوق شعبه ، لذا ففقدانه ليس خسارة لاهله وأحبائه فقط،

Digitized by Birzeit University Library

بل خسارة لكل أبناء الشعب ،لذا نجد الشهداء خالدين في ذاكرة أبناء شعبنا ، وشعبنا عندما يبكي شهداءه لا يبكيهم كرها للموت وانما حبا للحياة وسخطا على الطغاة. ولعل البكائيات التي رددتها النساء يوم وفاة الزعيم الوطني البارز جمال عبد الناصر الذي توفي في ٢٩ / ٩ / ١٩٧٠ تمثل خير ما قيل في الشهداء فحينما أعلن أنور السادات نعي رحيل جمال عبد الناصر سجلت النساء هذه البكائية :

زعق السادات قاله الشعب مالك
دعا لبو خالد في الفراق قالّه عقبى لك
وزعق السادات قالّه الشعب غرّب
دعا لبو خالد في الفراق قالّه جرب
زعق السادات وشلت يمينه
وارعب البلا يرعب حريمه

لقد كانت مصر عبد الناصر ركيزة كبرى لحركات التحرر في العالم العربي ولذلك فالبكائية تمثل مصر بقائدها يلجأ اليه من يطلب الدعم والعون :

جمال يا حوض الورد والندى مفتح عليه
والعطشان ييجي يشرب والتعبان يقبل عليه

وعبد الناصر مات في خضم القضية الفلسطينية ،وفلسطين لا تصدق أن عبد الناصر مات ،وان حدث ذلك فانه في قلب كل فلسطيني شريف :-

لا تضيعوا الخبر ولا تخلفوا النية
عسى انه يكون معزوم عند الافندية
ولا تصدقوا الخبر ولا تقولوا عنه مات
عسى انه يكون معزوم عند الزعامات
وهاتوا لي ختومة ولا تقولوا عنه مات
صيتك يا ابو خالد على فلسطين فات

والناس لا تصدق ان عبد الناصر مات ،
ولا تريد نشر الخبر عسى أن يكون كذبا :-
لا تعلم يا ولد علمك ردى
لا تعلم وتقول ابو خالد عدى
لا تعلم يا ولد علمك شمات
لا تعلم وتقول ابو خالد مات.

لقد ندبت نساؤنا حظ الشعوب العربية العاثر اثر وفاة عبد الناصر وأبدين تخوفهن من المد الرجعي :-

حلمت اني ببحر النيل غرقان
واعصر في ذيال الثوب غرقان
علامك يا بخت يا مشوم غرقان
وتلجلج في البحور المظلمات

لقد كان لعبد الناصر رصيده العربي والعالمي فوفاته كانت خسارة كبرى لحركات التحرر العربية والعالمية في حين رأت الرجعيات والاستعمار مكسبا لها .

عبد الناصر لما مات
وارتجت سبع بلادات
وانهدين العلالي
والقصور المبنيات

وتبدى البكائية التالية خوفها من ضياع القضية الفلسطينية بعد وفاة عبد الناصر.

يا قلعة الصوان هالت كلها
يا ناصر وا طلع للمشاكل حلها
ويا قلعة العروبة هالت كلها
ويا ناصر واطلع للقضية وحلها

كما ان انساننا العربي يحذر الرجعيات والاستعمار من مغبة اغتنام الفرصة بعد وفاة عبد الناصر ويعول على قيادة منظمة التحرير أن تقود المسيرة:

لا تتشفوا يا اعدانا راح سور وظل
تسلم لنا المنظمة نمشي فيها عرضين وطول

Digitized by Birzeit University Library

ولا تتشفوا يا اعدانا راح سور وظل اثنين
تسلم لنا المنظمة نمشي فيها على الصفين

وأيضا لم يؤمن انساننا الشعبي بأن عبد الناصر مات موتا طبيعيا بل ذهب اما ضحية للغدر أوضحية للقضايا التي أثقلت كاهله.

ولا يا وريقة طارت على سوريا حارت
حذها يا ولد وقربيها تلقى فيها خبر ومصيبة
فيها يا جمال راح غصيبة

وهذه تنويحة تخاطب فيها هدى ،ابنة الزعيم الراحل ،وتوصيها بالحداد الكبير على والدها .

قولوا لهدى لا تقولوا لغيرها
والكحل الاسمر لا تحطه بعينها
وقولوا لهدى ولا تقولوا لحدى
والثوب الاحمر لاتحطهفي الندى

xxxxx

يا هدى حرمي التطريز على ذيالك
يا سبك حرم الجينة ع ديارك
ويا هدى حرمي التطريز على القبّة
وبيك حرم الجينة على الهدّه "بمعنى المعركة"

ان يوم نعي جمال عبد الناصر يوم شديد الوطأة المؤلمة على النفوس مثله مثل بقية الشهداء :-

يوم أبو خالد يوم حر وقاسي
والزلم كفّت والوجوه عباسي
ويوم أبو خالد يوم شوب و شرقية
يومه تطرح الحبلى لن كانت بكرية
يوم أبو خالد يوم هدّوا مدينة
يحرم على البنّا الحجر والطينة
يوم ابو خالد يوم هدّوا الحاره
يحرم على الصايغ يصيغ سواره

وسيرة الشهداء تبقى حية في بلادهم وخارجها :-

مات في بلاده يا صيته في الخليل
ويا شراشب مهرته فظّة وحرير
ومات في بلاده يا صيته في حلب
ويا شراشب مهرته فضّة وذهب

xxxx

وهذه بكائية في الشهيد الذي يقتل غدرا

ضربتوه من ورا يا وياشي يا نذال
وما اعطيتوه الخبر لا يا رديّ الخال

xxxxxx

وآخ وابياه يوم انه رماه
لا خيه عنده ولا سلاحه معاه
وآخ وابياه ويا ظهري انقطع
يا سند خيّه ويا الولد وقع

xxxxx

وآخ وابياه من جور الليالي
وآخ وابياه على سبع غدالي

xxxxx

ولدم الشهيد أهمية كبرى حيث يجب الاحتفاظ به كي يذكر دائما بأخذ الثأر :-

ودمك يا فلان في السهل بقني
ولو اني حاضرة لقيت له ردني

xxxxx

ودمك يا فلان في السهل بسيل
ولو اني حاضرة لقيت له المنديل

وتتمنى البكائية التالية ان يقتل القاتل وأن تحزن قريباته عليه كما حزنت قريبات الشهيد :

يا ريت قتاله قتيل
دمه على صدره بسيل
يا ريت قتال فلان مقتول
وتصيح حريمه صيحة اليوم
ويسقي حريمه ما شربنا

xxxx

Digitized by Birzeit University Library

وعندما يقتل انسان ما فان الباكيات يتذكرن قتيلا قبله ويتمنين لو أنه كان حيا لحمى الاخر ويقلن على لسانه :-

لا تنبهوا الولد وادوبه غافي
صرمايته حمرا ودم رعافي
بيك يا غبرا لواني معتدل
وان كان هالنذل عليكم ما قدر
وبيك يا البنت لو اني صاحي
واطلع من التربه وا سن سلاحي
وكتاب الورق يا ريتني اريته
قددت الورق والحبر كبيته
كتاب الورق يا ريتني شفته
قددت الورق والحبر أنا شربته

كما أن النساء في البكائيات يتمنين لو أنهن شاركن في المعركة وقمن بحماية القتلى :

اتمنيت بيتك في البطين
واحميك من ضرب السكاكين
واحميك يا حامي ظعنا .

xxxxxx

اتمنيت بيتي في المراح
واحميك من ضرب السلاح
واحميك يا حامي ظعنا

xxxxxx

كما يطالبن ابنة القتيل ان تصيح في الحي طالبة النجدة للاخذ بالثأر :-

يابنت صيحي وليحي وقيمي في العرب خضه
وع بيك طلع زعلان ما عاد يخش العرضه
ويابنت صيحي وليحي وقيمي في العرب غاغة
ع بيك طلع زعلان ما عاد يخش الساحة

xxxxx

وتقال هذه البكائية عندما يقتل شخص ما في مكان بعيد عن أهله :-

ولا يا وربقتن طارت
وعلى العربان حامت
يا ولد قوم قربها
شوف أسامينا فيها
فيها خبر ومصيبة
يا الولد راح غصبة

xxxxxx

يا عاجنة ردى عجينك لورا
ذبحه على الولد عليها مشورة
يا عاجنة ردى عجينك غادى
ذبحه على الولد عليها منادى

xxxxx

كما ان انساننا الشعبي يطالب الارض بان لاتقبل رفاتهم لانهم لايستحقون الموت بل يستحقون الحياة :

يا مقبرة لا تقبريهم
هاتي حجار وراجميهم
عسى يطلعوا منك حراوي

xxxxx

كما تتمنى بعض البكائيات لو أن القتيل في السماء وأن الصعود الى السماء أسهل من العبور الى باطن الارض :

تمنيت قبره في السما
وأطلع عليه بسلما
وأناوله بازودته
من خوف كونات الضحى

xxxxxx

وانساننا الشعبي يؤمن بالقضاء والقدر

تحدر يا دمع عيني تحدّر
وهذى حكام ربي والمقدر

يتبع

Digitized by Birzeit University Library

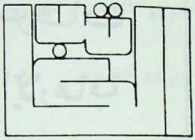

صورة من صور الاشتراكية في الذاكرة الشعبية

بقلم / عبد العزيز اعرار ـ جامعة بيرزيت

ووجدت نفسي أكثر من مرة أمام مؤلفات فلاسفة وعباقرة في هذا العالم ممن كتبوا كتاباتهم حول الاشتراكية . وتاريخ صراع الطبقات، وكومونة باريس وثورة محمد بن على صاحب الزنج في البصرة، وحركة حمدان بن قرمط الثورية وهاجني الاشتياق لاغرف من تراثنا الشعبي الفلسطيني بعضا من اقاصيصه وحكاياته الشعبية وهي حكاية صوفان، هذا الذى استبد بالفلاحين. وحيث كان من زلم الوالي يجمع الاموال من أجل نظام الالتزام الذى اتبعته الدولة العلية "دولة بني عثمان" وصار صوفان يأتي لقرية دير الغصون ومعه ٢٦ فارسا واذا ما حلوا وجب على أهل القرية اطعامهم، وتضايق الناس من هذا الذي يحدث، ووصل الامر بصوفان لان يعتدى على احدهم لانه رفض دفع الضريبة ولنقل بكلمة اصح انه لم يكن قادرا على دفعها، حيث كان الفلاح يعيش هذه الاوضاع الشاذة، وتصدى أهل القرية لصوفان والخيالة من تابعيه وحملوا نبابيتهم وخناجرهم واستلوها باتجاه الخيالة فولوا هاربين ودرس "ختيارية" القرية الامر فيما بينهم فقرروا ان الارض يجب ان توزع على الجميع وانه من لا يوجد لديه قطعة ارض يجبان يأخذ قطعة من أغنياء القرية وملاكيها الكبار ومن الضرورى أن لا يستبد صوفان وأن لا يعطى من ربع الارض الا قليلا وحظروا على صوفان دخول القرية هو وخيالته ومن ذلك اليوم وحتى الان استثمرت أراضي دير الغصون وزادت الاشجار المثمرة فيها وعلموا صوفان درسا بقي طيلة حياته يذكره .

Digitized by Birzeit University Library

موجة السرقات
لون جديد من الإرهاب

بقلم / يحيى شقير

تزداد المضايقات بمختلف الاشكال ضد جماهير المناطق المحتلة . فليس القمع والتخويف ،وتصاعد نشاطات المستوطنين هو المظهر الوحيد لمعاناة السكان ،بل تتفرع عن جوهر الاحتلال ،العديد من المصاعب .

فالى جانب الحملة المسعورة من رجال الضرائب على التجار في المناطق المحتلة، والتي وصلت الى تغريم احد التجار بمبلغ ٢٨ مليون شيكل بسبب بيعه كمية من الارزدون فاتورة تزايدت عمليات السطو والسرقات المسلحة ضد المحلات التجارية والمنازل في العديد من مدن الضفة الغربية وقطاع غـــزة .

ويوضح الجدول التالي مجموعة العمليات خلال اقل من اسبوعين من الشهر الماضي (آذار)

التاريخ	المنطقـة	نوع السرقة او ثمنها	مكـان الحادث
٥ / ٣ / ٨٤	القدس ضاحية البريد	سرقة فيديو	منزل احمد الشعراوى
٨ / ٣ / ٨٤	نابلس	٢٠ الف شيكل	مصنـع جاتـــو
٨ / ٣ / ٨٤	نابلس	كميات من السجاد	مشغل الجواهرى للسجـــاد
١٣ / ٣ / ٨٤	طولكرم	سرقة مصاغ	منـــزل سيـــدة
١٥ / ٣ / ٨٤	قلقيلية	ثلاث ماكنات للالعاب	مقهى الخيام
١٥ / ٣ / ٨٤	بيت لحم ـ الخضر	خمسة الاف دينار	محل ادوات صحية ، وهذه المرة الثانية خلال عامين

Digitized by Birzeit University Library

١٧ / ٣ / ٨٤ نابلس	سرقة سبع عجلات ومقهى	تقع شارع رأس العين، النصر، الجامع الكبير والمركز التجاري
١٧ / ٣ / ٨٤ القدس ـ العيزرية	سرقة سيارة بيجو	من امام منزله الكائن بالعيزرية وتعود للمواطن علاء الشويكي
١٧ / ٣ / ٨٤ القدس	محل ادوات بناء	شارع صلاح الدين ، محل ادوات بناء لصاحبه عدنان الصوص .

وأما ابرز هذه العمليات فكان الاعتداء على المواطن محمد عجرة مسالمة من مخيم الدهيشة والذى عثر على ، جثته يوم ٨٤/٣/٦ ، قرب مستشفى هداسا (عين كارم) بعد ان سرق منه مبلغ ستة الاف دينار اردني .

وتتميز عمليات السطو والسرقات الكبرى باستخدام السلاح، من المسدسات وحتى البنادق الاوتوماتيكية، (التي لا يمكن ان تتوفر بأيدى المواطنين العرب بالطبع) ، واحيانا تتم باستخدام الزى العسكرى للجيش الاسرائيلي ، كما ذكرت صحيفة الفجر في عددها الصادر بتاريخ ٨٤/٢/٢١ حيث ادعى لصوص يرتدون الزى العسكرى بانهم يريدون تفتيش منزل المواطن يحي ابراهيم مطور من القبيبة ، وبعد ذلك سرقوا منه مبلغ الفي دينار اردني .

وقبل حوالي العام كشفت الشرطة الاسرائيلية تورط قائد شرطة رام الله، مع لصوص قاموا بمجموعة سرقات لمحلات الصرافة في رام الله، حيث كان يتولى حمايتهم والتستر على عملياتهم .

ان هذه الظاهرة التي تهدد المواطنين الآمنين من نشاط عصابات الاجرام المنظم باسرائيل وبعض اعوانهم من المناطق المحتلة الذين افسدتهم "الحضارة الاحتلالية" يمكن ان تتصاعد بتأثير الازمة الاقتصادية في اسرائيل وانتشار الارهاب المنظم بشكل واسع ، حيث ما زالت الشرطة الاسرائيلية عاجزة عن تحطيم شبكات الاجرام الكبيرة في اسرائيل والتي تمكنت في فترات معينة من التغلغل في بعض اوساط الشرطة .

ومن الجدير بالذكر ان بعض المجرمين واصحاب السوابق الاسرائيليين ينشطون في اوساط المنظمات الارهابية المتطرفة مثل غوش ايمونيم "وحركة كاخ" وكان تيدى كوليك قد اشار الى ان ٧٠٪ من طلاب المدرسة الدينية اليهودية في القدس (برخات ابراهيام) من ذوى السوابق ، فضلا عن ان الكشف عن جماعة (بن يهود) قد اشار الى ان احد اعضاء المنظمة كان ذو سوابق امنية قبل مغادرته الى الولايات المتحدة وانضمامه الى حركة متطرفة ثم عودته لممارسات الارهاب ضد العرب .

كما ان المجرمين الذين تكون ضحاياهم من غير اليهود غالبا لا يدانون امام القضاء الاسرائيلي بحجة نقص قواهم العقلية "كما حدث مع "ابطال" الاعتداءات على المسجد الاقصى مثل متابكل روهان وألن غوتمان وكما حدث مع قاتل راهبتي دير عين كارم .

Digitized by Birzeit University Library

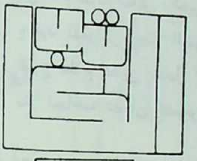

مع الكتب

"نار البراءة" صك إدانة بالدم والنار وسجل سقوط الطبقات الرجعية

عرض وتحليل ونقد / سليمان سلمان

كما تنكأ جرحا في القلب بيديك ثم تريه لاخيك ،كذلك قام القاص "محمود شاهين" في مجموعته القصصية"نار البراءة" ليفتح كتاب الوطن على مصراعيه.الوطن الذى بدأ تاريخه الحديث بالبطولة فانصبت سواقي الدماء من كل ناحية لتروى كل شيء فيه.اغتسلت الصخور فشمخت،والسهول زاد احمرارها ،والعيون جمر غاضب يتنزّى دمعا أحمر يطفح والمقل ترقب غروب شمس الوطن . فتتشح الصور بالكآبة والشحوب.والغروب لم يكن أبدا صامتا بل تتدافع به المناكب ويطلاء الضجيج كل القلاع المشرئبة بصخورها الى وديان الـــدم .

ان مجموعـه "نار البراءة" القصصية رواية متكاملة نوعا ما تتشابك أحداثها بألف رباط رغم أن التوزيع يضفي عليها طابع القص القصيرة المتوسطة الطول أو الطويلة أحيانا.. الا أن العرض المستفيض فيها للحياة الفلسطينية بطبيعتها العامة البسيطة الفلاحية غالبا والمرتبطة تاريخيا بالفترة الممتدة من أيام الاستعمار التركي ،أى منذ بداية السعي الصهيوني لامتلاك أرض فلسطين حتى سقوط فلسطين كلها بعد عدوان حزيران وسقوط الضفة الغربية بدون قتال.وفي التسلسل الذى يتبعه الكاتب في التوزيع ــ رغم الخطأ في التوزيع المطبعي لقصص الكتاب ــ يمكننا تتبّع القصص كما يلي : اسبوع الالام ــ ثلاثية أم الغيث ــ نار البراءة ــ النهر المقدس.وانني أرى ما يجمع القصص الاربع أكثر مما يفرّقها.وبما أن سير الاحداث فيها متتابع من حيث التسلسل الزمني فانني أكاد أرى في جدلية هذه الاحداث المتتابعة ما يوصل الى تلك النتائج التي أسفر عنها سقوط فلسطين كل فلسطيـن .

Digitized by Birzeit University Library

ويمكن اعتبار (اسبوع الالام) في منحاها التاريخي سجلا للحالة الاجتماعية والطبقية والسياسية والدينية لفلسطين أيام الاحتلال التركي والاشارة فيها للعنصر اليهودي كان ضئيلا كحجم اليهود ثم يكبر حتى يصبح عند سقوط الضفة الغربية في قبضة (النهر المقدس) هم المواجهة الرئيسية وكل شيء في ضرب أبناء الوطن .

فأيتام مسيحيون في دير مدقع يعيشون من التسول ،حتى الكاهن يتسول لمصلحة الاطفال وهذه صورة للجوع الذى وصل حتى الى أرباب الدين ،فجعل أطفال الدير يتسولـــــون. وكذلك نرى مقعدا يهوديا فقيرا وابنه الصغير يتسولان .ثم مسلما أعمى وابنته الصغيرة يتسولان أيضا ،والى جانب هؤلاء كثيرا من الفقراء .وأسبوع الالام هذا أيام احتفاليه في الاسبوع الاخير من الصوم عند المسيحيين ،وفيه اعادة وتذكر لحياة يسوع المسيح في الاسبوع الاخير لحياته وعذابه .وهي على ما يبدو تتزامن مع اسبوع الفصح عند اليهود .ويحتفل مسلمو فلسطين بها في مقام النبي موسى قريبا من القدس .وهذا يظهر لنا اتحاد فقراء الطوائف الثلاث هناك .ولكن الاكثر اتحادا هو موقف المتسولين .والنتيجة التي انتهى اليها الفرقاء الثلاثة في حياة الاولاد المشتركة وموت الكبار .

ان تصوير الاحتفالات يقود الى : وحدة الوالي وجيشه والاعيان والمشايخ والوجهاء من جهة ،والفقراء والعامة من جهة ثانية .والنتيجة دائما هي البطش بالفقراء وتحميلهم مسؤولية الفوضى والتنكيد في حياة السلطة والاغنياء ،لذلك صور محمود شاهين عذاباتهم في وجهين ظلم السلطة وظلم العذاب في سبيل لقمة العيش حيث "يهدد مندوب السلطان من غضب محظيته وبعدها بمعاقبة الذين تسببوا بازعاجها "وكيف يرى السادة الولاة فقراء الوطن .انها صورة واضحة حين يقول : "اطردوا هؤلاء القرويين من هنا ،أما المتسولون فلا أريد أن أراهم أو أسمع بوجودهم في أرض النبي .اطردوهم لمسافة خمسة أميال من هنا .... تبّا لاصواتهم ما العنها .ونسوا المقدسات و انتهكوا الحرمات ." ولا عجب في ذلك على مبدأ "ضربني وبكى وسبقني واشتكى "هو القائل والقاضي والشاكى أيضا ،وهو الحاكم الذى يمثل الطبقة الاقطاعية زمن الترك .وما دام الفقراء هم الذين تدوسهم خيول السلطان فانهم لا بدّ متحدون لا يفرقهم اختلاف في الدين بل يجمعهم الجوع والقهر .فلا خلاف بين الفقراء حين لا يملكون ما يختلفون عليه .وفي الحوارية الرائعة (عائشة العلان) وأبيها الضرير تتوضح حقيقة حياتيه يتمنى الاغنياء أن تصحّ في الواقع .فهي تسأل أباها الاعمى :

– هل يجوع القمر يا أبي ؟ = كلا يا بنيتي ، القمر لا يجوع .
– والنجـــوم ؟ = والنجـوم يا حبيبتـي .
– ولماذا لا نحيا دون طعام كالقمر والنجـوم يا أبي ؟
= نحن لا نستطيع أن نحيا بدون اكل يا حبيبتي .
– ولهذا أنا جائعة

Digitized by Birzeit University Library

ويوعدان بالشبع في موسم النبي موسى. ويموت الاب وتلتحق الطفله بدير الاب بطرس الشحاذ. ويكثر الموت في هذه القصة وتغدو فجيعة العمر الانساني السائر على درب النبي موسى، وهي اشارة رائعة جعلت هذا الموكب في واقعية اشتراكية بارزة دون رتوش من خلال العرض لمواكب تذكر في أجزاء منها بمكتابات الكاتب الاشتراكي مكسيم غوركي وخصوصا في كتابه (أين اللـه ؟)..

لقد مات في هذه القصة من شخصياتها : الاعمى والاعرج ، أما الطفلة لوسيا فقد ماتت في الوقت الذى يفيض فيه النور في كنيسة القيامة. وأعجب كيف يموت الاطفال في هذه الدقائق وكأن المسيح لم يقل "دعوا الاطفال يأتون اليّ" أو انه قصد أن يأخذهم معه الى السماء. وفي هذه القصة تتجلى رائعة أفكار القاص حيث لا تقتصر الروعة على التصوير كما حدث في ملاقاة الضبع والمعركة معه في سبيل الطفلة. ان عائشة تبرز شخصية حية واعية متحركة قادرة على التمييز الدقيق. وفي التساؤل الطفلي البسيط والساذج تتجلى قدرة محمود شاهين على استجلاء موقف كامل ابتداء من عيني الطفلة الى سوء الها الطفلي الرائع حين حاول الاب بطرس اقناعها أن الله قد اصطحب والدها الى السماء. وحينما رأت فردة حذاء أبيها قالـت :

" ـ وهل اصطحب الرب والدى وهو بفردة حذاء واحدة يا أبتي ؟! ثم أجهشت بالبكاء"

وبالامكان القول ان شخصية الاب بطرس شخصية أب كبير بعيد عن ذاته تابع للوصايا الانسانية كما يجب وهو الفقير المسيحي الذى سمع نصيحة المسيح ووعى أقواله فكان خادم الكل. وضع جسده وروحه في خدمة ما اعتقد ولكنه ينتهي في القصة داخل الدير ولا ينتقل الى قصة أخرى في المجموعة بينما نرى عائشة الصغيرة تكبر في قصة أخرى وتستمر مجدّة عاملة قوية شجاعة تأخذ دورا وطنيا سنراه بارزا في (ثلاثية أم الغيث) احدى قصص هذه المجموعة. ولكننا نستطيع القول أن قصة (اسبوع الالام) لم تكتف بالتأريخ للحياة الفلسطينية في ذلك الزمن، بل نقلت التاريخ الى الحياة حيث جعلت فلسطين 'اسبوع الالام' لا ينتهي تمتد السنوات التي تليه بالفجيعة، فتنتقل فلسطين من سيطرة الاتراك الى سيطرة استعمارية جديدة ينفذها الانكليز لمصلحة الصهيونية العالمية. وتدور في هذه الفترة وخصوصا في أعوام الثلاثينات من هذا القرن وحتى آخر أيام ثورة القسام الشهيد العظيم. وهل نعتبره مجازا الاب بطرس في قصة اسبوع الالام. ربما ليس واضحا ذلك. لكن أبوته التاريخية لاعظم الثورات الفلسطينية ضد الانكليز تطور غير واع كما يبدو لي للحضانه الجديدة التي انتقلت من الدير الى الوطن من مكان العبادة الى الشارع ومن الركوع للسياط الى الرد البدائي والمواجهة الصبورة غير المنتصرة. فالشعب أخذ يتعلم طرق كفاح أخرى ويفتح فمه بالرفض ويمدّ يده بما يستطيـع مـن الـرد .

Digitized by Birzeit University Library

ففي (ثلاثية أم الغيث) ترتقي القصة في وضوحها ونضوجها السياسي الى فضح رائع للطبقة الرجعية العميلة المتمسكة بمكاسب هزيلة تحت رحمة المحتل الاجنبي وضد مصلحة أبناء الوطن. لقد استطاع شاهين أن يحط كنسر على قمة التحليل الاجتماعي ويبرز سياسيا شجاعا يضع النقاط على الحروف ولا أقول سوى ذلك. فقد أوجد في (ثلاثية أم الغيث) وما بعدها في شخصية "علي أبو الجدايل" وتصويره له أوجد شخصية العميل الحقير للعدو الذى يحوى بطانة حقيرة من طبقته ومثله لا زال موجودا في كل البلاد المستعمرة. انه صورة عن بعض المتنفذين في كثير من قرى العالم المتخلف الذين يمدون وجوههم لنعال كل سلطة قادمة.

كان "أبو الجدايل" أمينا كأحسن الكلاب في سبيل كسب هيّن. والثلاثية تتضمن القسم الاول تحت عنوان "أم الغيث" وهي اشارة الى صلاة الاستسقاء التي يطوف بها أبناء الفلاحين عندما ينعدم المطر. وكأني بالكاتب أراد الاشارة في ذلك الى الحالة الراكدة والمفجعة من الجوع والظمأ التي وصل اليها الناس. وتبرز هنا بعض الشخصيات وتتحدد معالم العملاء والمحتكرين بين جوع الفقراء وتكديس الثروة بالنهب والغش والخداع. فأم الغيث بكائية زمن القهر حيث الراعي يبكي مواشيه والام تبكي أطفالها والاطفال يبكون أهلهم. فعندما ينعدم العطاء يستجدى الفقراء ربّهم والاغنياء، ويصبح دور المستعمرين التحكم بمنابع المياه. أما شيخ القرية فيبدأ البيع لحسابه طحينا وماء. لقد ترك الاستعمار لنا وراثه، شيخا مثل (أبو الجدايل). وصور لنا الكاتب طريقة الطواف للاستسقاء بحقيقتها التي لا زالت جارية في البلاد العربية. حتى انهم في حوران جنوبي سورية يرددون الاغنيات نفسها التي يرددها الكاتب في قصتـــه.

وأروع تصوير لهذه المواقف هي الاستسقاء بتعرية الصدر والنهود، والتعرية عندنا نحن العرب تغيظ الرب، لولا أنها هنا في موقف طلب الرحمة منـه.

وفي هذا الهم والضجيج في طلب الماء تطلع غيمات من جهة الغرب ولكنها رافعة أذيالها عن الارض ولا تمطر. بينما ترتفع كل يوم أسعار صفيحة الماء والدواب تموت عطشا ويحار الناس كيف يروون ظمأهم. أما المختار الشيخ "علي أبو الجدايل" فقد أرسل له الانكليز صهاريج الماء. ووزعوا حراساتهم على آبار المنطقة.

ويطالعنا الكاتب في القسم الثاني من الثلاثية (الموت تحت الحوافر) بصورة انتشار الموت وبداية الانتفاضة العفوية للرد على العميل (أبو الجدايل) ومن ورائه الانكليز. ويرتفع الندب والبكاء منذ بداية القصة فهذه (عليا) زوجة محمد فظة المطلقة وحولها اطفالها تبكي وتقول بلهجتها الفلسطينية نادبـــة :

طير زعـق بالفراق — ياريت انـا ريتـه
بايدى كسرت القلـم — والحـبر كبيتـه

"وخديجة البسيط" تندب طفليها الصغيرين اللذين ماتا جوعا فتقول باكية :

Digitized by Birzeit University Library

شقي يا حديجة ثوبك المنقوع واطفالك الاثنين ماتوا من الجوع

والشقاء دار على الجميع رجالا ونساء .فالكلاب المسعورة تأكل القطيع لقد ماتت البقرات والنعاج والبغال ،أما المستعمر فيكيل بكرم مكشوف للشيخ علي الذى حدده كعميل لا يخالف. "فللشيخ علي مكانه كبيرة لدى الانكليز فهو العين الساهرة على كل ما يمكنه ان يشكل أى خطر عليهم." وكانت بداية الرد من قبل الناس الاكثر فقرا ـ الراعي عودة ـ والاكثر وعيا ـ الشاب الملثم ـ الذى توضح في نهاية القصة انه ابن محمد فظة ثورى منظم في الحزب الشيوعي وكان مع أبيه الذى صحا بعد محاولة انتحاره .ويتتابع اضرابي احتجاجي يتجمع الرجال مسلحين بالرفوش والعصي والمناجل والاوتاد وتدعمهم النساء بالاسلحة ذاتها .وعلى زغاريد (ذوابا) و(عائشة العلان) يقتحمون بيت الشيخ (علي أبو الجدايل) الذى يهرب مخاطبا أعوانه "دافعوا عن المي والمخازن والبيت حتى يأتي الانكليز" .ومن ثم يهرب الاعوان بعد معركة تشارك بها النساء فيشفين حقوهن.وحتى حين وصول الانكليز فقد رفض الجميع التراجع وقد قتل البطلان محمد فظة والشاب الملثم الذى لم يستطع اقناع الرجال بالاختفاء .وقد أوضح لهم هدف النضال بوعيه ورأي حزبه بقوله : "ناضلوا يا اخواني حتى نتخلص من الانكليز ومن الشيخ علي ومن الصهاينة ونعيش بخير وحب وسلام" .

وتبرز في القصة من خلال موقف محمد فظة والشاب الملثم صورتا التضحية بالذات والتضامن التام مع الاهالي والمواجهة غير المتكافئة ونتائجها التي كانت الاسرلمن ظل حيا، واعادة دور العميل المرائي القاتل في وجه وأفعال وأقوال علي أبو الجدايل .

وهنا ننتقل الى الجزء الثالث من ثلاثية أم الغيث وهي تحت عنوان (الربـق). والربق حبل يصنع على شكل دائرة تضيق حول عنق الشاه واستعمل في القصة ضد الاهالي. لقد تجلت في هذا القسم صورة معاملة المستعمرين للشعب الاعزل .وهنا يأخذ النضال دورا أصعب يبتدئ من داخل الربق .فالاسر هنا يفتح صورة المعتقل وهي طريقة جديدة لمحاربة الاهالي .ان النضال هنا يذكرني بنضال السوفييتين في معسكرات الافناء النازية وتواصلهم من خلال طرائق نضالية تتطلبها الحاجة والضرورة .وفي هذه القصة يظهر أثر الشهيد المناضل الشيخ القسام وقد أطل بتجاوز مفاجيء لم تكن المقدمات الواردة توحي بثورته في القصة .ولكن الكاتب يعتقد كما ارى أن ذلك قائم خلال المرحلة التي يؤرخ لها .لذلك بدأ بعد هذا بالتعريف بالقسام حين يموت رجل من جماعته وكذلك بالتعريف بالشيوعيين حين قتل الشاب الملثم الذى هو علي بن محمد فظة .وصورة مابعد ذلك تذكرني بكتاب (خلف الاسلاك الشائكة) وهو واحد من أهم الكتب المناضلة التي صورت حالة معسكرات الاسرى في الحرب النازية .والتساؤل الان .لماذا نزل المطر ؟ .الان العذاب وصل حدا قاتلا أم لان النضال بدأ يثمر .أم لان السماء لم تستطع الا البكاء على هؤلاء الرجال الذين لا يبكون ..؟

Digitized by Birzeit University Library

لقد نزل المطر بعد العذاب ولكنه أصبح الان جزءا من العذاب حيث أخذ البرد ينفذ من مسام الجلد الى عظام المربوقين وتبللت أطمارهم .ثم يطلق سراح الشيخ عطا بتدخل المختار (أبو الجدايل) وظل الباقون في الربق .وفي هذا الوقت بالذات تتفجر بتوسع ثورة القسام في مدن وقرى فلسطين وينتشر الاضراب ويتصاعد النضال وتنسف الجسور ويردّ الانكليز بالطائرات والدبابات والمدافع .أحكام عرفية وشهداء وتوقيف ونفي ...وغير ذلك . والمجاهدون يصلون من البلاد العربية المجاورة .ويشير الكاتب في آخر صفحة (٨٣) الى أن هذه المعلومات مستقاة من كتاب (جذور القضية الفلسطينية) لاميل توما وهذا يضيف الى صحة المعلومات الواقعية الاحداث وتسجيلية النتائج الحاصلة .ويتابع الكاتب توضيح علاقة (المربوقين) بالعالم الخارجي عن طريق الوافدين الى (الربق) .ويقررون الاضراب عن الطعام كرد على الاسر .ولما كان في موقف العملاء كل دليل على تخريب الثورة والاضرابات تظهر صورة علي أبو الجدايل من جديد وذلك لتجيير العمل الوطني لمصالحهم كطبقة رجعية عميلة مرتبطة بمصلحة المستعمرين .ورغم تضخيم العلاقة المطلبية البسيطة بفك الربق يحاول العميل جعلها وهي لا شك كذلك مرتبطة بالوطن بل بالامة العربية لا ليحررهم بل ليسكتوا عما هم فيه من سوء الحال ،والقبول بالاسر والجوع والذلة .ويستمر الاضراب ،ولا يضمن الشيخ أبو الجدايل طبعا المضربين عن الالتحاق بصفوف الثورة واخيرا يضطر الانكليز بحجة الحاجة الى العمال لفك الاسرى لمصلحة أصحاب البيّارات بعد أن يعدموا فقط من وعوا العلاقة الوطنية .فاختفى كل من عواد وعبد العطا من الوجود . وقرار الكاتب الاخير هنا ان أبناء الوطن لا زالوا في أربقة يعودون اليها في كل مساء بعد الغروب ،وينطلقون منها بعد الشروق .وهذه اشارة الى الاسر المعنوي والحياتي والروحي لمصلحة المستعمرين والمستغلين داخل الوطن وخارجه وعلى خارطة الوطن العربي بل في كل البلدان الرأسمالية .وهكذا تنتهي الثلاثية ،الدرس المناضل لتفتح الوعي فتصل بنا الى (نار البراءة) القصة التي تدور حول امرأة رجلها خارج الضفةالغربية في عمان وتتهم رجلا بمحاولة اغتصابها خشية فضيحتها .وتحال المسألة الى القضاء العشائري (فطيحة) هذه المرأة من عائلة (أبوالجدايل) وامرأة ابنه ،وأبو الجدايل هذا المتقنع بأحقر الادوار كمختار عميل .بينما المتهم علي الخطيب عامل زراعي مكافح مجّد في سبيل عياله .ويرد ذكره بين المناضلين الابطال في القصة السابقة الثلاثية .ويمكننا اعتبار قصة (نار البراءة) التي تحمل المجموعة القصصية اسمها وبدون الاغراق في التحليل أنها تصوير لحياة القريةبعلاقاتها العشائرية ،وعاداتها المختلفة .وهي تقصد فيما تقصده فضح العادات الزائفة ،وفضح الزعامات الخائنة .

وبالرغم من لهجتها العاميّة التي تقصدها الكاتب دلالة على فلسطينية الحدث فهي تذكرنا بالقصص المصرية المكتوبة باللغة المحكيّة .لكن أهميتها ضمن المجموعة ـ رغم الخطأ المطبعي الكبير في توزيع القصص وترتيبها ـ واقعة بسبب كونها بلهجة أبناء الوطن المحتل وفيها يتبرأ الكاتب من عهر الطبقة الرجعية البالية وزيف أفعالها .وبالتالي هي براءة علي

Digitized by Birzeit University Library

المظلوم الذى يمثل الشعب المظلوم من كل الادوار المخططة المرسومة على صورة العبر المتمثل بزوجة ابن أبو الجدايل جنسيا وبعلي أبو الجدايل اجتماعيا وطبقيا .وأرى أن دور الابن الاخر لابو الجدايل الذى عرف حقيقة الحكاية هو الدور الهارب أو الداعي الى الهرب .وهي صفه برجوازية تتمثل في أفعال صغار البرجوازيين المترددين .فالطبقة التي أسقطت فلسطين في براثن الصهيونية هي طبقة علي أبو الجدايل الذى لا يختلف عن اشباهه من ملوك زحفت بهم بريطانيا من الحجاز الى أطراف الوطن السليب .فالكاتب في هذه القصة وبالنار التي تحرق فم علي الخطيب ولا تبرئه من التهمة رغم براءته ، يحاول الكاتب ان يرسم صورة تبرئة الفقراء الذين خسروا الوطن والكرامة وما زالوا يحاربون من أجلهما بعد أن سقطت آخر قطعة من الارض وكانت رمز الارض .

وينقلنا الكاتب الى الضفة الغربية أيام سقوطها ورحيل الناس .فبعد أن يصور المشاهد القاتلة للهزيمة وبعدها النزوح ، لا يغفل في هذه القصة التالية (النهر المقدس) عن أن يرسم صورة الانسان الفلسطيني الاعزل المذبوح غربي وشرقي النهر .

ان (النهر المقدس) يصبح طريقا غير مقدسه للهجرة من الوطن .فالذين نزعوا سلاحه قبل حزيران والذين لم يحموه في حزيران هم الذين يحاولون أن يحضنوه بعد رحيله من الارض .والنهر المقدس رمز يمكن أن يعيدنا الى تصورات لهذه التسمية ففيه تعمد المسيح الفقير كسائر الناس .وفي النهر نفسه تعمّد مئات الضحايا الغارقين والنهر المقدس قصة لا تبرز أهميتها من باب تصوير الهزيمة فقط بل تتابع تعرية الطبقة التي واكبت جوع فلسطين وسقوط فلسطين ولا زالت تحضّر في أطراف الوطن وليمة ذبح أبناء الوطن .والتصوير الذي يتبعه القاص يعطي الجو طابع ملحمة دامية مذهلة نفذها الصهاينة بعد أن حجب حكام العرب وجوههم خلف عباءات وكوفيات النفط الاسود .فيا له من تسلسل أبوى مخيف للعظمة والعصمة والجلالة والسيادة .ولننظر هذا الموقف .انه مسلسل القتل اليومي لابنائنا :

"آلاف البشر يتجهون الى الشرق ، قوى واهنة ، خطا ثقيلة ، ألسن حافة من الظمأ .أطفال يصرخون ، كلاب تبحث عن نقطة ماء .شمس حزيران تلقى بحراراتها على الرؤوس .عرق يتصبب من الجباه ، شفاه تتقصف في ذبول .عجوز يتدحرج من سفح جبل فيستقر على حصباء الوادى يشهق يشهق وينام نومته الابدية .أم تسأل عن طفلها المفقود فلا يجيبها أحد .طائرة تفتح نيران رشاشاتها ، تتهاوى جثث وتنهض أخرى متمايلة من ألم الجراح .غراب يحلق في السماء .بيدر قمح تحرقه قنبلة معادية .جندى يغير ملابسه بملابس مدنية .وآخر يتخلى عن بندقية .وآخر يبادلها بمطرة مـــاء ."

ورغم مسلسل الموت فان محمود شاهين يسجل الفكرة الرائعة للبقاء في الوطن .في المجادلة حول النزوح بين (وردة العودة) و (عائشة العلان) :

– ما رأيك يا حجة هل ننزح أم لا ؟

Digitized by Birzeit University Library

– لا والله يا بنتي ما دام في النزوح موت وفي الحياة هنا موت، لا والله نموت في بلادنـــا أحسن لنـــا .

ولكن زوج وردة العودة لا يأتي فتضطرّان للبحث عن مهرّب الى الضفة الشرقية فلا تجدان الا ابن الطبقة الساقطة القذرة نفسها فيتوضح الوعي عند النساء .ولكن للضرورة أحكامها :

– سنرسلها مع (عارف العلي) .منذ الحرب وهو يشتغل بالتهريب .لقد أرسل وأحضر كثيرا مـــن النـــاس.

= ألم تجدي غيره يا حجة ! أنسيت الاعمال التي عملها عمه فينا أيام الانكليز. صفيحة الماء كان يبيعنا اياها بخمسة قروش.

وهذا المقطع يوضح تواصل الاشارات الطبقية في القصص.ويكشف الكاتب طبائع المهرب ومحاولته الذهنية في اغتصاب المودعه معه.وحينما لم يستطع انطلق الى التخويف بالارواح والمردة وتابع السير.فكان وصف الراحلين يثير البكاء والغصة.ثم نرى أنه لا يتابع الطريق لتوصيل مجموعة من النساء الى عمان.بل انه على علاقة بحرس الحدود الصهاينة وحين صادف بضاعة تهريب أخرى مربحة أكثر ترك النساء ليقطعن النهر ويتابعن السير وهكذا يصلن النهر ويحاولن اجتيازه فيجرف النهر (وردة العودة)أما طفلها فارس فتأخذه امرأة عاقر لتربية وهو يصيح ماما..ماما وتنتهي القصة بين نحيب الباكيات والصلوات.

هكذا تنتهي قصص المجموعة بلغة متلونة متقلبة ذات طعم محلي بارز لا يخلو من الغناء الشعبي لتأكيد أكثر بروزا.والبارز كثيرا أيضا الى جانب الخطأ الطباعي الكبير في توزيع القصص هو التواصل بينها لتصنع كما يبدو لي رواية فلسطينية.ثم فضح الطبقة التي كانت مسيطرة وأثر ذلك في ضياع الناس والوطن.وتصوير الفقراء على حقيقة موقعهم الاجتماعي والنضالي في سلم الطبقات وعذاباتهم في واقعية تامة،والتبرؤ من مصيبة الضياع.وعلى الرغم من الادانة الواضحة اجتماعيا الا ان الكاتب لا يتخلى ولا يستكين.ففي نهاية القصة الاخيرة يتوضح لنا كيف أن (النهر المقدس)يجرف وردة العودةوهذا موقف قطيع الا أن الطفل (فارس) تحتويه العاقر لتربيته...ويزداد النحيب.والطفل بلا شك سيكبر.وفي الختام يمكننا القول انه اجتمع لمحمود شاهين في مجموعته (نار البراءة) وبتفرد فلسطيني تصوير البطل الذي هو الشعب دائما رغم بروز وجوه متعددة والقدرة على الربط بين القصص لتكوين رواية واقعية لا تخلو من رصد ساعات قادمة على زغاريد منتصرة دافقة،لها فارس أمل لم يجرفـــه النهـــر .

Digitized by Birzeit University Library

حديث مع الفنان الناشئ

إبراهيم المزين

أجرى الحوار : عمر حمش

تسعى "الكاتب" ، في معرض اهتمامها بتعريف القراء على الكتاب والفنانيين من الضفة والقطاع ،الى تعريف القراء على الكتاب والفنانيين الناشئيين كذلك ،كما انها تفتح صفحاتها لانتاجهم متيحة بذلك للقراء فرصة الاطلاع على هذا الانتاج .

ولقاءنا هذا العدد مع الفنان الناشيء ابراهيم المزين ،من سكان رفح في قطاع غـــزة .

الاسم : ابراهيم محمود عبد السلام المزين .

تاريخ الميلاد : ١٠/٧/ ١٩٦١ م .

مكان الميلاد : رفح

البلدة الاصلية : القبلية

المؤهلات : سنة ثانية بجامعة بيروت فرع الاسكندرية (فلسفة وعلم اجتماع) .انقطعت عن الدراسة بسبب منعي من دخول الاراضي المصريـــة .

موظف في جمعية بنك الدم المركزي بغزة (فرع رفح) .

– متى بدأت ترسم ؟

بدأت ارسم منذ زمن ليس ببعيد فأنا ابن لعامل يعاني من الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة وكما تعلم فان الانسان يجد نفسه في فترة معينة راغبا في التعبير عن احساسه بالوضع القائم وتصوراته للمستقبل ليزيل ظلام الحاضر فوجدت نفسي اخط بقلم الرصاص وقلم الفحم اسكتشات ولوحات صغيرة معبرة ثم اتجهت الى الالوان فبدأت بالوان

Digitized by Birzeit University Library

الجواش والالوان المائية مع نقد وتوجيه بعض الفنانيين المحليين ثم اتجهت للرسم بالالوان الزيتية ،ولا انسى ان دراستي للمدارس الفنية وخاصة الواقعية الاشتراكية افادتني كثيرا في بلورة أفكاري وموضوعاتي على لوحاتي .

– ماذا يعني الفن لك ؟

الفن هو انعكاس للواقع مع ابداع داخلي لتفكير الفنان وهنا اجد نفسي اردد ما قاله مبدعي المدرسة الواقعية الاشتراكية (الفن اعلى شكل من اشكال علاقات الناس الجمالية بالواقع)

× كيف ترى مستواك الفني ؟ وماذا تتمنى لنفسك ؟

أنا في بداية الطريق . واتمنى ان اكون صادقا في التعبير عما نعانيه .

– هل شاركت في معارض ؟

بمعرض واحد بجامعة بيت لحم واقتحم من قبل السلطات وصودرت معظم اعمال الفنانيين الذين شاركوا فيه .

– بماذا تفكر للمستقبل ؟

ان اعطي اكثر من حيث الاشتراك بمعارض وخاصة انني اعد لهذه المرحلة وأحبذ الالتقاء بفنانيين كي استفيد من خبراتهم لانني بحاجة الى مثل هذه اللقاءات .

– في اى المدارس الفنية تأثرت ؟ وبمن من الفنانيين ؟

بالمدرسة الواقعية الاشتراكية اجد انسانية الانسان وبكل فنان فلسطيني عبر عن الام وآمال شعبه وخاصة الفنان اسماعيل شموط .

– هل ترى هناك علاقة بين ما ترسم وواقعك الاجتماعي ؟

أنا اعمل كل جهدى كي احقق هذا الغرض واجعل ما ارسمه يتناسب ويعبر عن الواقع ... وخاصة ان هذا الواقع هو الذى دفعني لان اتناول الريشة وارسم منذ الصغر واعبر عما يدور

Digitized by Birzeit University Library

بداخلي فوجدتني اصور لكل حدث او مناسبة او واقعة منذ بدأت قضيتنا لان في الحقيقة هذا اشيء لا يمكن تجاهله فكيف ارى شعبي يذبح هنا وهناك ولا اعبر عن هذه المعاناة .

- ما رأيك بالفنانين التشكيليين الفلسطينيين ؟

اعطوا واعطوا الكثير حقا واقول وخاصة الفنانين داخل الاراضي المحتلة نحن بحاجة للتجديد ،نحن بحاجة الى عرض اكبر عدد ممكن من الاعمال وخاصة بالنسبة للرسامين.

- هل ترى هناك مشاكل تعيق عملية تطور الفن التشكيلي الفلسطيني ؟

نعم هناك مشاكل عديدة تعيق عملية تطور الفن وهذه المشاكل يمكن ارجاعها الى عدة اسباب اهمها الخنق الذى نعاني منه كشعب محتل. وتتمثل بمصادرة اعمال الفنانين والتي تؤثر مباشرة بالسلب على الفنان وتسبب له القلق لانها امتداد لفكرة .

عدم او قلة المعارض الفنية والندوات ،وعدم وجود نقابة للفنانين التشكيليين يتم من خلالها الاعداد لمثل هذه المعارض والندوات وجمع شمل الاديب والشاعر والرسام ليتم تدارس الاوضاع الفنية وعملية اخراجها للجمهور .

والمشكلة التي اراها مهمة جدا ايضا ان يمارس النقاد المهام الملقاة على عاتقهم اذ يعطون دفعة او دعامة رئيسية لعملية تطور الفن .

- هل هناك اقتراحات ؟

اقتراح واحد يتمثل في تشكيل نقابة للفنانين التشكيليين الفلسطينيين بالداخل وذلك من خلال تطوير دائرة الفنانين في الملتقى الفكرى العربي بالقدس .

- الشاعر العراقي سعدى يوسف أحس بالهبوط الثقافي الذى يعاني منه عالمنا العربي لذلك دعا الى جبهة ثقافية للدفاع عن الثقافة العربية ،هل تحس اننا نعاني من هبوط ثقافي في الداخل ايضا ؟ وهل تحس ان بالامكان تكوين جبهة ثقافية فلسطينية في بلدنا للدفاع عن الثقافة العربية الفلسطينية وبضمنها الفن التشكيلي ؟ وكيف ترى دور الفنانين التشكيليين الفلسطينيين في تكوين الجبهة الثقافية والمشاركة فيها وفي نشاطاتها؟

- نعم ان هناك هبوط ثقافي وانني ارى ان هناك حاجة لتكوين جبهة ثقافية في الداخل للدفاع عن الثقافة الفلسطينية تأخذ هذه الجبهة على عاتقها نشر الوعي الثقافي عن طريق عقد ندوات تختلف باختلاف الوقائع ،استغلال المناسبات لتعريف الجماهير. على تاريخها والمراحل التي مر بها هذا الشعب وان تواجه ايضا عملية الطمس والتعتيم والتحريف التي يمارسها الاعلام المعادى.ومن هنا يبرز دور الفنان التشكيلي الفلسطيني عن طريق عرض للتراث الشعبي الفلسطيني وأصالة الانسان وتعريف الجمهور على الاسس التي وصفها الاجداد والتي نهتدى بها اليوم الى العمل على اخصاب الملتقى الفكرى بمسائل ملحة بدل من الخوض بمتاهات لها سلبيتها على المجموع الثقافي .

Digitized by Birzeit University Library

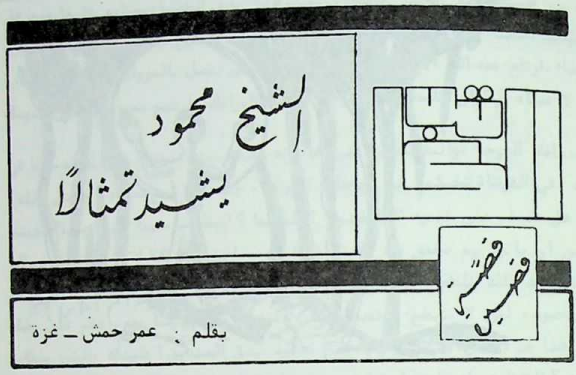

تسلق قرص الشمس الفراغ ، صعد الى أعلى ،فاشتبكت معه غزة ونالت من ناره شيئا ... دخل الدفء أرصفة شارع عمر المختار ،فامتلأ بعد قليل بالناس ،يسيرون على جانبيه ملسوعين ،البلاط في الارصفة شوك يتنططون عليه ،والعربات في الشارع بدأت تتصرف بجنون تطارد بعضها ،يتخللها بين البرهة والاخرى عربات كبيرة خضراء ،تطلق صفيرها باستمرار.

جاء يقذف جسده بين صندوق البوية وساقه العرجاء ،يلف الحزام كتفه ،يشده الصندوق يضغط خاصرته ،تدفعه اكتاف المارة ،المرور على الرصيف يصبح مشكلة ،يعصره الزحام فيقاوم سحب جسده ،ثم يقاوم ليخلص من بينهم الصندوق .. ثم يعود فيدق بعكازه الرصيف.

الحزام يعصر الكتف ،والصندوق الثقيل يضرب خاصرته باصرار والمسيره بين البيت والمكان الذى يستقر فيه طويلة ،وهؤلاء الافندية لا يسمحون له بالجلوس على ابواب معارضهم .. تقاذفوه من معرض لمعرض .. حتى استقر في " ساحة التاكسيات " او كما يقال لها "ميدان فلسطين" يستمر في المسير ،يتحكم بترنحه ،لن ينسى حين تهاوى مرة صدمه احدهم بكتفه ، فأصبح فجأة على بطنه ،ابتعد العكاز عنه ،والصندوق ظل بجواره ،مشدودا اليه ،عصف يومها به الخجل ،زحف مع الصندوق ،اقترب من العكاز ،والتقطه ،ضغط على ساقه العرجاء ،ووقف ،ثم مضى متجاوزا عبارات الشفقة التي اطلقها المتفرجون .

رتب جسده بجوار الصندوق ،ودس عكازه خلفه وجذب صندوق البوية ،جعله أمامه ،في حضنه ،فالاحذية اليوم ستكون قريبة اليه .. الى صدره ،يستلقى عليها ،يتحسسها ،يتعرف على نوع الجلد ،طرى ،أملس ،يلمس ،يقترب منها اكثر ،يضع عينية عليها ،يكتشف لونها ،النظر

Digitized by Birzeit University Library

ضعف والزمن لم يضعف ،لم ينثن ،لا زال قويا ،اقوى منه ،ولا زالوا يطالبونه بالصبر "اصبر" اصبر، هذا اختبار الله لك ،هه..اختبار الله !؟ ومتى ينتهي اختبار الله ؟ متى يتوقف نزفك يا شيخ محمود ؟؟ "

وفواز لم يأت ،انتظره طويلا ولم يأت ،بل ابتعد اكثر، ا..اخبروه في اليمن ،ومرة في الجزائر.. وآه يا شيخ محمود ،حين علم فواز انك تلمع احذية الافندية ،طار صوابه،، جاءك جواب أدماك ،جعل عينيك تطفحان بالدموع،اقسم فواز ان يوما سيأتي سيتوقف فيه زمن الخنازير .. كل الخنازير، سنسحقهم يا أبي ويبدأ زمننا..لكنه ابتعد اكثر ،وزمن الخنازير يطول ،يمتد ،ويتأجل زمننا ،وساقك العرجاء تزداد عرجا ، وعيناك يمتصهما زمن الخنازير ،فالصندوق يشدك ،يثني خاصرتك،يقوسظهرك ،يحنيك ،وتتقلب عليك الايام ،على ساقك ،على عينيك ،على خاصرتك والصباغ غطى جلدك ،امتزجت عليه الالوان ،وبأصابعك تتحسس احذيتهم ،تنظفها ،تدهنها ،تجملها لهم ،ليحلو لهم بها الزمن ... زمنهم.. زمنهم الدى لم ينقض .

يمد الصندوق طرفيه بين ساقيك ،والالوان انحدرت على الواحه ،اصطفت الفرشاة مع زجاجات البوية ،تعلقت في طرف الصندوق ،تنتظر ان تنتزعها ،وها هي غزة تتراقص في عينيك ،تدقك في قلبك ،تقذفك بجمرها،جمر غزة اصبح منذ سنين يلهبك ،يقبض على جلدك ويكويك ،يريك الدنيا سوادا ،غزة لا تحلو الا بفواز ،فواز يجعل غزة ترقص رقصها الحقيقي ستهز غزة جسدها بمقدم فواز ،تستقبله ،تقبله وتحضنه ،تأتي به غزة الى هنا ،حيث تجلس بالضبط، سيأمر فواز بخلع بلاطات الشارع ،يطهرها ،يصقلها ،يجعل منها تمثالا ،هنا في "ميدان فلسطين" سيبنون تمثالا ،وهذا الصندوق ستحرقه ،سيحرقه فواز ،يحرقه ويحوله رمادا يذرى الرماد في الهواء ويسحق زمن الخنازير ،سيجمع خنازيرالشارع ويخبرهم أمر الساعة، من يعصي الامرسيسحقه فواز،آه يا تلك الفرشاة ،الفرشاة تقفز الى عنقك ،تنقره وتجعلك تتريث في حلمك .

Digitized by Birzeit University Library

هه .. خشبة موضع الحذاء تستقبل زبونا ،حذاء يدق الخشبة ،يستقيم عليها ويهزها ترفع عينيك ،الحذاء يا شيخ محمود طويل ،ثقيل ،أسود يا شيخ محمود .. والرباط استطال مع الحذاء ،ارتفع معه الى الاعلى ،للحذاء عنق ،والعنق يتصل بالسروال الاخضر الكاكي .. وعيناه ؟ عيناه زرقاوان ،تلمعان في الوجه الاشقر ،تأمرانك يا شيخ محمود تلهبان جبينك

ظهرك ،ساقك العرجاء ،وآلتة تتدلى على خاصرته ،ثقيلة سوداء ،تخفض عينيك ،تدسهما في صندوقك ،في الفرشاة تخبئهما في زجاجات البوية .. جندى يا شيخ محمود ، جندى والله ، وماذا ؟ هل تنبطح على قدميه ؟ تحضنهما ؟ تلمعهما ؟ انبطحت سنينا على احذية أفنديتنا ولم تتصور أن يأتي يوم تخنق فيه كما تخنق اليوم .. احذيتهم ؟؟ لا يا شيخ محمود ،لا، ماذا يتبقى بعد ذلك ،يلطم الصندوق ،يأمرك ،يصرخ فيك ،وماذا بعد ؟ سيضربك ؟ فليضربك يا شيخ محمود . لكن لا تنبطح ، لا تنبطح يكفي أفنديتنا ،فلأفنديتنا يوم ،أقسم على ذلك فواز ،أما هذا فلا ،لا ،لن تنتظر فواز يا شيخ محمود ،يدق الصندوق ؟ فليدقه ،الشرر يتطاير من عينيه ؟ فلتفقأ عيناه ،فلتعميا ،ثمة شر يتهددك ؟ فلتسحق عظامك ،وماذا لو علم فواز ؟ يا للعار يا شيخ محمود ، ربما كان هذا هناك ،ربما ،ربما تقابل مع فواز في ازقة بيروت ، ربما تطاحنا لبعض الوقت ... وفواز ابتعد ... ذهب الى اليمن .. أو الجزائر ،أو ،أو ، وهذا جاء ،جاء الى هنا ،هنا في غزة ،ودق صندوقك بحذائه ،يأمرك ان تدهنه ،تلمعه ،تنبطح عليه

- ايش جرالك يا حبيبي ؟
- فواز ، اين فواز ؟ يجب ان يأتي ، يحضر الى هنا ، سنبني تمثالا ،سنشيد
- انت شو بتحكي ؟؟ ادهن ، ادهن يا حبيبي .
- فواز التمثال ،الافندية ،لن انبطح ،لن انبطح ،غزة تكويني ،تأمرني ،تحملني ،تحضنني أحضنها انتظر فواز ،انتظره سيأتي ،فواز يأتي ،اني أراه ،يتوسط غزة ،يعبر شارع عمر المختار ،نحن وغزة نستقبله ،معنا كل الفقراء ،بجموع رثة نجوب الشارع ،نحتل الميدان ، نشيد التمثال ،غزة تهز جسدها ،نرقص مع غزة ،وانت تموت ،ستموت وندفنك بأيدينا ، ندفن الشر وندفنك .
- ليش بتصرخ ،واحد مجنون ،فك الرباط أول ، بلا ش يتوسخ .
- لا ،لا ،فواز ،غزة ،لن أفك الرباط ،لن ادهن ،لن اعض فواز ، لن أعضه ،لن اعضك يا ولـــــدى .

يدق الصندوق بعنف ،يتكسر الصندوق ،يدقك بحذائه ،يدقك ثانية في وجهك ،في خاصرتك ،يجرجرك ،يصدمك بلاط الشارع ، تصمد خاصرتك ،ساقك العرجاء ،لن تنبطح ،وفواز يأتي أجل يأتي والتمثال ،التمثال سنشيده ،ويبدأ زمننا .. سيبدأ يا شيخ محمود .

Digitized by Birzeit University Library

اعذريني يا جميلة!

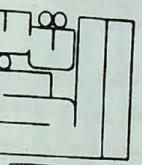

بقلم : خالد الاشهب / سجن بئر السبع

أدفع باب بيتنا ، وأشعر بفرح آسر ،فرح لا يمكن وصفه ، وهل ثمة شعور أحلى وأبهج من شعور الانسان الذى يطلق سراحه من سجنه ؟!

انها اربعة عشر عاما ،كانت قد انقضت ، ولكوني ممن حكم عليهم بالسجن المؤبد ،فلم أكن اتوقع ابدا ،وبمثل هذه البساطة أن اقف قبالة باب بيتنا ... أجل بيتنا ،وادفعه ثم وبمثل كل هذه البساطة أجدني افتح ذراعي واحتضن امي ، ي قفزت لملاقاتي كما لو أنها تفجرت فجأة كل سني شيخوختها وعادت هكذا قوية شابة ، لست أدرى كيف عرف كل الاحبة والاصدقاء والجيران بالنبأ حيث امتلأت جنبات الدار بالمهنئين . . لقد اطمأنت امي الحبيبة بقبل لا عداد لها ، وهي الان تقدم الحلوى هنا وهناك ثم تعود ـ المسكينة لتنظر الي نظرة ابتهاج ما بعده ابتهاج ،ولم لا ؟! فان عودتي بالنسبة لها تعني الشيء الكثير الكثير ـ ابنها على الاقل ،ستكف من اليوم فصاعدا ،عن القاء نظرة حزينة محمومة بتنهيدة أليمة ،الى صورتي المعلقة في صدر بيتنا البائس منذ سنوات وسنوات ،ولن يرتفع بعد اليوم عدد دقات قلبها ،الذى اصبح مرهفا ، كلما دق زائرا باب بيتنا ،متوهمة أن "خالد" قد عاد من سجنه ! كما انها ومنذ الان لن تضطر لان تذكرني كلما رأت رفاقي أو كلما طهت يداها الطاهرتان وجبة شهية لقد غيّرت السنون ملامحي كثيرا ،الا أنهم عرفوني دونما عناء .ولكنهم كانوا ينظرون بأسف الى الشيب الذى اتخذ لنفسه مواقع حصينة في رأسي.

قال جارنا ابو محمد وبسمته مشوبة بالاسى :

ـ كنا بنتذكرك دايما يا خالد ،وخاصة لما كانت بتنزل علينا المصايب يعني زى الشاعر العربي ما بيقول " في الليلة الظلماء يفتقد البدر" ! على كل حال الحمدلله على سلامتك ـ وتحول نحو الوالده وقال : بهنيك بسلامة خالد يا ام خالد .

ـ الله يخليلنا اياك يا ابو محمد ـ شكرته أمي وتوجهت الى قائلة ـ ابو محمد دائما يسالنا عنك بعد ما كنا بنرجع من زيارتك وكان يدعو لك بالافراج .

Digitized by Birzeit University Library

... أما صديقات امي ،فقد احتضنني بحنان كأني أحد أبنائهن ، ولم أخطئ في معرفة واحدة منهن ،لقد تذكرتهن جميعا ... وبعد ذلك ... ، اقتربت مني اربع صبايا مهنئات .. . فسلمت عليهن بحرارة . .. ووقفن امامي وهن يبتسمن وكأنهن يتحدين ذاكرتي .... ولكن التعرف عليهن كان امرا صعبا للغاية لانهن كن صغيرات عندما اعتقلت ولكني مع ذلك لم استسلم امام هذا التحدى لليأس ،وبذلت مجهودا لاستعيد شريط الصور والذكريات ... آه ،انها تشبه الجارة ام حسن التي سلمت علي قبل قليل " فسألتها .

أنت سميرة ؟

فانفجرت بعاصفة من الضحك وصدرت عنها حركات فهمت منها انني أصبت ... ولكن التحدى لم يزل في بدايته فانتقلت بنظرى الى الثانية وأنا أكثر ثقة بذاكرتي " وهذه تشبه كثيرا صديق العمر غالب فربما كانت أخته "ـ اذا أنت فاطمة !

ـ نعم انا فاطمة ، قالت بخجل طفولي .

شعرت بالزهو وبغبطة الاحساس بالانتصار ،فذاكرتي لم تخذلني ونظرت من حولي فلمحت أمي والجيران والاقرباء والاصدقاء ،فاذا بعيونهم معلقة بي ،وأنا اخوض هذا الامتحان الصعب ، وينظرون الى نظرة محبة لا تصور .فنظرت الى الثالثة "انك لا يمكن ان تغيبي عن بالي فأنت الشقية بنت الحاجة ام علي ،امي بالرضاعة "فقلت بسرعة ـ اختي سلوى ! فرحت سلوى كثيرا لان الاربعة عشر عاما لم تستطع محو ملامحها من ذاكرتي وفرحت أكثر لاني قلت لها أختي ،فسلمت على مرة اخرى بحرارة وطبعت قبلة حارة على جبيني .

نظرت الى الزهرة الرابعة ... دققت فيها النظر .. لا ... ان ذاكرتي الملعونة تأبى أن تسعفني ... ان الصمت من حولي ، والنظرات التي تنتظر أن انطق باسمها ،وأحصل بذلك على درجة الامتياز في قوة الذاكرة ،اربكتني أكثر وانستني حتى ان اتوجه بنظرى الى امي طالبا النجده .... اما هي فقد كان صمتي الذى طال ونظراتي الحائرة التي تمسح وجهها في كل الاتجاهات يزيد وجنتيها احمرارا .... فقلت بارتباك . "شو اسمك ؟" ولم ادرى كيف خرجت من فمي هذه العبارة فقد انفجرت زميلاتها بالضحك منها وأخذن يعلقن عليها .ـ

ـ لقد خسرت الرهان فأنت الوحيدة التي لم يستطع ان يتذكرك . فقالت لي بخجل :

ـ انا جميلـــة ...

ـ "آواه ....."

وفجأة صحوت على صوت السجان وهو يطرق على ابواب الزنازين بالمفاتيح بقوة ويصرخ بالعربية الركيكـــة :ـ

ـ وقوف عـدد الصباح !

ـ "اللعنة عليكم وعلى عدد الصباح ... آه كم تمنيت لو بقيت نائما .... لقد راهنتهم العسكينة على انني لن اتذكر غيرها .... لست أدرى، بدون مثل هذه الاحلام ،ما الذى يمكن ان يحدث لي "...

Digitized by Birzeit University Library

خيمتنا الأخيرة بيروت

الشاعر الكبير الراحل معين بسيسو

عيون أطفالنا أزرار قمصانكم
أصابع أطفالنا ملاعق / اشربوا بها حبركم
وامضغوا الورق
أوشكت ان تدق ساعة حائط الورق
وانظروا / انظروا / ان قطرة الدم الفلسطيني
تكبر الان / تكبر الان / تكبر الان /
تصير سفينة تملأ الافق /
اشربوا حبركم وابتلعوا الورق
وعلقوا على حبل الغسيل برقياتكم
وعلقوا الخطب / وقولوا أى شيء لنا ،
اكتبوا أى شيء لنا /
ادهنوا اصواتكم بدخان الغضب /
ضعوا على وجوهكم أقنعة اللهب
ولا تقولوا شيئا واحد /
لا تقولوا اننا عرب /

يا قلعة الشقيف / لم يرفع الراية البيضاء /
لا كيس من الرمل / ولا حجر /
قاومت الشمس / وقاوم القمر /
وقاومت الجذور والصخور / وقاوم الشجر /

Digitized by Birzeit University Library

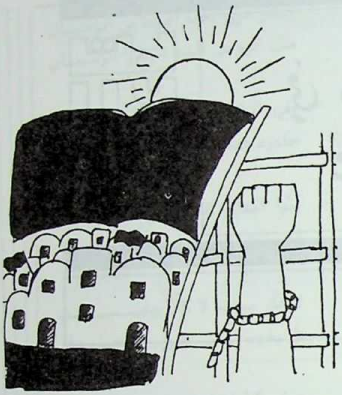

وقاوم موج البحر في صيـــــدا
وصارت كل موجه متـــــراس /
وقاوم الشباك في النبطية/ ألف تحية لكم ،/
ألف تحية لكم / أرسلتم لنا برقيـــة /
ما الذى ، / ما الذى سوف تقولونه لاطفالكم /
حينما يسألونكم كيف قاتلوا وحدهم ؟ /
كشجر الارز والزيتون ؟/ وكيف سقطوا وحدهم
مثل صخرة في جبل القسطل العظيم /
او صنين / كيف قاتلت صور/ وقاتل الدامور؟/
وكيف قاتلت بيروت بعلبة من الكبريت ؟
وكيف هذا الفلسطيني / شق لبنان
صدره له/ يذبحونه من يديه / ومن عينيه /
فما يموت وكيف على رقابكم /كيف مع افواهكم
وكيف على سيوفكم قد عشش العنكبوت/
ماذا تقولون لاطفالكم حينما يسألونكم ،/
أين طائراتكم ؟/ وأين دباباتكـــم ؟/
انني نيابة عنكم اقول / انها واقفـــة /
مشبوكة بالدبابيس / مشدودة بالحبال /
الى يد المروض الكبير /
في انتظار المشهد الاخير والكفن الاخير /

سيداتي ،سادتي لا تحسبوا انه المنظر الاخير
وان الستار سيســـدل
الان على المنظـــر الاخيـــر /
واذكروا ان حجرا لم تزل تصعد النيران منه/
ويصعـــد الدخـــان الان
يكتب قصيدة الطوفـــــان .....

Digitized by Birzeit University Library

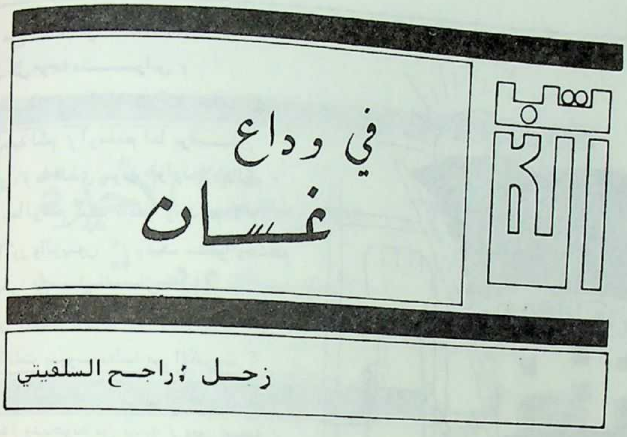

غنيت للعرسان واحنا زغار ← وغنيت لما وعيت للثوار
وعند الكهولة والعصب مهزوز جيت ارثي صفوة الاحرار
غنيت اول عمري للعرسان ولما كبرت غنيت للطوفان
ما كنت راغب في هالعمر بطول حتى اقف وارثيك يا غسان

=======

ضيفك لفى يا تربة الاوطان من تعرفيه ابو الفجر غسان
كنتي على لسانو نشيد الروح كوني على جسمه طبق ريحان

يا أرض ألنا والك فيه شركة ولا بد من تقسيم هالتركة
الك الجسم ساكن بلا حركه والنا العطاء الوافر وحر البيان

اول شبابه خاض حلبات الصراع يهتف انا مظلوم حقي ضاع
واصّلب عوده في الوغى وسلّ اليراع وشن الحرب عالجهل والطغيان

وعرفت فتى العود درب الجفر وسما بثباته عالغيوم الصفر
ذنبه العظيم انو اشترك في قبر حلف العهر والجور والبهتان

Digitized by Birzeit University Library

جرب نصيبه معك حكم الاحتلال ... وكنتو سوى نُخبه اصيلة من الرجال
وطلعنو منها قدوه للاجيال ... مثل الرواسي الشم تتحدوا الزمان

في الجامعة كنت المعلم للصفوف ... وفي الطليعة كنت قنديل الحروف
تبا لها شو قاسية يد الحتوف ... جلمود قدك من حجر صوان

أجريت من شهد الفكر شلال ... منّوا استقوا الطلاب والعمال
أخلد رضى النفس هادى البال ... لن تصل أثارك يد النسيان

يا رفيق دربي لو أريد أرثيك ... لا فكر بسعف لا كلم يوفيك
لو البكا بجدى نفع لابكيك ... تا يذوب رمشي وتورم الاجفان

فلتمضي واثق كما عاهدناك ... نعطي كما اعطيت نتقفى خطاك
مش بس احنا وحزبنا خسرناك ... خسر الوطن والحب والانسان

ومن الخلود من عالم الارواح ... رافق خطانا واهدنا في كل ساح
حتى ترى بعيوننا أجمل صباح ... يوم انعتاق الارض والانسان

بنجول في اركان الذهن كلمات ... وقفت على اعتاب اللفظ مرات
آى الكلام بصلح عزا ٱللامهات ... اهدا ولا تتعبش حالك يا لسان

أم البطل غصّي بكاسات الفراق ... وتجرعيهن حنظليات المذاق
بغياب نسر عانق الافاق ... لا لوم ان سال الجفن غدران
راعي فراخه واشعريهم بالامان

وأم الفجر لو منها يهتز الجنان ... من حقها نسح الدمع الوان
بنبرتها ياما روعت سجّان ... بين القفل والسلك والقضبان

يا عفاف غسان بنقولك عفا ... وبنعاهدك عهد الرجولة والوفا
شعله ذكاها بو الفجر ما تنطفا ... وتبقى بوهجها تهتدى الركبان

وقفة رفاقه خففت وقع البلاء ... ووداع شعبه الوفي كان اصدق عزاء
فيك ثقتنا وانت عنوان الوفاء ... تبني الفجر حتى يباهي السائلين
هذى عفاف امّي وابويْ غسان

Digitized by Birzeit University Library

البديل

عبد الناصر صالح

صورة :

أشتهي وصلة من لقاء الفواصل
مشهدا من ولوج الرمـــوز
الى بقعة من دمـي
صورة للبلاد المراقة فوقة حدود البساتين
أنت المناخ الذى أرتديه
غطاء من الرمل والياسمين
لماذا اشتهيتك من بين كل الصبايا
وأعطيتك الروح والقاعدة

الجسد / الارض / البحار :

ربما أجعل منك البديل عن الرؤية السائدة
يا صراطا جديدا يقاوم
يا جموحا يقاوم
يا جسدا تورق فيه العناقيد
والاغصن الهامدة .
ربما اجعل منك مفاتيح هذا الزمان العنيد

Digitized by Birzeit University Library

وأضمر فيك اغترابي
ـ هل الارض أنـت ؟
وهل أنت كل البحار التي فقدت لونها
كل العصافير التي فقدت صوتها
هل أنت نزعتي المستفاة من الطين
أم أنت خاتمتي البارده ؟
سأمنحك الان عرسا من الثلج
أعلن أنك كنت البدايات في أوجها
في مداها البديهيّ
كنت الرياح التي حركت ساعة الزمن الجامدة.

ولكنهم أوقفوك طويلا أمام الحدود
فكيف تمرّين فوق الحواجز دون دليل
وكيف تمرّين دون التفات
وانت البديل عن الرؤية السائـدة .

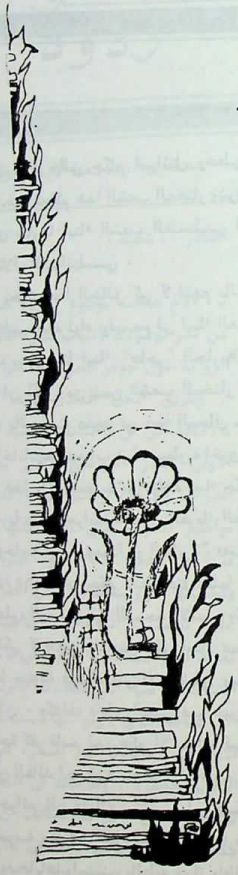

العاشـق .

سأمنحك الوقت والنظرة الشامله
سأمنحك الصحوة الرافلـــة
وأجثو على صدرك الرحـب
أغفو على صدرك الرحـــب
التـــاح ،
تأخذني الضحكة الآفلـة
وأنفث حقدى المكرس في القلب
أنشد اطلالة القافلة.

الانتفاضـة :

يا بلادا تغني على حافة الجرح
تلهو على حافة الجرح
كالطفلـة الواعـــدة
هذا أوانك فانتفضي
موجة ، شعلة ، نجمة عائـدة
هذا أوانـــك
موعدك الاخضر الثرّ
ايتها المقلة الشاهدة
لـم يقتلـــوك

Digitized by Birzeit University Library

كي لا أكون لاساميًا

بقلم : جميل السلحوت

سبحان الله خالق حكام اسرائيل، وجعلهم صفوة شعبه المختار فان حظاهم برعايته واعتبرهم نخبة تحكم هذا الشعب المختار وشرفهم بوضع قوانين "الديمقراطية الاسرائيلية" التي يكتوى بنارها ابناء الشعب الفلسطيني المختارين من ابناء العروبة للانفراد بالعيش تحت الاحتلال الاسرائيلـــي .

أسبح بحمد هذا الخالق كي لا اتهم باللاسامية رغم اننا ابناء "عمومية" وننحدر من نسل سام طيب الله ثراه وليسمح لي ابناء العمومة بالادعاء بهذا النسب الذى لا يعترفون به حيث انهم يعتبروننا ابناء "هاجر" الجارية وهم ابناء "سارة" السيدة . مع انني ابرئ نفسي من ان اكون من ضمن الشعب المختار كي لا اشارك لا انا ولا ابناء شعبي وامتي ان سمحوا لي بالحديث عنهم في هذا المجال ـ بالجنة التي وعد رب اليهود لهم . والتي يعتبرنا حاخاماتهم أصحاب ديانه سماوية اخرى سنبعث دوابا لهم .

أقول هذا وأنا استغرب من نزاهة قضاء حكام اسرائيل عندما يقوم "ابطالهم" في العالم السفلي . بأعمال اجرامية ضد " الغرباء العرب المستوطنين" في جزء من "ارض اسرائيل الكبرى" وخاصة في " يهودا او السامرة" فعندما احرق المدعو مايكل روهان المسجد الاقصى في ١٩٦٩/٨/٢١ لم يحكم لانه"مختل عقليا " وعندما قام آلن غوتمان باطلاق النار بشكل عشوائي على المصلين في المسجد الاقصى وقتل وجرح العشرات لم يحاكم لانه "مختل عقليا ايضا " ولكي لا اتهم بالتجني على ابناء عمومتنا فانني انوه بأن المذكورين كانا حتى قيام جريمتيهما جنودا في الجيش الاسرائيلي ويشارك حكام اسرائيل شعب اسرائيل يعليم ماذا بعملان الان . وكذلك قاتل راهبتي دير عين كارم أيضا لم يحاكم لانه مختل عقليا . وحتى بطل مذبحة كفر قاسم لم يحكم الا بغرامة قيمتها قرش اسرائيلي واحد لان المنفذ اطاع اوامر قائده ولان القائد لم يقصد ما نفذه المأمور .

أما جرائم السرقة التي تتم بلباس عسكرى وبسلاح عسكرى فانني لا اجرؤ على اتهام ابناء العمومة بها لان الكل يعلم عن طهارة السلاح الاسرائيلي وأكثر ما يشهد بذلك حروب اسرائيل وضحاياها واستثني بالطبع نساء واطفال مخيمي صبرا وشاتيلا .

Digitized by Birzeit University Library

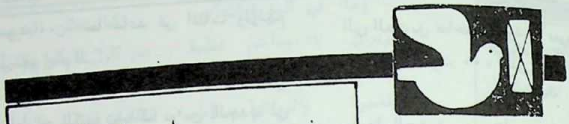

رسائل و ردود

يكتبها : محمد البطراوي

الى الصديق صاحب خاطرة .. "خرابيش الماضي".. لقد علق المحرر الادبي على خاطرتك قائلا بانها "تحمل روحا سوداوية بالاضافة الى عثرات وضعف في البداية وافكار وآراء مضطربة متلحلجة". والسوداوية ايها الصديق هي تلك الحالة التي نرى فيها الاشياء في العتمة ، ونرفض ان نراها في ضوء النهار. السوداوية هي ان نرى النكبات ولا نرى النجاحات التي حققناها .. وقد قيل قديما ان اشد ظلام الليل حلكة هو ما قبل الفجر..

لقد استطاع شعبنا ان يحقق الانتصارات تلو الانتصارات وسيستمر في ذلك.. ويجب ان نفتح اعيننا جيدا لنستوعب هذه الانتصارات ونراها .. اما الصراخ والتشكي ولعن الزمان والايام ، فهو التعامي عن حقيقة شعبنا .

تمتلئ الحياة بكل دواعي التفاؤل ، وهي واضحة كالشمس لمن يريد ان يراها .. ومن كلماتك ايها الصديق نرى انك قادر على الرؤية جيدا اذا ما فتحت عينيك على وسعهما ونظرت الى انجازات هذا الشعب القادر .. شعبك .

× الاخ صاحب موضوع "غزوة خيبر" نعتذر عن نشر موضوعك لاسباب كثيرة اهمها اختلاف الرؤية حول جوهر الصراع الدائر في المنطقة ، وطريق الحل العادل لهذا الصراع ، بالاضافة الى ان "الكاتب" معنية في الدرجة الاولى بنشر المواضيع التي تعتمد على الدراسة والبحث او المواضيع الابداعية ، اما مواضيع التاريخ التي تكرر نفسها ولا جديد فيها ، ودون القاء ضوء على الاحداث وتحليلها ، واستخلاص اسس الصراع القائمة على تناقضات العلاقات الانتاجية ، فاننا نعتقد ان واجبنا عدم الوقوع في مأساة التكرار التي تعاني منها اكثر المجلات العربية.

مسألة اخرى ، ولو انها ليست هي السبب الاول في اعتذارنا عن النشر، هي الاخطاء اللغوية الكثيرة ، وملاحظة ان المقال انتهى عند حد معين ، ثم عن للكاتب ان يبدأه من جديد ثم عاد وتوقف فجأة في مكان لا يجوز فيه التوقف فنهاية المقال ترد على هذه

Digitized by Birzeit University Library

الصورة .. " مما ساعد في اثبات وقوتهم وهيبتهم امام الـ " .

ونحن في النهاية نؤمن بالجدية في التعامل مع الكلمة تماما كما نؤمن بالجدية في المواضيع التي نرضى ان تحيا على صفحات "الكاتب" .

× والى الصديق صاحب قصة "لعنة الموتى" . لقد حاول احد المحررين في الكاتب اجراء بعض التعديلات على قصتك ، وطلب نشر الرد ونشر القصة بعد التعديل في نفس العدد . ولكننا بعد المناقشة وجدنا ان مثل هذا "التدليل" للكاتب ضار به ، وضار بالقارئ كذلك . قد نعطي انفسنا الحق في التدخل في تعديل الاخطاء اللغوية ، ولكننا ضد اى تدخل في بناء العمل الادبي بما يحمله من رأى وصور وبناء لغوى . هذا من ناحية ، واما الاخرى فاننا نؤمن بتشجيع المواهب الى ابعد الحدود ايمانا منا بان هذه المواهب هي التي ستواصل درب المستقبل وستكون اكثر قدرة على العمل بحكم زمانها الذى ستتمكن من تحويله الى الافضل ، ولكننا والحق يقال ضد النموذج السيء ، وضد تشجيع النموذج السيء ، وضد "التدليل" في الادب الذى هو من اهم القضايا التي تبني وجدان الجماهير .. ان تشجيعنا يقوم على اساس الاخذ بيد تلك المواهب التي نرى فيها القدرة على النماء ، والتي تنطلق من ارضية الوعي النظرى والفكرى للاشياء وحركة المجتمع . نحن لن نرتكب جناية التشجيع من اجل "جبر الخواطر" او لنجتذب القراء الجدد ، او لنملاء الصفحات ..

الى الصديق صاحب قصيدة "بيروت .. الموت ... الثورة "

ايها الصديق .. هل تعمدت قليلا و عنوان قصيدتك ، الا تتفق معي ان في العنو الكثير من المبالغة بالنسبة لما تحمله القصي لا أدرى لماذا اطل وجه "احمد سعيد" ص "صوت العرب" من خلال سطور قصك "بالجثث المندثرة ومذابح صبرا وش وعروبة قدسك المنتحرة .. الخ ." يا مرحب هل عاد بنا الزمان لكي نحضر سيوفا من خ ونعلنها "عوانا لا هوادة فيها "؟؟ يك تشنجا هو المرض بذاته ، وهو الفروسية الورق ، وتحويل الكلمات والورق الى مدافع

ايها الصديق ... للكلمات دورها القادر ، ولكن اذا ما كانت هذه الكلمات الشكل الذى يسمح لها بتأدية ذلك الد وهذا الشكل هو الواقعية العلمية التي لا تد الانفعال كل شيء ، ولا تهمله كل الاهمال ان الدور التعبوى للكلمة هو فن استخدا لعرض تلك الحقائق التي يجب ان تعرف تقال من اجل التغيير الذى يخدم اوسع الناس اصحاب المصلحة الحقيقية التغيير . وأنت ترى ايها الصديق اننا ضد الانفعال في الشعر ، ولكننا نطالب الانفعال الذى يدفع بالناس الى الو الواعي ، وليس دق الارجل في حماس ويتكسر بعد الفراغ من قراءة القصيدة . عذرنا في عدم نشرنا لقصيدتك تحيتنا لما تؤمن به من رأى .

Digitized by Birzeit University Library

الجديد

صدر في الشهر الماضي
لعدد الثالث من مجلة
لجديد الحيفاوية حيث تصدر
لعدد مقال لرئيس تحرير
لمجلة والمؤرخ الفلسطيني
ميل توما عن اهمية اليونسكو
لكبرى " .

وشارك الكاتب الكبير اميل
حبيبي بمقال هام حول
ستمرار الثقافة الفلسطينية
اسرائيل" .

اما سكرتير التحرير الكاتب
حنان ناطور، فقدكتب عن
ثقافة المحامي القدير "حنا
رة زميل الشعراء والادباء " .
وكانت ندوة "الجديد"
ب تطرقت الى مجموعة من
قضايا مثل الثقافة العربية في
سرائيل، ودور مساهمة الكتاب
حركة النقد،
الجديد .
ومسيرة

وجاء في الندوة انه "بعد حزيران ٦٧، بدأت عملية الطفرة الشجاعة في القصة القصيرة والروائية، وبدأت عملية التعامل مع المعاناة القومية المحددة" كما جاء فيها ان "الجديد لا تستطيع ان تحدد للكتاب كيفية زيادة مساهمتهم، ولكن في هذه الظروف عليهم ان يعطوا الاكثر والاعمق والاوعى"

وكتب في الثقافة الشعبية الفلسطينية حسان عبد اللطيف عن "الارض والوطن" وجاء في المقالة "ان الهزيمة التي تعرضت لها الجماهير سواء في اعقاب ثورة ٣٦ او ٤٨ وفي ظل حالة الرعب سمحت لكوامن الوعي ان تنفجر وان تأخذ مكان الصدارة".

وشارك في هذا العدد الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم، كما شارك كل من على عاشور، وعفيف شليوط.

كما شارك في مجال النقد سمير الحاج حيث كتب عن رواية جبرا ابراهيم جبرا "صيادون في شارع ضيق"

وفؤاد عوض عن "العربي في المسرح الصهيوني" كما كتب وليد ياسين عن الفيلم الاسرائيلي طبق من مال".

كما تضمن العدد موضوع عن كارل ماركس والمرأة بقلم هاتبريش كيمكين، وفي مجال القصص شارك كل من حنا ابراهيم، محمد عبد المطلب.

ووردت قصة لمخائيل شولوخوف، غراسيليا نوراموس.

وحوى العدد لقائين واحد مع الشاعرة الفلسطينية سهام عيطور، وآخر مع الروائي البرازيلي جورج امادو.

هذا ومن الجدير بالذكر ان "الجديد" بدأت تصدر منذ بداية هذا العام بشكل تكعيبي وبصفحات عددها ١٢٨.

المتشائل بالعبرية

رواية الكاتب التقدمي اميل حبيبي "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابن النحس المتشائل" صدرت باللغة العبرية عن دار "مفراس" العبرية التقدمية، وقد قام بترجمتها الشاعر انطون شماس واظهر مقدرة فائقة في نقل روح الرواية نقلا فنيا للغة العبرية.

المؤلفات المختارة لمكسيم غوركي

قامت دار التقدم في موسكو بنشر المؤلفات المختارة لمكسيم غوركي وتقع في ستة مجلدات، وقام

Digitized by Birzeit University Library

بترجمتها من الروسية نخبة من الكتاب والمترجمين العرب وتعتبر حدثاً أدبياً هام بحيث تصبح في متناول القارئ العربي ابداعات مكسيم غوركي واضع الواقعية الاشتراكية بالادب .

اوامر الاقامة الجبرية في المناطق المحتلة ٦٧ – ١٩٨٣

"نظرة على اوامر الاقامة الجبرية في المناطق المحتلة ٦٧ – ١٩٨٣" كتاب صدر حديثا عن جمعية الدراسات العربية بالقدس، وهو من اعداد عبدالله وتريز سابيلا، مع مقدمة قانونية لعلاء الدين البكرى، وقد جاء مشتملا على سجل باسماء الاشخاص الذين تعرضوا لاوامر الاقامة الجبرية ومدتها ومكان الاقامة بالاضافة الى جداول تبين التوزيع الجغرافي لهم ويقع في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

"أنا العشق ... انت"

عن وكالة ابو عرفة للصحافة والنشر صدر للقاص الفلسطيني يوسف طاهر العبيدى باكورة انتاجه القصصي "انا العشق...أنت" وتضم عشرون قصة قصيرة تقع في مئة صفحة من القطع الصغيرة .وقدمها له ابراهيم العلـــم .

احلام الدائرة الصغيرة

عن دار "الصوت" بالناصرة صدر للشاعر اديب رفيق محمود مجموعته الشعرية "احلام الدائرة الصغيرة" وتضم ثلاثة وعشرون قصيدة، وقدم له الشاعر جمال قعوار، وصمم اللوحات الداخلية والغلاف كل من نجيب كرام وداود حايـــك .

"عنات او الخروج من الزمن الهجرى

عن دار "الصوت" بالناصرة صدر للشاعر احمد حسين مجموعته الشعرية "عنات او الخروج من الزمن الهجرى" وتقع في ٢٠٣ صفحة من القطع الصغيرة، واللوحات الداخلية من تصميم الشاعر نفسه وكذلك تصميم رجا الزغبـــي .

الارض والحق والقدس

صدر عن دار الجليل للصحافة والنشر بعمان ثلاثـة كتب خيث يتطرق الكتاب الاول منها وهو من تأليف الدكتور نظام بركات الى مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي بأسرائيل .

اما الكتاب الثاني
من تأليف يوسف محمد
القراعين وهو عن حق
الفلسطيني في تقرير
والثالث من تأليف
احمد العلمي، تحت
ايام دامية في المسجد
ساردا فيه الاعتداءات
على المسجد الاقصى و
هدمـــه

الفيلسوف ال

من تأليف الدكتور
آل ياسين صدرت
الاندلس ببيروت
فيلسوف عالم "وهي
لحياة ابن سينا وفكره
ويضم الكتاب فصول
ابن سينا المنطقي، وال
والمتصوف والعالـــم

مختارات من

المناصرة للفر
الباحث المغربي
الديوري انجز ترجمة
من شعر الشاعر الفلس
الدين مناصرة الى
وهذه القصائد مأخو
دواوين الشاعر العديد
ويذكر ان مختارات
الكاتب ترجمت الى
والروسية والانجليزية
والالمانية
والاسبانيـــة

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

اجعل من بيتك قصرًا

باستعمال بلاط أرض من **رخام** أو **جرانيت**
رخام للحمامات والمنافع بدل الكيراميكا

انتاج

بولص اخوان

اكبر منتجي ومصدري الرخام في البلاد

اسم شهير في صناعة الرخام في اسرائيل والعالم

- اجود وارقى انواع الرخام الاجنبي والمحلي
- تشكيلة كبيرة وخلابة من الرخام والجرانيت للاستعمال بدل بلاط الأرض.
- رخام فاخر بدل الكيراميكا للحمامات والمنافع بسمك ٧ ملم

تنزيلات كبيرة بالأسعار

رخام
ابتداء من ١٧ دولار للمتر المربع

جرانيت
ابتداء من ٣٨ دولار للمتر المربع

الجليل - مهاريا

بولص اخوان - كرمئيل - المنطقة الصناعية ت: ٩٨٨٨٩٥، ٩٨٥٧٥٩/٤.

جديد للذي يبحث عن الجودة

مركز بيت فلم للرخام والجرانيت

بإدارة

أحمد سرور - أبو نضال -

باب الزقاق - عمارة الفرد قطان - تلفون ٧٤١٨٥٧

أشهر أنواع

الدرسكات المستوردة

بمختلف الأحجام والمقاسات

مستوردة مباشرة من ايطاليا وبلجيكا

★ كافة أنواع البلاط والجرانيت والرخام

★ أفخر أنواع المجالي للمطابخ

★ أحجار بناء بأنواعها المحلية والمستوردة

من الهند وتركيا وايطاليا والبرازيل ومناطق عديدة في إفريقيا

Digitized by Birzeit University Library

معهد الفنون الجميلة - رام الله
INSTITUTE OF ARTS - RAMALLAH
تأسس ١٩٧٨

هاتف
١٩٧٤ ٩٥

ص.ب
١١٢٩

رام الله - ميدان المغتربين

تدريس : الموسيقى ، الرسم ، التمثيل ،
الاخراج ، الفولكلور .

أ - دورات سنوية لجميع فئات الشعب

ب - دراسة منتظمة لمدة سنتين للحصول على دبلوم

لمن لا يقل مؤهله عن التوجيهي

Digitized by Birzeit University Library

أحدث الأفلام العربيّة والأجنبيّة

فيديو كاسيت
حيفا

لصاحبه فاروق حكمت

بيع وتأجير أفلام الفيديو والكاسيت

رام الله - مقابل سينما الجميل

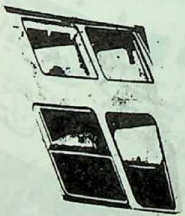

لجميع أشغال ..
الالومنيوم
راجعوا ...
مشغل الومنيوم
محمود القنبر
القدس راس العامود شل خورشيد

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

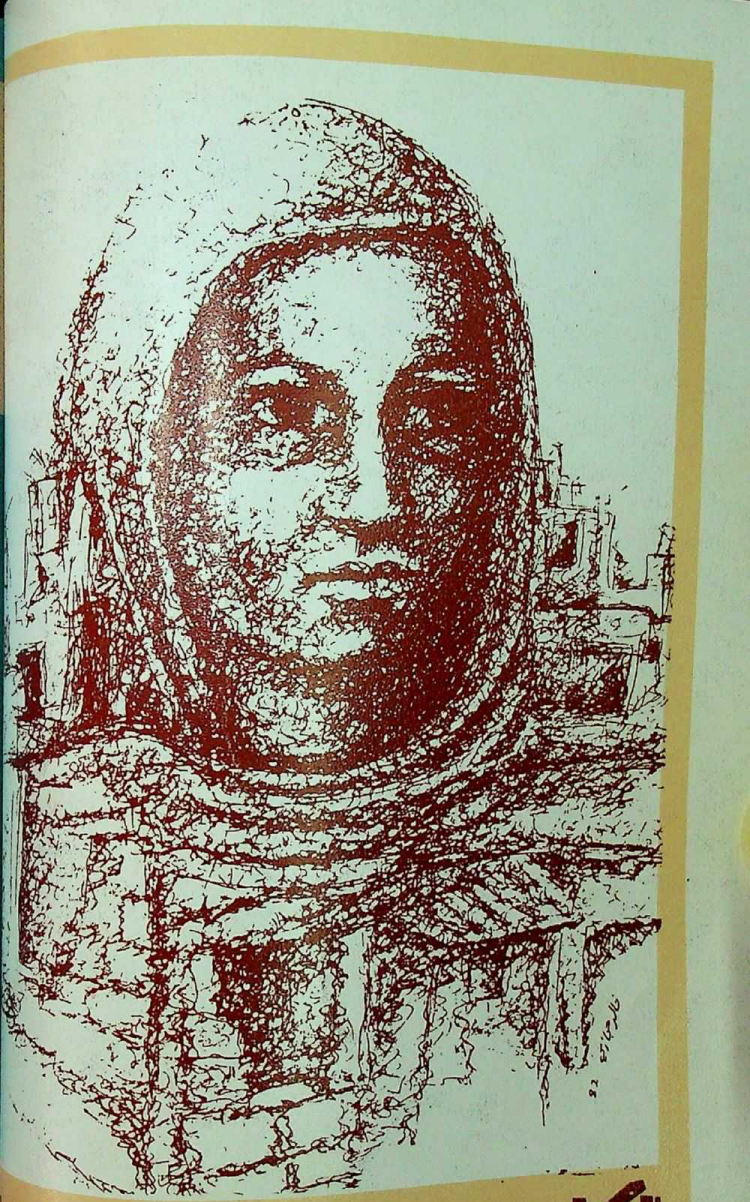

-KATEB
human culture
d progress

Editor — Asa'd AL-asa'd
Jerusalem

P.O. Box 995
Ramallah

48

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library